صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة السادسه

ابريل ١٩٣٧

سير الحوادث

موسولينى والجامعة المصرية

أعظم حوادث الشهر الماضى هو زيارة موسولينى لطرابلس وافتتاح الطريق الذي يقطع صحراء ليبياء بين مصر وتونس . وهذا الطريق قد مهد للاتومبيلات . ومهما حاولنا أن نحسن الظن فاننا لن نستطيع أن نجد لهذا الطريق أية فائدة سوى الهجوم على مصر أو تونس . ولكن فرنسا دولة صديقة لايطاليا فلا خوف هنالك من ناحيه الهجوم على تونس . فيبقى اذن الهجوم على مصر كالفائدة الوحيدة من تمهيد هذا الطريق

وطرابلس قطر فقير قليل الغلات يقوم الجمل فيه أحسن قيام بالنقل . فانشاء طريق للاتومبيلات فيه بحيث يصل بين حدود مصر غربا وحدود تونس شرقا لايمكن أن يفسر الا بانه يراد منه النقل الحربى وسرعة الخدمة لحركات الجيش . وقد تنبهت الجرائد الانجليزية الى المغزى من هذا الطريق فحملت الحملة اللائقة على الفاشيين الايطاليين . ولكن جرائدنا — لأسباب لايجهلها صحفى — سكتت عن هذا الخطر الايطالى الذى يهدد وطننا

وليس شك الآن فى أن موسولينى يصارع الامبراطورية البريطانية وأن عقله يساعده على تعبئة قواته فى حملة على هذه الامبراطورية بحيث تكون مصر الهدف الأول لهذه الحملة . وفى الوقت الذي كان يجب أن تنبهنا فيه الصحف عن هذا الخطر وتطالب الحكومة بالاسراع فى تحصين الحدود الغربية عمدت هذه الصحف الى تخدير الرأى العام وشغلته بقصة مضحكة عن تعليم الدين فى الجامعة واختلاط الجنسين فى التعليم . وكانت هذه القصة من أولها لآخرها من اختراع الجرائد والمجلات .

The Aga Khan Fund
for Islamic Art and Architecture

Harvard College Library

OL25065.750

521700

فهرست

ص — ابريل سنة ١٩٣٧

٣ سير الحوادث

٧ فى أعماق البحار (مصورة)

١٠ النقد والنجاح للدكتور أمير بقطر

١٥ مائه سنة على وزارة المعارف

١٧ التطور الحديث فى مصر وتركيا للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

٢٩ الحركة الرومانتية والادب العربى لسلامة موسى

٣٢ الجرار المصرية وملكة رومانيا بقلم ا . ب .

٣٣ قصة النزاع بين البيض والسود لنقولا يوسف

٤٢، ٨٧، ٨٢ جميل صدقى الزهاوى للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

٤٨ العادات المصرية القديمة الباقية الى الآن فى مصر الحديثة للدكتور سليم حسن بك

٦٥ تأثير الايحاء فى تكوين الشخصية لزكى حكيم

٧٤ قصة الفلاح الفصيح للآنسة ايريس حبيب المصرى

٨١ الكتب الجديدة

٨٥ فى الحياة والعمل لسلامة موسى حافظ ابراهيم

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و ٣ سنوات ٩٠ قرشا

وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا لسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر

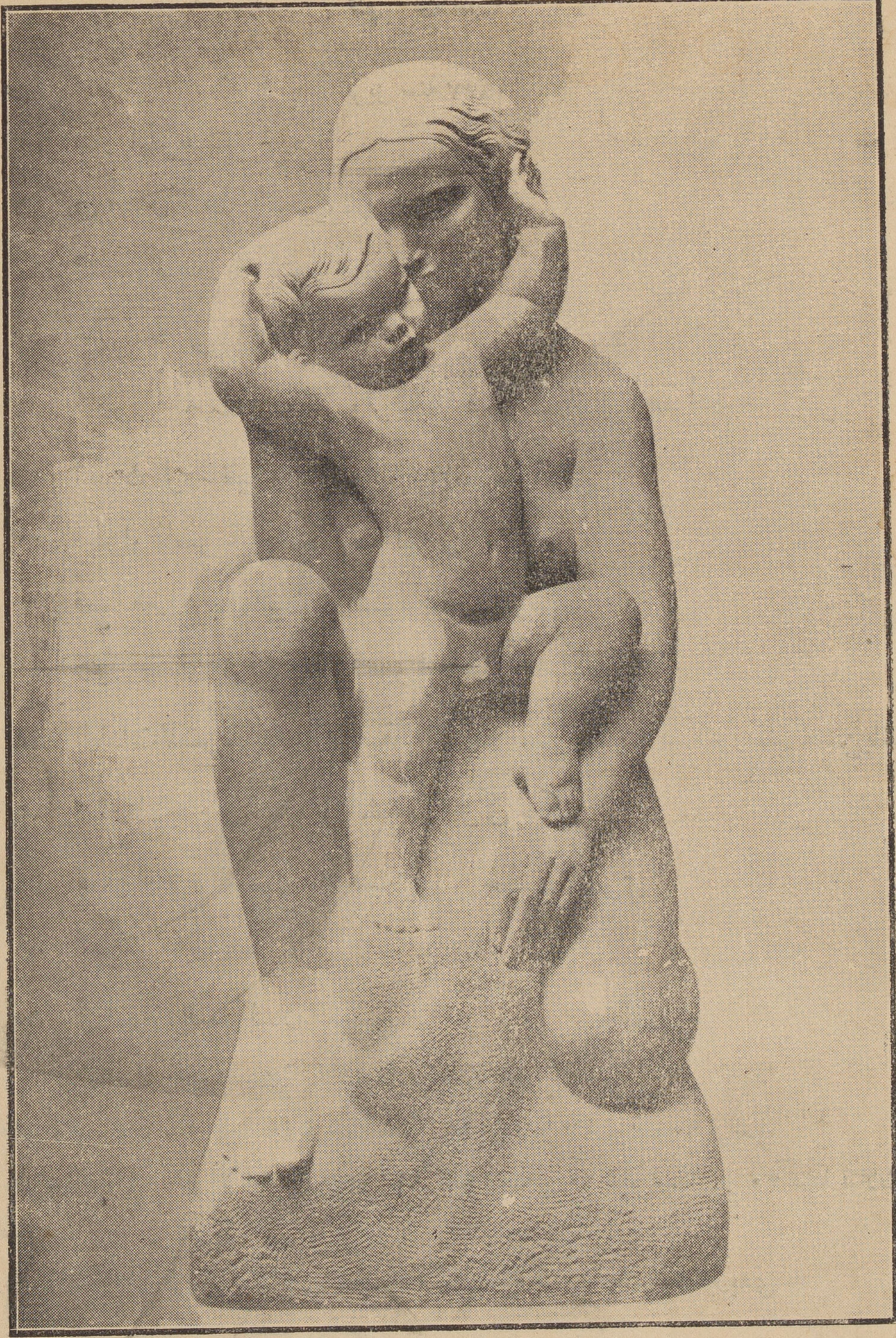

أم وطفلها — للمثال الانجليزى وليم مكميلان

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة السادسه

ابريل ١٩٣٧

سير الحوادث

موسولينى والجامعة المصرية

أعظم حوادث الشهر الماضى هو زيارة موسولينى لطرابلس وافتتاح الطريق الذي يقطع صحراء ليبياء بين مصر وتونس . وهذا الطريق قد مهد للاتومبيلات . ومهما حاولنا أن نحسن الظن فاننا لن نستطيع أن نجد لهذا الطريق أية فائدة سوى الهجوم على مصر أو تونس . ولكن فرنسا دولة صديقة لايطاليا فلا خوف هنالك من ناحيه الهجوم على تونس . فيبقى اذن الهجوم على مصر كالفائدة الوحيدة من تمهيد هذا الطريق

وطرابلس قطر فقير قليل الغلات يقوم الجمل فيه أحسن قيام بالنقل . فانشاء طريق للاتومبيلات فيه بحيث يصل بين حدود مصر غربا وحدود تونس شرقا لايمكن أن يفسر الا بانه يراد منه النقل الحربى وسرعة الخدمة لحركات الجيش . وقد تنبهت الجرائد الأنجليزية الى المغزى من هذا الطريق فحملت الحملة اللائقة على الفاشيين الايطاليين . ولكن جرائدنا ـ لأسباب لايجهلها صحفى ـ سكتت عن هذا الخطر الايطالى الذى يهدد وطننا

وليس شك الآن فى أن موسولينى يصارع الامبراطورية البريطانية وأن عقله يساعده على تعبئة قواته فى حملة على هذه الامبراطورية بحيث تكون مصر الهدف الأول لهذه الحملة . وفى الوقت الذي كان يجب أن تنبهنا فيه الصحف عن هذا الخطر وتطالب الحكومة بالاسراع فى تحصين الحدود الغربية عمدت هذه الصحف الى تخدير الرأى العام وشغلته بقصة مضحكة عن تعليم الدين فى الجامعة واختلاط الجنسين فى التعليم . وكانت هذه القصة من أولها لآخرها من اختراع الجرائد والمجلات .

فقد كانت تبعث باحد محرريها الى أستاذ فى الأزهر فيتحدث حديثا . ثم يقصد هـذا المحرر الى أستاذ فى الجامعة فيتحدث حديثا آخر . وعندئذ يصطدم الأستاذان ويكادان يتشاتمان . والطلبة ينحازون الى هذا الفريق أو ذاك فينشب الشجار وتعطل الدراسة وتنشأ المظاهرات

ويجب على الحكومة وعلى الأمة أن تفكر كثيراً فى هذه الظروف العجيبة التى جعلت بعضا من جرائدنا ومجلاتنا يسكت عن الخطر المحقق من هـذا الطريق الذى يهدد سلامتنا من ناحية طرابلس وفى الوقت نفسه يمشى بالوقيعة بين الازهر والجامعة المصرية باحاديث صحفية لايقصد منها غير استفزاز الطلبة

عقلية موسولينى

فى الوقت الذي نجد فيه ألمانيا تتفق مع بريطانيا على تحديد قوات أسطولها فتطمئن كل منهما من ناحية الأخرى يعمد موسولينى مع أنه ليس عنده عشر الموارد الألمانية الى تحدى بريطانيا واستهلاك الموارد الايطالية الضعيفة فى ايجاد أسطول بحرى قوى وأسطول جوى آخر قوي . وبدهى انه يعلم أنه ليس هناك من يهدد ايطاليا أو من يرغب فى الاستيلاء على هذه الصحراء التى تسمى طرابلس . كما يعلم أنه قد استقر الحكم فى الحبشة إذ لو كانت هناك نية بين الدول لاخراجه منها لمضت فى تنفيذها قبل الآن . وإذن فليس استعداد موسولينى هذا الاستعداد الحربى الهائل للدفاع بل هو للهجوم . والهجوم على مصر فقط . وقد يقال انه ربما ينوى الهجوم على تركيا أو اليونان . ولكن هذا الفرض خطأ . فان تركيا الآن قوية جدا . ولن تقبل بريطانيا استيلاءه على اليونان وهى لابد مصطدمة به إذا شرع فى ذلك . فاذا كان لابد من الاصطدام مع بريطانيا فأسهل عليه أن يجعل ميدان هذا الاصطدام مصر لكى ينتفع بطرابلس

وهذه العقلية الحربية فى موسولينى قد يظن البعض أننا نبالغ فى تخيلها . ولكن يكفى القارىء أن يراجع فى ذهنه حوادث الحبشة . أو حوادث أسبانيا . فان موسولينى الآن يرسل جنوداً ايطاليين للحرب فى أسبانيا ويرفض سحبهم بعد أن اتفقت جميع الدول على ذلك . وقد هزم الايطاليون هزيمة منكرة أمام مدريد . وفى هذا مايطمئننا نحن المصريين فاننا نعتقد أن الجندى الايطالى لايمكنه أن يقف أمام الجندى المصرى . ولكن ميزات ايطاليا فى الطيران كبيرة جداً . وموسولينى لايتورع عن استعمال الغازات . ومذبحة الحبشة الأخيرة تبين لون النزعة الاستعمارية الذى تصطبغ به عقليته

استعداد بريطانيا

ومانغفله نحن أو ماتغفله صحفنا لاتغفله بريطانيا ولا صحفها . فان الحكومة البريطانية قررت

أن تنفق ١٥٠٠ مليون جنيه فى السنوات الخمس القادمة على زيادة الأسطول الجوى والاسطول البحري . وبدهي أن الانجليز لايخشون ألمانيا أو فرنسا أو روسيا وانما يخشون دولة أو دلتين فقطهما اليابان وايطاليا أو ايطاليا وحدها . وقد شرعت ايطاليا تقفل البحر المتوسط من وسطه عند جزيرة بانتيلاريا بين صقلية وتونس . وستنفق بريطانيا هذا العام ٨٢ مليون جنيه على زيادة الطائرات . ولا نكاد نعقل فائدة لهذه الطائرات غير تدمير بانتيلاريا واحتلالها . فان الانجليز لن يطيقوا السكوت على هذه الجزيرة حتى تصبح مكمنا للغواصات ومحطة للطائرات الايطالية

ومن هذه الارقام ومن صيحات موسوليني المبحوحة بانه سيحمى الاسلام يدرك القاريء الاتجاه الخطر الذي تسير فيه الحوادث بين بريطانيا وايطاليا . ونسير نحن فى أثرها نحمل غرمها

ومن الاخبار التى تقلق موسوليني هذه الأيام انه ليس فى بريطانيا مصنع يشتغل بالمعادن الا وهو يعمل الآن مصنوعات حربية بدرجة ما . وجميع مناجم الفحم فى انجلترا قد باعت فحمها للمصانع التى تصنع الأسلحة والذخائر

مؤتمر مونترو

ونخشى أنه بعد أن يسافر رجال الحكومة الى مؤتمر مونترو الذى سينظر فى الغاء الامتيازات ينتهز مأجورو ايطاليا فى مصر غيابهم لاحداث القلاقل . فان مما لاشك فيه الآن أن ايطاليا تنفق عن سخاء لاحداث الاضطراب فى مصر باعتقاد أن هذا العمل يقلق بريطانيا . وعندنا شبان تخدعهم كلمات الدين والتقاليد والوطنية فاذا أثارهم المأجورون ثاروا وهم يجهلون النية المقصودة

فنرجو الحكومة ان تتنبه الى ذلك كله قبل ان يغادر رجالها مصر الى مؤتمر مونترو . والتطرف على الدوام محبوب ويمكن أن يستخدم كأداة ضد الحكومة عندما نعقد اتفاقا معقولا بشأن الغاء الامتيازات . وهذا التطرف تستخدمه ايطاليا لايجاد الاضطرابات

موكب الحضارة

بعض اخبار الشهر التي تدل علي الرقي العام

نشرت جريدة « سنداى اكسبربس » برقية خاصة تلقتها من تيرانا جاء فيها ان الامر الذي أصدره الملك زوغو الى نصف مليون من النساء الالبانيات بان يخرجن سافرات ويطرحن الحجاب الذى تقنعن به منذ قرون طبقا للعادات الاسلامية هو من وحى خطيبته الكونتس حنه ميكس المجرية

فان الكونتس حنه جعلت ابطال القيود الاسلامية التى تقيد النساء شرطا أساسيا لاقترانها به

وقبولها أن تصير ملكة البانيا . وهى تصر ايضا على أن يكون عدم تعدد الزوجات الزاميا فى البانيا

« * »

جاء من مونيخ أن قد صحت العزيمة على انماء اللآلىء والتين الازميري فى ألمانيا هذا الربيع . وكلا الموسمين سيكون مهما فى اقليم البالاتينات فقد زجت كميات وافرة من المحار الذى ينمو فى جوفه اللؤلؤ فى نهر شتيناخ ونكار تحت قلعة هيدلبرج . وقد كان صيد اللآلىء زاهرا فى تلك النواحى لكن الناس تخلوا عنه منذ مئة سنة لعدم الفائدة منه . وهم يحاولون الآن التمهيد للعودة اليه وفى المقاطعة عينها ذات الجو الممتاز بلطافته فى ألمانيا كلها وزعت ألوف من أشجار التين واللوز وستزرع أشجار تين مخصوصة مجلوبة من أزمير فى هذا الشهر وقد أعلن زعماء النازى « أن العناية بهذه الاشجار ستكون متناهية وان أشجار المناطق الحارة تعيش فى ألمانيا بمثل هذه العناية وتنقذنا من استعباد الاسواق الاجنبية »

* * *

قالت مجلة ألمانية شبيهة بالرسمية ان مصانع الكوتشوك الصناعى فى ألمانيا أخرجت ٤٣ الف طن منه سنة ١٩٣٦ يقابلها ٨ آلاف طن سنة ١٩٣٥ ويقدر المستهلك سنة ١٩٣٧ بضعفى ما استهلك فى السنة الماضية فلا تنصرم هذه السنة حتى تخرج المصانع نحو ١٥٠ الف طن وقد كان ما يصنع منه شهريا سنة ١٩٣٣ لا يزيد عن ٢٧٥ طن وسيصير فى أوائل السنة القادمة ١٢ ألفا . وفى ألمانيا ثمانية مصانع تصنعه

« * »

جاء فى احصاء بريطانى للحرير الصناعى فى العالم أن محصول هذا الحرير بلغ ١٠٣٣ مليونا و ٢٢ رطلا فى سنة ١٩٣٦ وكان ٩٣٠ الفا و ٨٦٠ رطلا فى سنة ١٩٣٥ ، وهو يوزع كما يلى لسنة ١٩٣٦ : —

اليابان ٢٨٥ مليونا

الولايات المتحدة ٢٧٨ مليونا

بريطانيا العظمى ١٦٦ مليونا و ٨٠٠ الف

ألمانيا ١١٢ ملبونا

ايطاليا ٨٨ مليونا

فرنسا ٤٢ مليونا و ٥٠٠ الف

هولندا ٢٠ مليونا

روسيا السوفياتية ١٤ مليونا

فى أعماق البحار

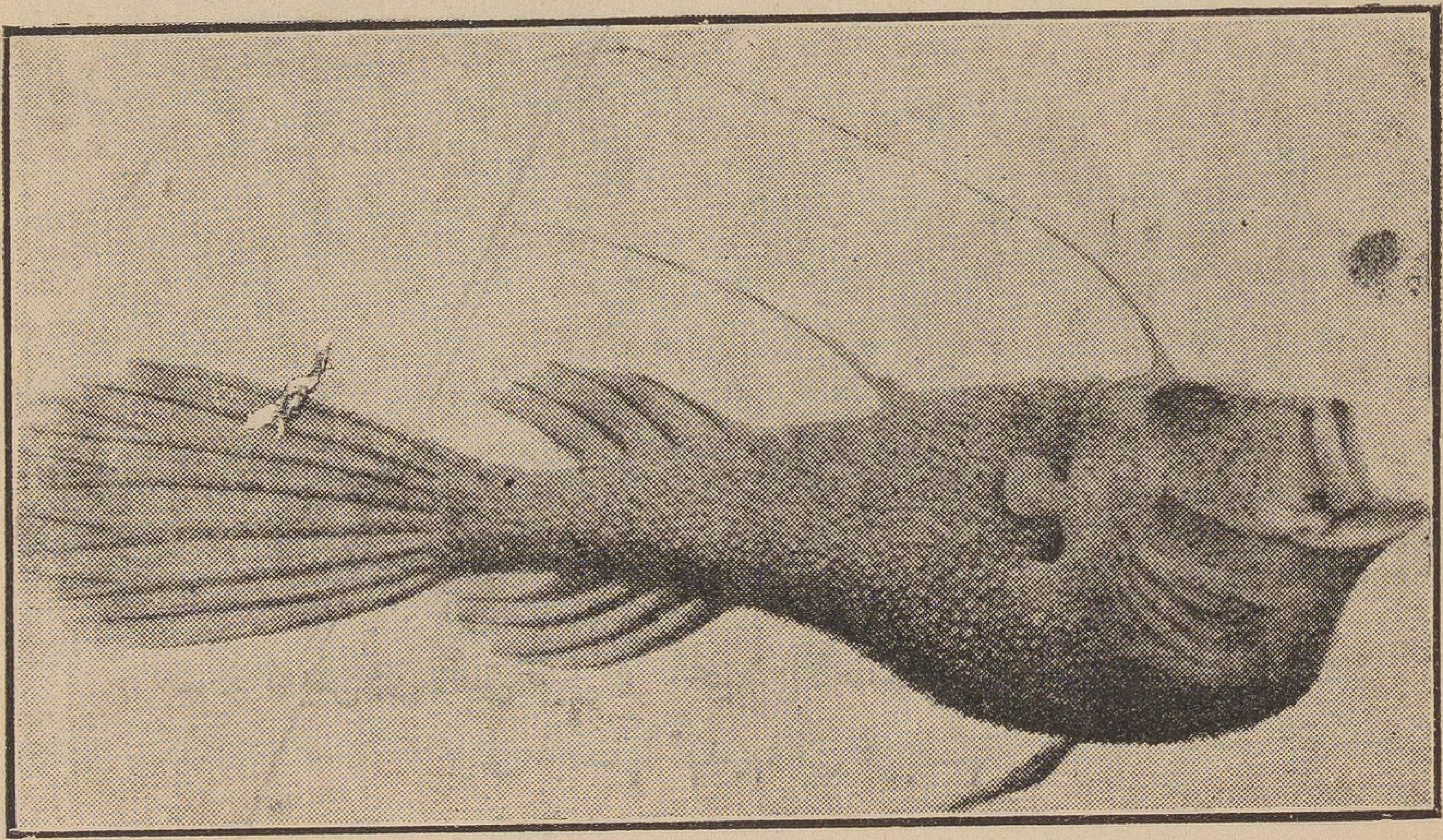

سمكة أنثى تعيش على عمق ميل فى المحيط الأطلنطى وهى تغرى فريستها بالعذبتين فوق ظهرها
وفى أسفلها يرى الذكر وقد تعلق ببطنها

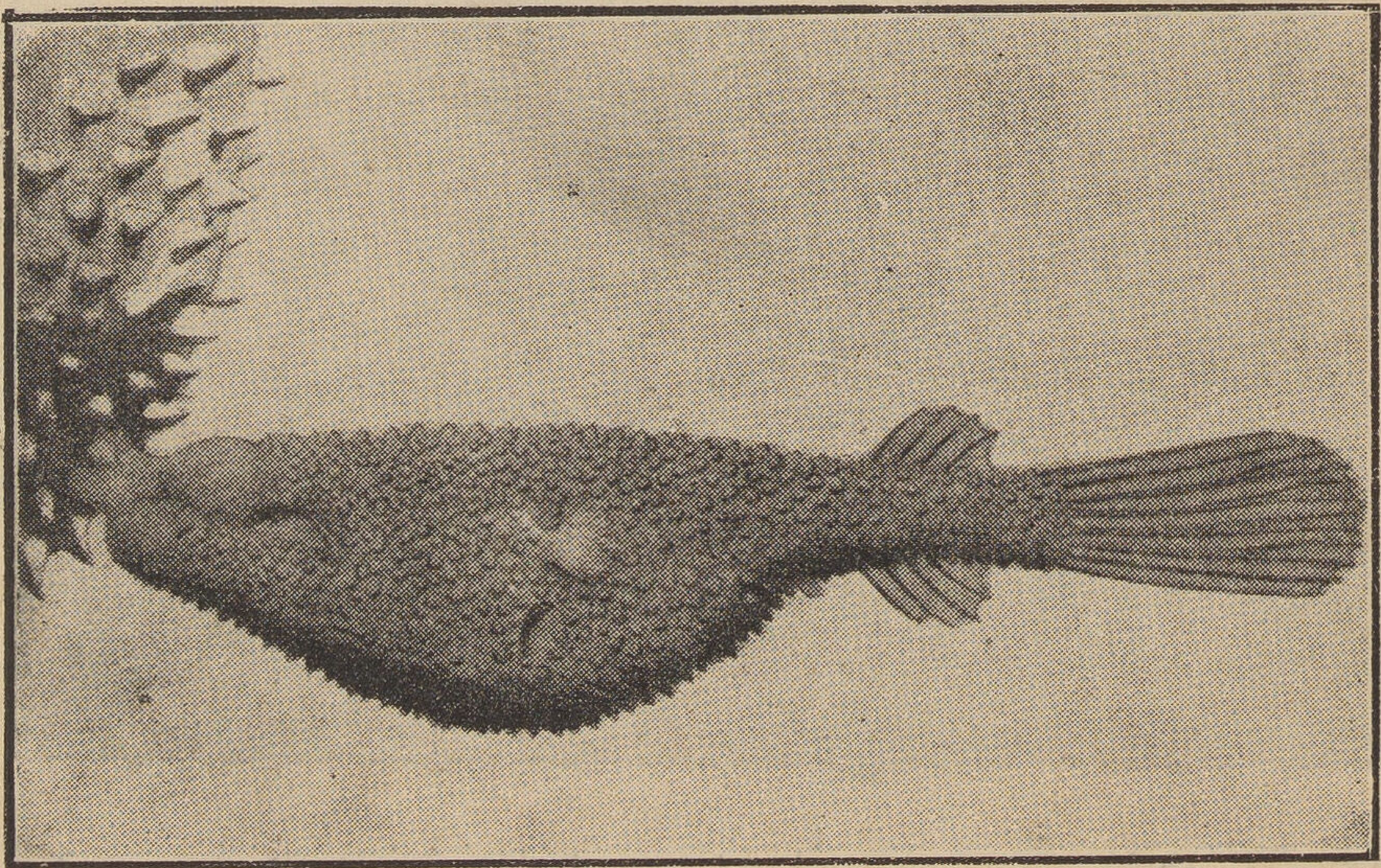

الذكر الذى يرى متعلقا بالأنثى فى الصورة السابقة وهو بجرمه الطبيعى

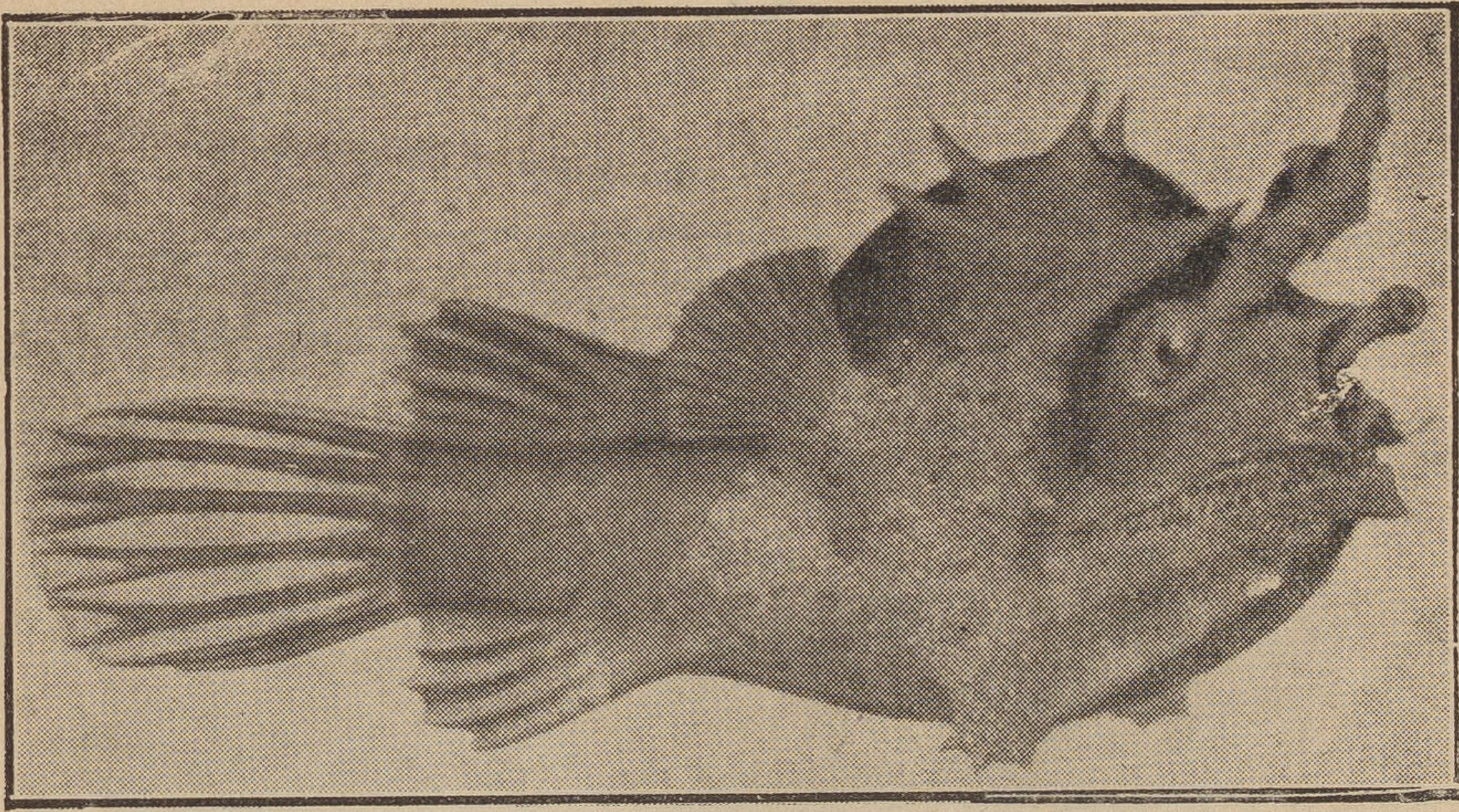

سمكة تعيش على عمق ميل فى المحيط الاطلنطى وهى تضىء الماء بغدد
فى جسمها تهديها الى فريستها

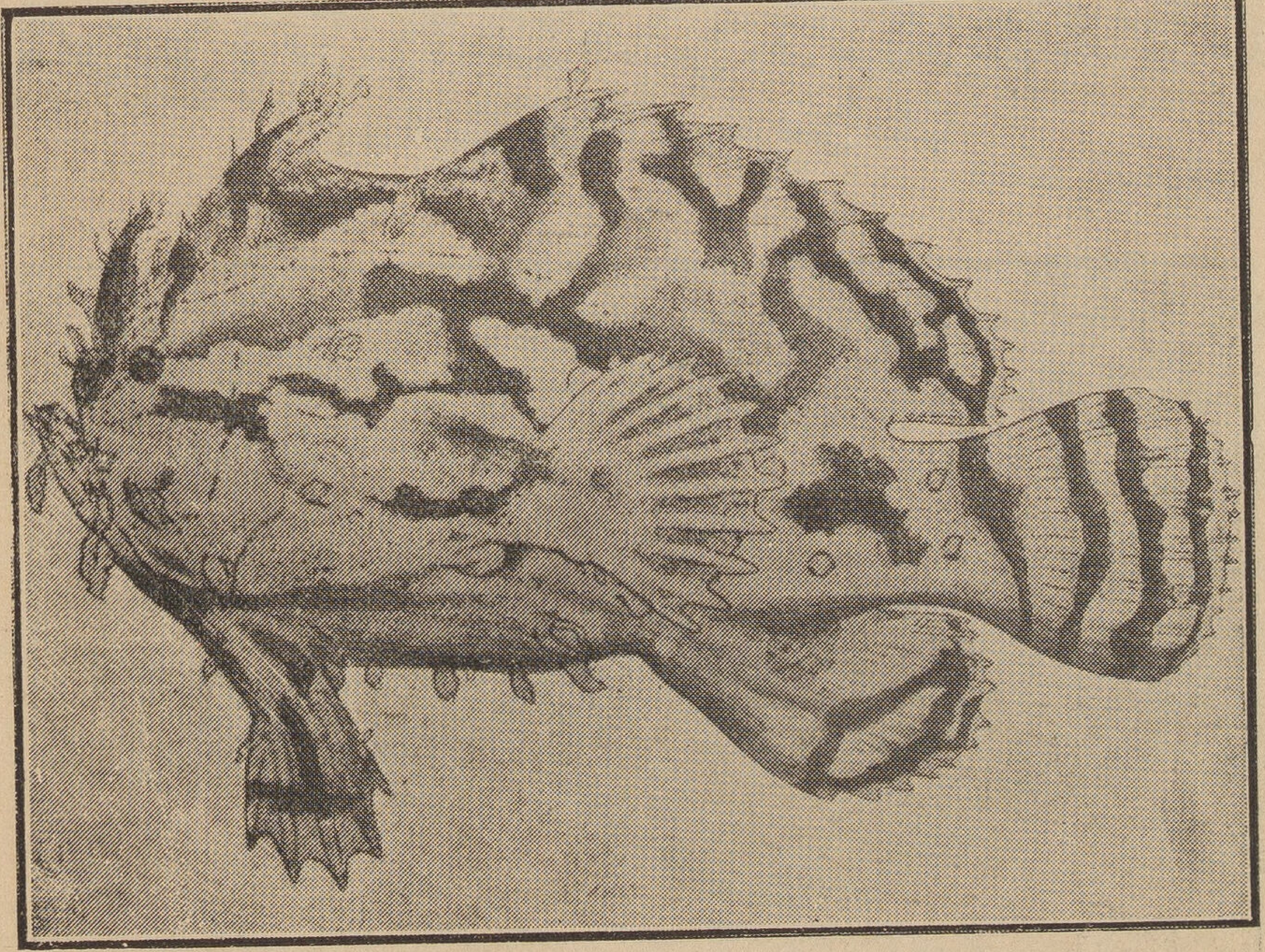

هذه السمكة تعيش على عمق ميل تحت الماء وضغط الماء كبير جداً . ولذلك اذا صيدت ورفعت بسرعة الى سطح الماء تمددت الغازات فيها ونفختها . وعندئذ تبرز عيناها وتموت

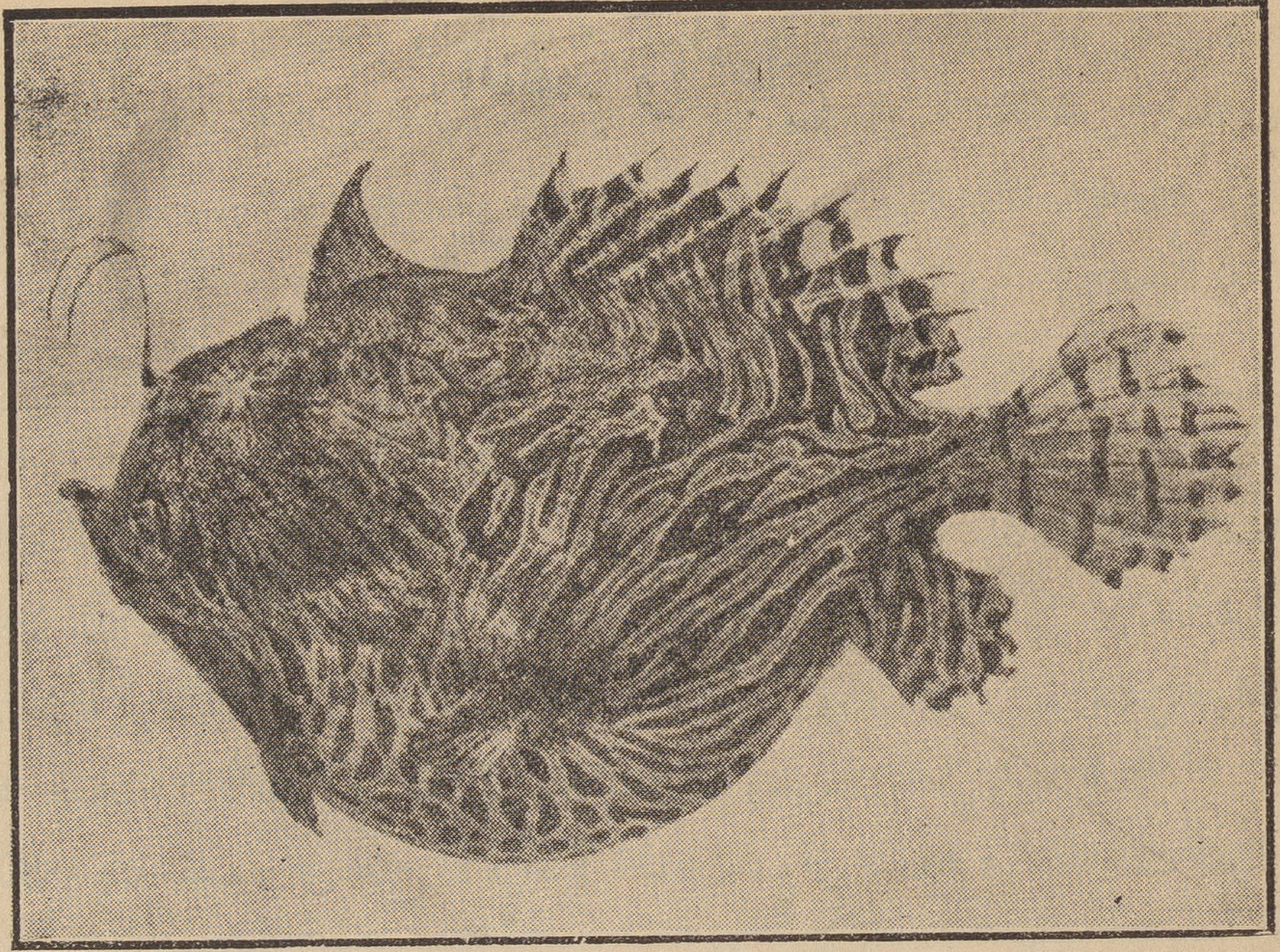

سمكة أخرى بعذبتين فوق رأسها لاغراء الفريسة

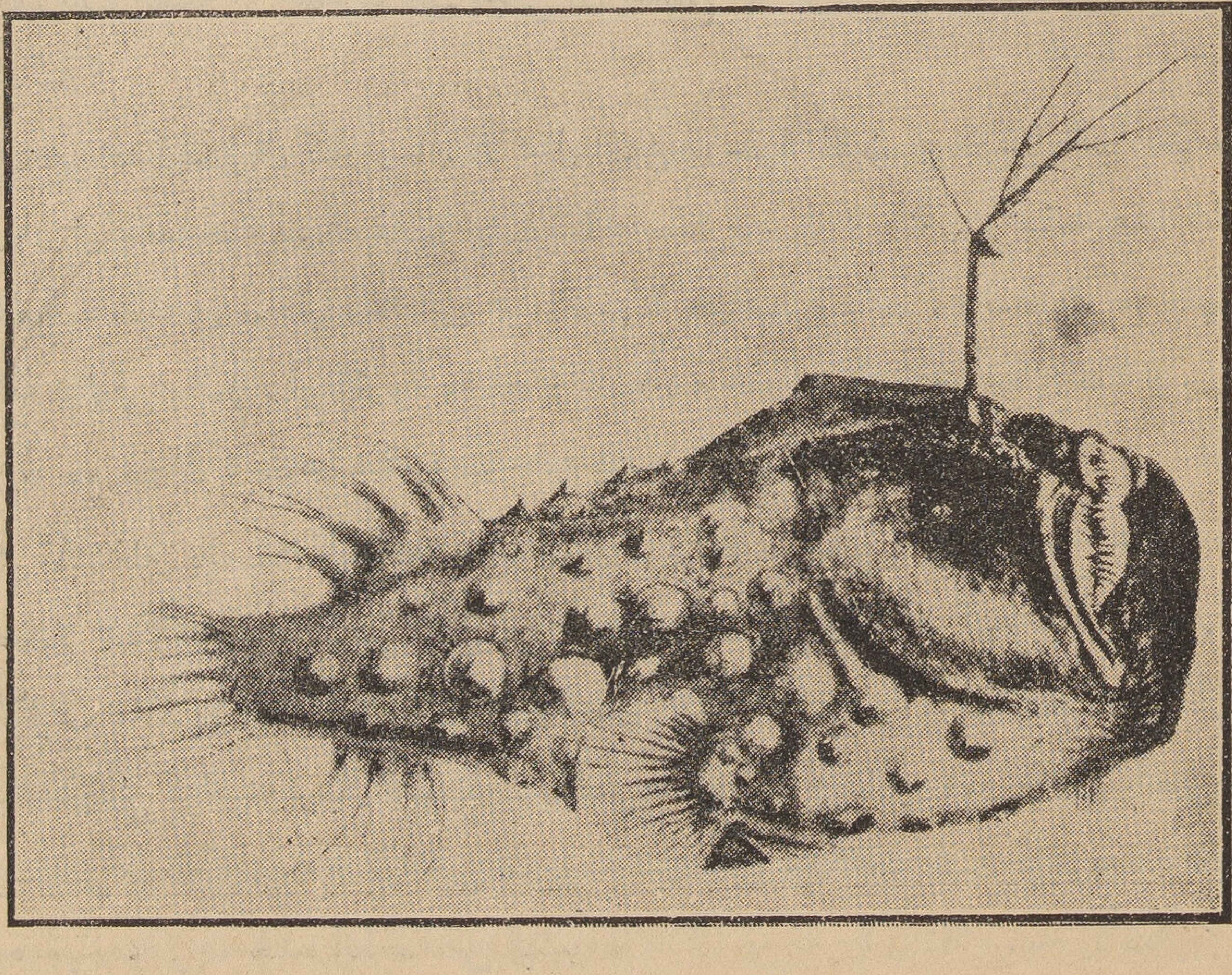

سمكة أخرى تعيش على عمق ميل وتغرى فريستها بعذبات تنتشر فوق رأسها

النقد والنجاح

بقلم الدكتور امير بقطر

من أكبر عوامل النجاح للمرء فى الحياة أن تستحكم بينه وبين عارفيه حلقات السلام والصفاء ، أو على الأقل ، ألا ينشأ بينه وبين الغير ، ما يكدر صفو العلائق ، أو ما يحدو بهم أن يحملوا نحوه فى نفوسهم حقداً أو ضغينة أو كراهية . ويعد هذا العامل أقوى بكثير من غيره من عوامل النجاح كالذكاء ، والثبات ، والأمانة ، والجد والنشاط والمعرفة وسرعة الخاطر وبعد النظر

والكلام هنا مقصور على نجاح الأفراد لا الجماعات ، وعلى النجاح فى حياة ذلك الفرد ، لا نجاح فكرته أو سياسته بعد موته

وأول ما يتبادر الى الذهن هنا هذا السؤال :

وماهى تلك الصفة أو الصفات التى ينبغى أن يتسلح بها المرء حتى لاتشوب العلائق بينه وبين عارفيه شائبة ؟

يجيب عن هذا السؤال كبار رجال الأعمال الذين درسوا الموضوع درسا علميا سيكولوجيا ، فيقولون ان فى مقدمة هذه الصفات تجنب النقد بكل وسيلة ممكنة . ويستند هذا الجواب على حقيقة علمية لاشك فى صحتها . فالناس جميعا ، مهما اختلفت نزعاتهم ، وتعددت أمزجتهم ، بلغوا من الثقافة والرقى والعلم ، أو الثروة والجاه والقوة ، ما بلغوا ، لا يرتاحون الى نقد الغير لهم ، أو تصوير عيوبهم ، وإن كانت هذه العيوب جلية بارزة ، لاحول لهم على انكارها

ولعل المشتغلين بالصحافة والنشر أشد الناس عرضة للكراهية والحقد من الغير . بيد أنهم لحسن حظهم يخسرون صداقة نفر قليل من الزعماء والعظماء والمسئولين أمام الرأى العام ، ليكتسبوا عطف الألوف والملايين « أحيانا » من العامة الذين يكونون خميرة الرأى العام . وقد كان السلطان عبد الحميد لايخفى كراهيته لرجال الصحافة ، ويصرح لحاشيته فى كثير من الرعب والقلق ، كلما طلب اليه أن يستقبل صحافيا ، أنه « لايخشى الموت خشيته من رجال تلك المهنة الملعونة ، ولايمقت النار ، أو يكره جهنم ، كرهه لهذه الطغمة من البشر »

وقد تسمع الكبراء والعظماء والوزراء والكتاب يتشدقون بالعبارة الكاذبة المألوفة أنهم

« يرحبون بكل نقد برىء » ، وهم فى ذلك يخدعون أنفسهم ويقولون ما لا يعنون . وقد تسمع صديقا يطلب من صديقه أن ينبهه الى عيوبه ، وينتقده كلما كان هناك وجه للنقد ، ولكنهم لا يكادون يستمعون لأصدقائهم مرتين أو أكثر ، حتى يهتز الجهاز العصبى فيهم هزة . يتقلبون بها على أولئك الأصدقاء ، فمن فتور الى ابتعاد الى اهمال الى صد الى عداء مستتر الى خصام علنى ، الى قتال عنيف ... تتوثق روابط الالفة بين فتاة مثقفة جميلة ، تتمثل فيها الأنوثة ، وفتى مثقف كريم ، تتمثل فيه الرجولة ، فتطلب اليه وتلح فى الطلب ، أن يصارحها فى هندامها وزيها ، لأنها لا تتخير ثوبا الا لتصادف هوى فى نفسه ، ولا تلبس حلية إلا لتبدو بها جميلة فى نظره ، ولا تعطر شعرها بطيب إلا لتقر بشذاها عينه . ولكنه مايكاد يشير عن طرف خفى الى كراهيته لفستانها العنابى ، أو منديلها الفستقى ، وما يكاد يفوه تصريحا أو تلميحا بنقد غدائرها المسترسلة ، أو أنفاسها غير العطرة — مايكاد يفعل ذلك ، حتى تسجل له فى قرارة نفسها عتابا خفيا ، وسرعان ما يستحيل جفاء «على المكشوف»

وأنى أسارع فأقول استدراكا أننى أعنى بالنقد هنا ما يشعر حقيقة بالنقد ، وما يكون محوطا بسياج كثيف من المديح والثناء ، يخفى ما تحته من الذم ومع ذلك فان هناك من الناس من لا تحتمل طبيعته حتى هذا النوع من النقد ، كأولئك الذين تعاف نفوسهم الدواء حتى لو مزج بالحلوى بنسبة كبيرة

وهناك نوع من النقد لا يكاد يقبله أحد ، مهما كانت نسبة الحلوى التى تمتزج به ، ومهما اتخذ الناقد من الحيطة فى تزويقه وإبداء حسن النية فى تجريعه للطرف الآخر . وسبب هذه الظاهرة طبيعة كامنة فى الانسان ، لم تقو وسائل التربية فى خلال آلاف السنين الماضية ، على صقلها وتهذيبها . والأمثلة لهذه لا تخفى على أحد . فما من قارىء الا ويذكر فضيحة أو فضائح لاكتها جميع الألسن ، الا أقرب المقربين الى مصدر الفضيحة ، وقرعتها جميع الآذان الا آذان أشد الناس حبا لأصحاب الفضيحة . ولعل السبب فى هذا أن بنى الأنسان قد تعلموا بالاختبار والمرانة ، أن الاحجام عن تبليغ الفضائح الى الأب والزوج والشقيق وأحب المحبين حكمة بالغة ، وأن التطوع لاطفاء النار قبل تفاقمها ، مدعاة لاتهام المبلغ بأنه هو الذى أشعل لهبها

كان الحادث التالى صدمة عنيفة لى فى عنفوان شبابى ، وقد كنت فى ذلك الحين شديد الايمان بالمثل العليا ، قوى الأمل فى تحقيقها . ولكنى كنت قليل الخبرة بالطبيعة البشرية نظريا وعمليا ، لم يمض على تقلدى سيف القتال فى حومة الأعمال سوى بضعة شهور . كانت وظيفتى تقضى على أن أتصل بأولياء أمور الطلبة شفاها أو كتابة ، فى كل ما يتعلق بتصرفهم ، وسلوكهم ، وخلقهم ،

وأعمالهم المدرسية ، ولا أذكر انني ارتبكت يوما ارتباكى من الحادث الذى أحاول تصويره الآن . ولم يكن مصدر ارتباكى إلا تلك الطبيعة البشرية التى كنت لا أفهمها مطلقا فى ذلك الحين والتى لا أدعى ادراكها إلا قليلا اليوم . على أثر علاقة مريبة ، ثبت وجودها بين طالب وآخر أكبر منه سناً بكثير ومن غير طلبة مدرسته ، أصبح الطالب هدفاً لاحتقار زملائه له ، وتحاملهم عليه بدرجة اختل له النظام ، وساء المصير . وكان لا مفر من الاتصال بولى الأمر كتابة بأسلوب لا يشتم منه سوى الرغبة الصادقة فى تعاون المنزل والمدرسة على إصلاح ذلك الشذوذ ، إذا كان هناك سبيل إلى الاصلاح ، وما كاد الرجل يفض غلاف الرسالة ، ويقرأ بين السطور ، حتى أرغى وأزبد ، وبعبع كالبعير ، وفار كما تفور القدور ، وشد رحاله إلى النيابة يبلغها أن الفاظ الرسالة المعسولة تخفى وراءها معانى هى وصمة عار له ، وخدش فى جبين أسرته ، ومدعاة لاحتقاره بين مواطنيه . فطيب وكيل النيابة خاطره وبين له أن الرسالة خاصة ، لم تنشر ، فضلا عن سلامة نية كاتبها ، ولا تنطبق عليها مادة من قانون العقوبات على الاطلاق . وظل الوالد يعتقد فى طهارة ابنه من ناحية ، وظل الولد يعيث فى الارض فساداً من ناحية أخرى . . . حتى أغلق باب الاصلاح وفتح باب الحرمان النهائى فى وجه ذلك الفتى المسكين ، ولسان حاله يقول : هذا جناه أبى على

حكى لى صديق كان قاضياً لاحدى المحاكم فى ذلك الحين أن صديقه وأعز زملائه من رفاق الصبا ، كان يتغيب كثيراً عن منزله لأعمال تتعلق بوظيفته . وقد شاءت الأقدار أن تكون امرأة ذلك الصديق الشابة الجميلة مثاراً للقيل والقال ، ومضغة فى أفواه الجيران والمعارف . حتى بلغ السيل الزبى ، وقيل أنها تراود الباعة فى الطرق ، وتغازل البدال فى حانوته ، والتاجر فى متجره ، وتجالس الخادم فى خلواتها . فتشجع الصديق ، ووطد العزم على جمع شذرات من تلك الرسائل المبعثرة الكريهة الرائحة ، وعرضها على صديقه ، ظناً منه أنه يؤدى اليه خدمة لا تكافأ ، ويأتيه معروفا لا يجزأ . لم يأت الصديق القاضى إلى نهاية الرسالة حتى انقض عليه الصديق الموظف ، وأشبعه تأنيبا وتقريعاً ، وبعد أن أكد له أن زوجه ملك كريم ، أبلغه قطع كل صلة بينه وبينه ، وبذلك جوزى كما جوزى سنمار

ومن الغريب أنه وجد بالاختبار أن الناقد يعرض ذاته للخطر حتى فى أشد البيئات ثقافة وأبعدها عن الغرض . يلاحظ أحد الاعضاء فى هيئة محترمة جليلة ، أن أحد زملائه مشوب بعيب قد يتأتى عنه ضياع المصلحة العامة لهذه الهيئة ، فلا يسعه إلا الكلام فى وضح النهار ، فى جرأة وصراحة تعززها وقائع ملموسة ، وهو يعتقد أن فى عمله هذا فتحا مبينا . ولكنه لا يستمر طويلا حتى ينقلب عليه أعضاء الهيئة ، رغم وثوقهم من صحة أقواله

لنعد الآن الى الطبيعة الانسانية . قلنا ان الرجل الذى يحب أن ينتقد لم يولد بعد . أرأيت سجينا أو قاتلا يسلم أنه مسجون بحق أو ان جزاءه الاعدام ؟ ألا يعتقد سكان السجون جميعهم أنهم ملقون فيها ظلما وعدوانا ؟ أليس الخالق عز وجل يدين الناس بعد موتهم ،ولا يدينهم فى حياتهم ؟ من طبيعة الانسان أنه يريد أن يكون عظيما أو يشعر أنه عظيم ، وكل انتقاد يوجه اليه يشعره بنقص فى ذاته ، ويحد من كبريائه وعزته . ومعاملة الكبار لا تختلف كثيرا عن معاملة الصغار . فالطفل يتشجع إذا مدحت ما يحسنه ، ويكاد ييأس اذا هجوت مالا يحسنه . ويقول رجال الاعمال أن البحث عن محاسن الموظف والاعجاب بها أمامه ، بغير مداهنة أو تضليل ، أكثر انتاجا من التنقيب عن معايبه وتصويرها له ، وقد سئل روكفلر الكبير عن سر نجاحه فى الحياة فكان جوابه « إعجابى بمحاسن زملائى وموظفى وعمالى ، وتقديرى لأعمالهم » وسئل كذلك وكيل المثرى الشهير كرنجى عن سر نجاحه ، وكان مرتبه السنوي مليون ريال (مئتى الف جنيه مصري) فكان جوابه لا يختلف عن جواب روكفلر

ونرى فى قانون العقوبات الحكمة مجسمة عند ما نراه يصون المومس من أن يدعوها كالناس بهذ الاسم وان كانت خليقة به

وهذا يؤدى بنا الى سيكولوجيا البيع والشراء . من المشاهد أن أجل المحازن التجارية شأنا أحسنها معاملة للشارى . فمحلات اللوفر وبرنتان فى باريس وسلفرج وبركر فى لندن وميسى ووانيمكر فى نيويورك يبلغ من أدب رجالها ونسائها أن المشترى عندهم يعتبر مصيبا دوما وان أخطأ ، والبائع يعتبر مخطئاً دوما وان كان على حق ، كلما قام خلاف بين المشترى والبائع

وفى دار الاوبرا فى مدينة شيكاغو فى أميركا قانون لا استثناء له ، وهو أنه إذا قام خلاف بين صاحب التذكرة والموظف المختص بارشاد الناس الى مقاعدهم ، فان الموظف يكون جزاؤه الرفت فورا ، وان كان العيب منصبا على صاحب التذكرة

ومديرو الفنادق والمطاعم الكبرى فى أوربا ينزلون على رغبة المسافرين أسوة بالخدم ، ولا يحاولون بتاتا أن يوقعوا اللوم على زبائنهم وإن كان خطأ هؤلاء واضحا

« * »

بيد أن النقاد للمصلحة العامة اكثر الناس أخلاصا للمجتمع ، وان تعرضوا لكراهية الناس . فقد كان فولتير نقاداً جريئا ولاذعاً فى نقده ، وكان قلمه من نار ، يسوم الملوك ورجال الكنيسة فى ذلك الحين العذاب ، وكان مكروها من الطبقات التى كان يوجه اليها سهام نقده . ولكنه كان (وجان جاك روسو) من أكبر المصلحين ، ولولاه لما كانت الثورة الفرنسية ، ولما جاءت الحرية والاخاء والمساواة

كذلك برتراند رسل وبرنارد شو ، لهما من الاعداء كثيرون ولكن لاينكر أحد مالمؤلفاتهم من كبير الفضل فى تحرير الفكر من القيود والأغلال وتحرير الانسانية من الاستعباد . كذلك كان معظم المفكرين والفلاسفة والكتاب والعلماء من عهد روجر بيكون وفرنسيس بيكون وجاليليو الى رجال الاصلاح الدينى الى كارل ماركس وروبرت أوين الى غيرهم من كبار الناقدين للنظام الاجتماعى والسياسى فى يومنا هذا

« * »

خلاصة هذا البحث (١) أن الطبيعة الانسانية أياً كان صاحبها لايتسع صدرها للنقد اتساعا يحبب اليها الناقد (٢) أن الناقد مهما سلمت نيته يعرض ذاته لكراهية المنتقد وعدائه اللهم الا اذا جاء النقد ممزوجا بكمية وافرة من الثناء فى ناحية أخرى ، مكسوة مرارته بطبقة سميكة من الحلاوة (٣) أن معظم نجاح الفرد فى الحياة يرجع الى صفاء العلائق بينه وبين عارفيه وزملائه ، وكل مايعكر ذلك الصفاء وان كان فى صالح أولئك العارفين والزملاء يمهد الطريق الى فشل الناقد فى حياته وعمله (٤) وجد بالاختبار أن ثناء الرئيس على كل ماهو حسن فى المرءوس ، وثناء المعلم على كل ماهو حسن فى الطالب ، وثناء الوالد على كل ماهو حسن فى ولده ، وثناء أحد الزوجين على كل ماهو حسن فى الآخر ، بغير ملق ومداهنة ، أجدى وأنفع من النقد . واذا كان هناك مما يدعو للنقد فيجب أن يكون بطريقة غير مباشرة ، وفى مزيج من الحلوى (٥) تختلف مسئولية الصحافى والكاتب المفكر والفيلسوف عن غيره من الناس فى أن نقده ، وان عرضه لكراهية الاخصاء ، فانه يشيد له مجداً فى المستقبل ، ومعظم الاصلاح الاجتماعى كان على أيدي هؤلاء ، فالصحافى الذي يكيل المديح لكل الناس ، قد ينال الحظوة لدى العظماء ، ويحشد الثروة ولكنه لايؤدي للمجتمع خدمة تذكر ، فى حين أن الناقد الجرىء يكثر حوله من أعدائه ويلقى فى غياهب السجون ، وقد يقتل ، ولكن يراعته لاتتحطم بعد موته ، ومداده لايجف بعد ذهابه ، وكلماته تخلد وان حرق القرطاس الذي يحويها . فهو كالشمعة تضىء المكان للغير وتحرق نفسها

أمير بقطر

مائة سنة على وزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف فى الشهر الماضى بمرور مائة سنة على تأسيسها . فان « ديوان مجلس شورى التعليم » أسس فى مارس سنة ١٨٣٧ وهذا الديوان هو البذرة الأولى لوزارة المعارف الحاضرة ولم تكن مصر خالية من معاهد التعليم قبل انشاء هذا الديوان . ولكن هذه المعاهد كانت «شرقية» لاتعرف العلوم الحديثة . وإذا كانت كليات الازهر هى وليدتها فانها تختلف منها اختلافا كبيرا لأن العلوم الحديثة قد دخلت هذه الكليات

ولم يكن محمد على حين أنشأ هذا الديوان ينوي نشر التعليم بين المصريين . فان هذه الفكرة كانت بعيدة كل البعد عن اهتمامه . وانما كان يريد أن يجهز الجيش بالضباط المتعلمين . وكان الجيش هو الباعث على ايجاد المدارس . ولكن مصر مع ذلك انتفعت بالمدارس التى أنشأها محمد على وكانت المعارف التى ذاعت منها بصيصا — وان يكن بصيصا ضعيفا — من نور الحضارة الحديثة

ثم انتكست مصر أيام عباس الاول وعادت الى العصور المظلمة لأن هذا الأمير كان يكره الحضارة الغربية لأنه لم يكن يفهمها . ثم جاء سعيد باشا ولكنه مع رغبته فى نشر هذه الحضارة لم يعش طويلا لكى يحقق غايته . وبعد ذلك نجد اسماعيل باشا بانى مصر الحديثة ينظم التعليم ويقسمه الى الأقسام الثلاثة التى هو عليها الآن ويعمم المدارس فى أنحاء القطر لكى ينشر التعليم بين طبقات الأمة . لأنه أراد أن تكون الامة متعلمة وليس ضباط الجيش فقط

فاذا كانت وزارة المعارف تعود بتاريخها إلي ايام محمد على سنة ١٨٣٧ حيث تنتسب الى « ديوان مجلس شورى التعليم » فان هذا الانتساب شكلى . لأن الصلة بيننا وبين محمد على مقطوعة ليس فى التعليم فقط بل فى كل شيء تقريبا قام به هذا العاهل سواء فى المصانع التى أسسها والتى خرب معظمها قبل وفاته أم فى المدارس التى أنشأها والتى الغيت أيام عباس أو غير نظامها حتى أحالها إلى غير ما كانت عليه قبل

ومع أنه قد مضت مائة سنة على وجود هيئة حكومية تشرف على التعليم فاننا لانستطيع أن نقول ان النتيجة تسر مصريا طامعا فى الرقى . ذلك لأننا إذا استثنينا المدارس الالزامية والأولية لايمكننا أن نقول أن الذين تعلموا فى سائر المدارس يبلغون ١٠ أو ١٥ فى المائة . ولنا الحق أن نستثنى المتعلمين فى المدارس الالزامية والأولية لأن النتائج التى تستخرج منها محزنة وهى لاتعلم شيئا يستحق بأن يوصف بلفظة التعليم

فاذا نظرنا الى المدارس الأخرى فى أقسامها الثلاثة جاز لنا أن نسر بنتائجها المتوسطة ولكن لبس لنا ان نطرب . اذ ليس فيها من التفوق مايدعو الى الطرب . وترجع العلة لهذه الحال الى أن المشرفين على التعليم فى المائة من السنين الماضية لم تكن لهم غاية واحدة توجهاليها الخطط التعليمية وتعدد الغايات كان سببا لتعدد الطرق والمواد التعليمية

١ — ففى أيام محمد على كانت الغاية تخريج الضباط مع تعليم التركية كلغة أساسية أجنبية

٢ — وفى أيام عباس الأول كانت الغاية تعطيل التعليم واقفال المدارس

٣ — وفى أيام اسماعيل أنشئت المدارس الحديثة مع تعليم الفرنسية كلغة أساسية أجنبية

٤ — وفى أيام توفيق وعباس الثانى جعلت غاية التعليم تخريج الموظفين مع تعليم الانجليزية كلغة أساسية أجنبية

ومن هذا التخبط يرى القارىء أننا لم نستقر على غاية واحدة وأن اللغة الاجنبية التى نعتمد عليها فى اصطناع الثقافة الحديثة لم تكن واحدة فلم نجد الوقت لأن يتقنها الذين يتعلمونها . بل حدث منذ ثلاثين سنة تقريبا أن أصبح تعليم المواد باللغة العربية . وهذا يعد كسبا للغه العربية . وهو كسب يجب الا تستصغر قيمته . ولكن لقاء هذا تقهقرت اللغة الانجليزية وأصبح الشاب الحديث عاجزاً عن اصطناع الثقافة الاوربية أى أعجز من الشاب الذى ترك المدارس قبل الحرب العظمى

ولا نستطيع أن نقول اننا بعد مائة سنة قد استقرت عندنا الخطط التعليمية . فاننا هذه الأيام نتحدث عن الغاء الشهادة الابتدائية . وقد فصلنا التعليم للصغار فبعضهم يتعلم فى مدرسة «أولية» حيث يجد قشوراً من التعليم الشرقى الذي لايفيد . وبعضهم يتعلم فى مدرسة ابتدائية تعد راقية اذا قوبلت بما يضارعها من المدارس الأوربية . أما التعليم الثانوى فأعظم ما يحزن فيه أن اللغة الأجنبية الأساسية قد تقهقرت . وهى — ونحن نعود فنؤكد — الاساس للثقافة الحديثة

أما الجامعة المصرية فخطوة الى الامام . ولكن الحركة التى ظهرت فيها هذا الشهر عن كراهة التعليم بين الجنسين وعن الصيحة الشرقية فى تعليم الدين فى الكليات لاتنبىء بخير

التطور الحديث فى مصر وتركيا

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

راج فى الدوائر الفكرية بربوع جمهورية أتاتورك الفتية رأى فى حرية الفكر والتفكير بثه زميلنا الأستاذ حسين جاهد صاحب جريدة «طنين» السياسية سابقا ومحرر مجلة Fikir Hareketleri فى محاضراته عن أساليب الفكر فى العالمين الشرقى والغربى » . ومؤدي هذا الرأي أن حرية التفكير فى تركيا نتيجة لسلسلة من الفواعل فعلت فى صلب التاريخ التركى منذ أقدم عهوده فتمخضت عن عقلية الانقلاب الأخير . وهذه النظرة يحبوها النقد بالشيء الكثير من نتائجه . فقد ثار حولها شيء من النقاش اشتد مع الزمن واشترك فيه أعلام النهضة التركيه الحديثة من أساتذة جامعة استانبول ومعهد الغازى للتاريخ وكبار رجال العلم والأدب . وكان لصوت الاستاذ قابيل آدم الباحث الاجتماعى صدى كبير فى الدوائر الادبية فى تعليقه على هذا الرأى . غير أن هذه الثورة مالبثت أن هدأت وانقشعت من حولها غيوم الأفكار ، وهنا عثر المفكرون على الأسباب الحقيقية التى من أجلها قام الانقلاب الحديث وتقوّمت حرية التفكير ووقف الباحثون على مقدار مافى رأى حسين جاهد من أوجه المرونة للالتئام من حول التاريخ التركى

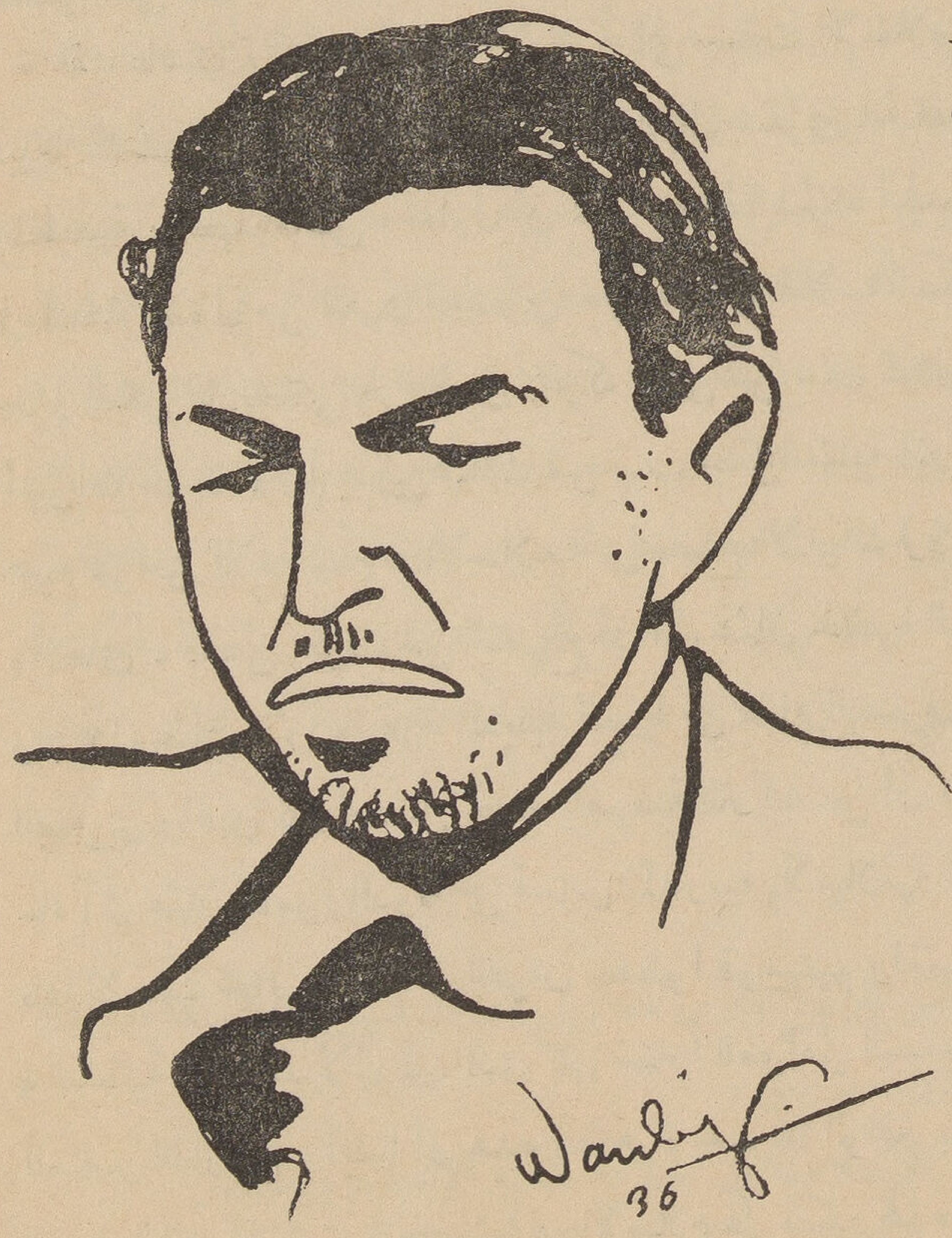

الاستاذ اسماعيل احمد ادهم

* * *

لقد أخذت تركيا تخطو بخطى سريعة للاندماج فى الأسرة الأوربية مدفوعة

لذلك بشعور قوى فى انقاذ مصير الامبراطورية العثمانية من الزوال ، فقد أحس كل المفكرين فى تركيا فى أواخر القرن التاسع عشر بأنهم وقفوا من سير الزمن يطلون على عصر لا يبعد عنهم كثيراً تتمخض الحوادث فيه عن تمزق أوصال الامبراطورية العثمانية ، ولم يكن هذا الشعور إلا نتيجة أخذ كثير من أبناء تركيا بالثقافة الحديثة وملاحظتهم أن الأمم التى تقع غربهم هى الأمم المتمدنة وأن التى تقع شرقهم مجموعة من الشعوب المستعبدة — الشىء الذى رفعهم للايمان بمنطق الحياة الأوربى . وهذه الظاهرة أخذت طريقا للظهور من عهد سليم الثالث ، إذ حاولت تركيا على عهده أن تندمج فى الأسرة المتحضرة الأوربية ، ولكن كانت للمدرسة القديمة والرجعيين يد طولى فى العمل على عرقلة هذه الحركة محاولين بعد ذلك أن يبقوا تركيا مشدودة إلى الماضى بخيوط وأمراس حديدية ، وأن يربطوا ، مقادير تركيا فى حاضرها بما حملته من الماضى وخرجت به من تاريخها سقيمة تخطو خطوات نحو النزع ، أما الروح الجديدة فمضت عن طريق لاشعوري تؤثر فى الطبيعة التركية مستجمعة أسباب الثورة والانقضاض على المدرسة القديمة التى كانت تتمثل فيها أسباب فشل تركيا فى الماضى حتى كان الانقلاب الأخير

لقد عاشت تركيا فى الفترة الأخيرة التى سبقت الانقلاب الأخير فى حالة تفكك تام واضطراب فبينما كانت المدرسة الحديثة تدفعها للاتصال بمجرى الحياة العالمية كانت المدرسة القديمة بعقليتها التقليدية تربطها بالماضى وتحاول أن تمنع اتصالها بالحياة الجديدة ، وبين هاتين العقليتين عاشت تركيا فى العقد الأول من القرن العشرين حتى كان الانقلاب الكمالى الذي تم سنة ١٩٢٣ م ، وهو الذي حرر العقل التركى من الدين وتركه يمضى من سنن النشوء والارتقاء فسارت العقلية التركية أشواطا طويلة ، ولم يكن هنالك من سبب جعل العقلية التركية تجمد الا ربط الدولة بالدين وإخضاع جميع مرافق الامة للديانة الاسلامية وإخضاع الاتراك لروح الاسلام الدينى والاجتماعى والتشريعى والثقافى ، فنحن نعرف من التاريخ أن آل عثمان خلفوا السلاجقة فى حكمهم على آسيا الصغرى ، وأن آل عثمان تأثراً بالنعرة الدينية قضوا على نظام التصوف والباطنية الذى كان يسود ربوع آسيا الصغرى والذى كان له فضل حفظ القومية التركية من أن تتلاشى فى نظام المدرسة الاسلامية ، فلما جاء آل عثمان أقاموا الدولة على أساس المدرسة الاسلامية التى كادت تقضى على روح الاتراك القومية فاذا لاحظنا بجانب هذا أن الفرس حفظوا قوميتهم ولغتهم وروحهم بما لهم من مذاهب التصوف والباطنية والتشيع لآل على الذى كان ستاراً للعوامل السياسية والقومية والاجتماعية التى فعلت فى العنصر الفارسى ، أيقنا أن هذه الظاهرة يحبوها الواقع بتأييده . أما مصر وسوريا والعراق وشمال افريقية التى تلاشت شخصيتها فى الاسلام فلم يكن لها من ظروفها ماتقوم به ذاتيتها لتحفظ روحها نقية صافية ازاء نظام الاسلام ، لهذا سرعان ما رأينا أن القومية والثقافة والعادات العربية ملكت

احية هذه الشعوب ففقدوا حقوقهم الشخصية ولغتهم وثقافتهم التقليدية وكل صلتهم بماضيهم وذابوا فى بوتقة الاسلام وما كان يحمله فى تضاعيفه من ثقافة العرب وتشريعهم ولغتهم وعاداتهم ولو نظرت إلى تلك المرتفعات التى تمتد من خليج العجم إلى مرتفعات القوقاز على الحدود الايرانيه العراقية مقيمة سداً منيعا وفاصلا بين العنصرين العربى السامى والايرانى الآرى لوجدت فاصلا طبيعيا بين خضوع عنصر خضوعا تاما للمدرسة الاسلامية وعقليتها ، وبين إباء عنصر بقى مستقلا محافظا على روحه وقوميته ولغته متصلا بماضيه وثقافته التاريخيه . وهذا الفاصل كان يقترن بقبائل إيرانية وأخرى تركمانية عرفت فى تاريخ القرون الوسطى بتشيعها لآل على ولعبت دوراً كبيراً على مسرح التاريخ الاسلامى ، فانها عرفت بنظام التصوف والتشيع كيف تحفظ نفسها من أن تتلاشى فى الروح العربية

لقد خرج المصريون من ماضيهم بثقافتين: الاولى تتصل بالثقافة العربية والثانية بالثقافة الفرعونية ولقد اختلطت هاتان الثقافتان اختلاطا كبيراً عند المصريين حتى أنك لا يمكنك أن تفرق بينهما فى مصر الحديثة ... ويتصل تراث المصريين الثقافى والفكرى والسياسى وأخيلتهم وعقيدتهم بالروح العربية بينما بقيت مصر مربوطة من وجهة اجتماعية وفنية بالروح الفرعونية . ولولا أن حياة مصر الاجتماعية تركزت فى الحقل لاستقوت عجلة الحياة الاجتماعية العربية عليها ومثلتها ولطبعتها بالروح البدوية . والذى يعنينا هنا أن الذهنية العربية مثلت العقلية المصرية ، ففقد المصريون أخيلتهم وقطعوا صلتهم بماضيهم ، ولا تزال مصر منذ خمسة عشر قرنا خاضعة لتراث العرب الفكرى واللغوى والدينى « أنظر مبحثى فى مجلة «Fikir hareketleri Misir hatiralari ve Azhar hayati, 1934» وكل هذه الحركات صبغت مصر بصبغة عربية إلى حد كبير فخرجت مصر عن مصريتها إلى الاندماج فى الاسرة العربية . ولا شك أن هذه العاقبة جعلت مصر بعيدة عن منطق الحياة ، وإن كان للمصريين أن يعرفوها فعليهم أن يحتذوا حذو تركيا ، ولا بد لهم فى ذلك من ثورة فكرية اجتماعية سياسية تتصل بمشاعرهم قبل عقولهم تتمزق خلالها أوصال العقلية العربية ، وتخلص مصر من الكابوس العربى

« * »

إذا تركنا الماضى للحاضر ، وتركنا مصر لتركيا تدرس مدارس الفكر فيها ، فأول ما يطالعنا تاريخ الفكر فى تركيا فى القرن الاخير بثلاث مدارس : —

الاولى : مدرسة اليمين ، وتمثل العقلية الاسلامية فى الخلافة حامية الاسلام والمسلمين

الثانية : مدرسة المعتدلين ، وتمثل العقلية التركية

الثالثة : مدرسة اليسار ، وتمثل العقلية الأوربية

أما المدرسة الأولى فكما قلنا كانت صاحبة الأمر والنهى فى تركيا متحكمة على الرقاب متسلطة على الأفكار مقومة بالروح العربية ، تدعو الى توطيد العالم الأسلامى تحت ظل الخلافة فى تركيا . والمدرسة الثالثة كانت ترى التحرير التام لتركيا من عقلية الشرق فتريد منها أن تقطع كل صلتها بالماضى وتنتحل العقلية الأوربية انتحالا ، وكانت هذه المدرسة تتظاهر فى ثلاث فرق

« ١ » فرقة الماديين وعلى رأسهم بها توفيق بك وأحمد نبيل بك ، وهم يدافعون عن النظرة المادية متابعة لكارل ماركس وأرنست هيكل ويروجون لمباديء الاشتراكية

« ٢ » فرقة العدميين وعلى رأسهم يوسف آجورة ، وهم فوضويون يريدون لانقضاض على المجتمع التركى ، ورائدهم فى هذا بكونين ، وعقيدتهم أنه لا يصلح العالم ولا يقوم عالم جديد الا إذا هدم القديم وقام الجديد على أنقاضه

« ٣ » فرقة الاجتماعيين وعلى رأسهم عبدالله بك جودت ، وهم يدافعون عن نظرات غوستاف لبون فى إرجاع كل ظاهرات عالم الانسان لحوادث اجتماعية تطورت عن أخرى بدائية

وقد لاقت كل فرقة نجاحا كبيرا فى اجتذاب عدد كبير من شباب تركيا اليها . إلا أن كلتا المدرستين كانت بعيدة عن الاحتواء على عنصر فعال ، مما جعل العقلية التركية تتفتح على يد المدرسة الثانية وتنفض عنها غبار الجمود . وهذه المدرسة هى مدرسة ضيا كوك آلب بك صاحب مذهب دراسة التاريخ المقارن وهو الذى تخرج عليه الاستاذ حسين جاهد بك وهى ترى عن طريق ربط فلسفة برجسون بمذهب دوركهايم فى الاجتماع أن تنظر إلى القيم values وتستخرجها عن طريق تعيين السنن التى تمضى بالجماعة البشرية فى سلم النشوء من حادثة اجتماعية الى أخرى من جنسها ، واستنادا إلى هذه النظرة بعثت هذه المدرسة نظرة جديدة فى الوطنية التركية عرفت فى قول ضيا كوك آلب بك

« نه توركيا توركلره وطندر ، نه توركستان »

« وطن . بويوك مؤبد برأولكه در : توران »

ومعناه : « ليست تركيا ولا التركستان بوطن للاتراك . انما الوطن تلك الوحدة الخالدة توران » الذي كان عنوانا للروح التركية الصميمة . وفى هذا يقول قابيل آدم بك

« هذه الفكرة التى عمل على بثها ضيا كوك آلب بك لم تكن فى وقت من الاوقات موضوع بحث عند الاتراك مع أنها فكرة تتصل بشعورهم القومى وتنزل فى عالم الموضوع كما تنزل فى عالم المشاعر وتبدو كخيال تصورى غير بعيد . فارجاع الاتراك الي العنصرية التركية ، ومحاولة اقامة دولة تركية

جديدة بمقتضى المضى على سنن النشوء والارتقاء فى نطاق السلالة التورانيـة ، كانت الأسس التى تستمد منها هذه الفكرة قوتها وتتقوم بها للحياة فى بيئة تبدلت ونزلت عند مقررات عقلية المدرسة الاسلامية والذهنية العربية »

ونجحت هذه المدرسة فى بعث الروح الوطنية وتقوية فكرة تحقيق الوطن التورانى عند الشباب وكان أثر هذا كبيرا فى ضعف الروح الدينية جريا على قانون التعويض ، وكان كل هذا بمثابة مقدمات للانقلاب الاخير وتكوين ذهنيته

« * »

إن عقلية الانقلاب التركى الحديث عقلية اختلف فى تحليلها الباحثون وخلط بينها وبين العقلية الاوربية كثيرون من كتاب التاريخ : فمن الشائع خطأ أن ذهنية الانقلاب لاتخرج عن كونها ثورة على الماضى ومحاولة للتخلص من الشرق مع العمل لانتحال العقلية الاوربية ، فهذه النظرة ان قومتها بعض الاسباب ووجد لها من الحوادث مايبعثها فى عالم الفكر لمآرب وغايات فانها بعيدة عن أن تنطق بعقلية الانقلاب كما يعرفها الواقفون على تاريخ تركيا . ويمكننا أن نلخص القول فى هذه الذهنية بانها ثورة على عقلية المدرسة الاسلامية ورجوع الى العقلية التركية فى صميمها مع محاولة تطعيمها بالذهنية الاوربية فان القائمين بالانقـلاب الحديث نشأوا من مدرسة ضياكوك الب بك وتخرجوا فيها ، وهم ينظرون لاقامة تركيا استنادا على ماتوحيه مباحثهم التحليلية فى طبيعة الاتراك وذهنيتهم الحقيقية ، فالرجوع باللغة التركية الى اصلها الاول الذى انحرفت عنه فى عصور السيادة الاسلامية بالاخذ من اللغتين الفارسية والعربية مظهر لهذه الحقيقة الواقعة التى نحسها ، والاخذ عن المدنية الاوربية صورة لتلقيح الفكر التركى بآثار الذهن الاوربى . فاذا تجاوزنا هـذا كله الى مايعنينا من أن حرية التفكير العلمية التى تحياها تركيا الآن ليست نتيجة لها وأنها أبعد غورا فى تاريخ تركيا من أن تتسع لها صفحات هذه المجلة ، كان لنا أن نتناول أثر هـذه الحرية الفكرية فى العلوم وفى الثقافة فى ظل الانقلاب الاخير

فى تركيا دكتاتورية يدير أتاتورك دفتها بيد من حديد - وهى دكتاتورية علميـة صالحـة - ويسير بها خطوات واسعة نحو تمكين الثقافة فيها ، حتى لانكون مغالين اذا قلنا انه لاتمضى سنوات حتى تصبح تركيا من البلدان الاولى فى ثقافة أبنائها « أنظر تقرير الفيلسوف الامريكى جون ديوي الذى وضع نظم التعليم لتركيا سنة ١٩٢٨ » . أما القانون التركى فهو يبيح الحرية الفكرية العلمية وخصوصا لان تركيا الحديثه دولة علمانيه تعمل على تقوية الملكة العلميه عند الشعب التركى كما تعمل على محاربة الامية ، فبعد ما كان عدد الاميين فى تركيا ٨٥ فى المائة من سكانها عند الانقلاب

الأخير نزلوا الى ١٥ فى المائة سنة ١٩٣٤ ، ولا ينتهى عام أو اثنان حتى تتلاشى الامية .
ولزيادة الفائدة أقدم هنا تقرير إدارة المطبوعات التركية عما نشر فى تركيا خلال عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ م :-

مؤلفات : ٣٫٧٤٨ كتابا منها ١٫٩٨٧ فى الآداب و١٫١٩١ فى العلوم و٥٧٠ فى الفلسفة

مترجمات : ٣٫٧٤٨ كتابا منها ٣٫٨٨٧ فى الآداب و ٢٫٩٨٧ فى العلوم و٧٩١ فى الفلسفة و١٠٨٣ فى التاريخ

مجلات : ٢٨٣ مجلة ، منها ١٥ مجلة مختصة بالمباحث العلمية ومجلتان للمباحث الفلسفية و ٤٢ مجلة أدبية وسبع مجلات موقوفة على المباحث التاريخية و ٤ مجلات على فن النحت والتصوير و ١٢ مجلة تمثيلية سينمائية و ٣٨ مجلة تعنى بشؤون السياسة

ولو مضيت للمقارنة بين هذه الارقام وبين مانشر فى فرنسا وانجلترا من الكتب فى خلال المدة لهالك الفرق وهو فى صالح الاتراك . والكتب الخاصة والمجلات الخاصة أقل عدد يطبع منها ٢٥٠٠ نسخة مثل « مجلة المباحث الحديثة فى الكيمياء » و « مجلة مجمع الرياضيات التركى » . وأذكر أن كتابا فى نظرية النسبية لزميلى الدكتور حسنى حامد نشر عام ١٩٣٥ فنفدت عشرة آلاف نسخة منه خلال السنة باعادة طبعه بضع مرات . وهذه الارقام تدلنا الى أى حد تعنى حكومة تركيا ويعنى الشعب التركى بالثقافة العلمية والفلسفية والفنية . واذا أرادت مصر أن تحيا حياة فكرية صحيحة وتنشىء لنفسها ثقافة تقيم عليها أساس تمدنها فلا أقل من ٣٠٠ كتاب سنويا يجب أن تنقل اليها من اللغات الاوربية على مدى عشر سنين أو نحو ذلك . وتكاليف هذا كله لن يزيد على المليون . فاذا كانت ميزانية الدولة تتسع لنصف مليون جنيه سنويا للازهر فلا معنى لأن تضيق بمائة الف جنيه فى سبيل نشر الثقافة العالمية ، وان كان الذى يربط الدولة بالازهر ذلك الماضى الذى خرجت منه مقيدة اليه فليس ذلك يعنى أن تنقطع عصر عن موجة الفكر الانسانى وروح العصر وتبقى مربوطة الى الماضى فلا تعمل على تلقيح الفكر المصري بالافكار الجديدة فى العلم والفلسفة والتاريخ والأدب . وبجانب هذا لابد من برنامج للتعليم يقوم على أساس علمانى لجميع طبقات الشعب ، ويكون التعليم اجباريا حتى الابتدائية كما فى تركيا ، ومجانيا على جميع مراتب التعليم . فهذه تركيا وميزانيتها لاتزيد على ١٨٦ مليون جنيه تركى أو حوالى ٢٧ مليون جنيه استرلينى ، مع قيامها بأعباء نفقات جيش لجب وأسطول جوي وبحري للدفاع عن نفسها باذلة من أجل ذلك أكثر من ٤٠ فى المائة من ميزانيتها ، فانها تقوم بتعليم عشرة آلاف شاب فى المدارس العسكرية مع تكفلها بشؤونهم من المأكل الى الملبس والمسكن ، وزيادة على ذلك قد جعلت التعليم مجانيا على جميع مراتبه حتى بالجامعة ، واجباريا حتى التعليم الاعدادى ، فان لم تضق ميزانية تركيا عن ذلك بتدبير رجالها

فلا معنى لأن تضيق ميزانية مصر عن ذلك وهى أعظم ثروة من تركيا

فان تجاوزنا هذا كله الى مدارس الفكر فى مصر وجدنا أننا ازاء ثلاث مدارس :

الاولى : المدرسه القديمة « الازهر »

الثانية : مدرسة النهضة الاوربية « الجامعة »

الثالثة : مدرسة التحرير الكامل « شبلى شميل ، اسماعيل مظهر ، زكى أبو شادى ، سلامة موسى »

فالمدرسة الأولى تمثل مذهبا فكريا يرجع لمذاهب القدماء فى التفكير والعكوف على الطريقة التقليدية ، وترجع بالحادثات الى ماوراء الطبيعة ، وتجرى وراء علل الاشياء الاولية والاخيرة . وهذه العقلية عقلية غيبية صرفة تبرز لك من ثنايا التاريخ فى عصور التاريخ المظلمة ، فى القرون الوسطى . وتحليل عقلية هذه المدرسة لن يرضى الكثيرين من الباحثين ، فقد تكون نفوسهم تشربت تعاليمها ، وقد يكون الكثير منهم مؤمنا بأن هذه العقلية إذا ماتغايرت أو انتابها شىء من التغاير تقوّض ركن العقيدة وانهار قائم اليقين ! فمن الصعب جدا أن تحلل العقلية القديمة بما يرضى نزعة هؤلاء ، وفى الوقت نفسه نتزل على قواعد النقد الحديث . وهذه العقلية إن بدت لك فانها تبدو لك فى جمود ، إذ هى ترى كل شىء ساكنا رغم أنه متحرك . فالاجتماع ساكن رغم ماينتابه من التغاير الملموس ، والكون ساكن رغم أن سنن الوجود تقذف به ملايين الاميال الى الأمام ، وكل مافى الكائنات لايتغاير مع أن الشمس تشرق كل يوم عن جديد !

وهنالك مظهر ثان هو تقديس الماضى والانصراف عن الحاضر . فهذه العقلية تعتقد خطأ أن خير الايام مامضى (أنظر « تاريخ قديم » للشاعر التركى الكبير توفيق فكرت ، ففيه ينقد هذه العقلية نقدا شديدا) وتتخذ لنفسها منظارين أحدهما مصغر أسود إذا مانظرت الى الحاضر أو أردت استبانة المستقبل ، والآخر منظر مكبر إذا مانظرت للماضى (الرسالة العدد ١٢٦ من السنة الثالثة ـ ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ مقال « أمس وغدا » للاستاذ أحمد أمين ص ١٩٢٣ — ١٩٢٤)

هذه قرارة عقلية المدرسة القديمة : جمود ، وتقديس للماضى ، وانصراف عن الحاضر ونكران لكل مطالب الحياة ، وتواكل على القضاء والقدر ، واستسلام صرف لما سوف يأتى به الغد ، وإغفال محض لمواعظ الماضى وعظاته . وهذه عقلية توافق الانسان فى غرارته الأولى وبساطته عند ما أخذت صدفة الفكر الانسانى تتفتح فى عصور الظلمات الأولى عن جرثومة الفكر التى نشأت معها بدايات الفن وأوليات الفلسفة والعلم

وانك مهما مضيت فى الاستقصاء فلن تخرج من طول بحثك عن الاعتقاد بأن عقلية المدرسة القديمة عقلية تركزت من حول مجموعة من الاثريات وحول تفسيراتها الحرفية التى يفسرها به أئمة الدين ورؤساؤه ، فتؤخذ على أنها حقائق ثابتة لايأتيها الباطل ، ولايلتفت الى معانيها المجازية

التى يأخذ بها المجتهدون المجددون وأهل الثقافة الواسعة ، وان كنت أرى تحتيم التفسير المقارن .

وهذه العقلية مع جمودها تعتقد خطأ أن الشرائع موحى بها من عند الله وتثبت عند هذه الشرائع قانعة بان التغاير لو انتابها لانهار قائم المجتمع و تقوض ركن الجماعات وأصبح الناس فى حالة من الفوضى لا نظام لهم ولا أخلاق تردعهم عن فعل الشر وارتكاب الآثام . وكأنى بهم إذ يرون أن هذا النظام الاجتماعى نتيجة شرائعهم يتدرعون بان يجعلوا لها مصدراً سماويا ، جاهلين أن كل مافى المجتمع مظهر من مظاهره يحدثها وجود الجماعة وتتبع الجماعة فى تطورها ، وبتعبير آخر كل مايقوم فى جسم الهيئة الاجتماعية من المظاهر انما هى من الحاجات التى يتطلبها وجوده ، لم تنزل من السماء ولم يهبط بها وحى وهذا مايقرره علم الاجتماع

وهم باعتقادهم أن الشرائع علة وجود المجتمع وأن ثباته مرهون ببقاء هذه الشرائع انما يضعون أمام تيار التقدم عراقيل ، فان كل شريعة مهما كانت نافعة فى وقت سنها فانها بلا شك تحوى جرثومة تعارض الرقى فى المستقبل ، لأن الشريعة تأخذ بطول المكث شكلا عديم الحركة وتثبت عند قاعدتها جامدة فى حين أن المجتمع يترقى ويتطور ، فاذا حصل ذلك فان المجتمع يتخطى هذه الشريعة المتحجرة إلى سواها مما يتفق ومقتضيات الزمان . فاذا أعطينا شريعة من الشرائع حق البقاء على توالى الدهور بغير تنقيح فانها تقعد بالمجتمع عن الترقى ، ولا أظن أن ابليس لو أراد أن يجعل أمة تنحط لما بلاها باكثر من هذه العقلية فأنزلها الى الحضيض . وهذه العقلية هى التى أنزلت سوطها على « العقل » من أجل نزعاته الحرة وكانت السبب فى الصدام الذى وقع بين رجال العلم والكنيسة فى القرون الوسطى (أنظر لصاحب هذا المقال **Misir hatiralari ve Azhar hayati** فى مجلة **Ftkir Hareketleri** 1934 — 1935)

وهذه العقلية محورها الأزهر ، وقد أطلق اسم « الأزهر » على كثير من المعانى ، فاستعمله « ويلسون كاش » على أنه الجامعة التى يتلقى فيها المسلمون فقه الشريعة المحمدية وعلم أصول الاسلام غير أن الواقع غير ذلك . فالأزهر بعيد عن روح الاسلام ، إذ الاسلام يقوم على دعامتين القرآن الشريف وحديث الرسول (ص) وسنته ، وإن كان حقيقة كل مايدرس فى الازهر انما هو تمهيدات لهما ، فالحديث بعيد عن انه كلام النبى (ص) حتى أن الامام أبا حنيفة لم يصح عنده غير أربعة عشر حديثا ، أما القرآن الكريم فقد فسر تفسيرا أخرجه عن معناه الأصيل ، ولا أغالى ان قلت ان مايفهم الآن تحت ضوء التفاسير من القرآن لم يكن الاسلام فى صدره الأول يعلمه ويدريه . فمن هنا لا أجد بدأ من رفض رأى ويلسون كاش وتقرير الواقع فى أن الازهر يقوم للدفاع عن الاوضاع الاعتقادية التى اصطلح الجامدون فى العالم الاسلامى على أنها الاسلام ، ولقد أبى المتصوفة والمجتهدون من أهل العلم السليم الأخذ بها ، نازعين الى تفاسير جديدة لا يرضى عنها الازهر بل

يعدّ أصحابها فى حكم الهراطقه مع أنهم من أخلص خدمة الاسلام ، وبعبارة أخري ان الازهر فى جملته يسند أهل الظاهر وحدهم ، مقاوما العاملين على ايجاد التلاؤم بين نصوص الدين من جهة وبين الدين والعلم من جهة أخري . ويهمني ان أشير هنا الى مسئلة هامة تتعلق بتفسير القرآن الشريف فانى أعتقد أن تفسيره يرجع الى دراسة دقيقة لمذاهب ذلك العصر وأفكاره مع تعمق فى النواحى الأدبية والتعابير التى كانت تستعمل فى ذلك العصر ، ومع استفاضة بدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى كيفت تاريخ العرب فى زمن الرسالة (أنظر كتابى Islam Tarihi الذي نشرته « جماعة تمحيص التاريخ الشرقى » المجلد الأول)

لقد درست النظم الازهرية وتلقيت جانبا من دروس العربية فى رحابه فيمكننى أن أقول مطمئنا ان كل مايدرس فى الازهر لايخرج عن العكوف على جهد العقول الغيبية ، وكل المعارف الازهرية تمهيدات للقرآن الشريف والحديث ، فدروس الادب واللغة والتاريخ تدرس من حيث هى وسيلة لفهم القرآن والدين ، وانك لو رأيت بعض ضروب المعرفة المنبهة من العلوم قد أخذت طريقها الى مايدرس فى الازهر فى السنين الاخيرة فليس ذلك للعلم من أجل العلم بل لتستخدم كوسيلة لخدمة نصوص الدين ، وياليته يحسن استخدامها مع ذلك . وهكذا يخضع كل شىء فى الازهر للدين . وهذه الروح التقليدية التى ترفرف فى جنبات الازهر لايمكن للعقل الحر أن يحيا فى ظلها ، لهذا لن تقع فى تاريخ المدرسة القديمة على عقل حر ، أى على عقل ثار على تقاليد الماضى ، وخرج على أساطيره ، وان تظاهر لك أنك قد عثرت عليه فما ذلك الا سراب خادع

ان للمدرسة القديمة روحا ثابته قرارتها الايمان العميق بما أورثته لنا العصور السالفة ، فان خرج بعض أبناء هذه المدرسة عليها فذلك يرجع لطبيعة نفوسهم وما أحاط بها من فواعل الحياة

فاذا تركت هذه المدرسة للمدرسة الثانية (وتمثلها الجامعة المصرية) وجدت انها نتيجة شعور عميق بالأخذ بأساليب الغرب ، فقد غمر العالم الشرقى بعد ذهاب المدنيه الاسلامية مد من الجمود والتعصب قضى على البقية الباقية من حضارة القرون الوسطى ، وكان طابع مصر طول هذه المدة حتى أواخر القرن التاسع عشر شبها كل الشبه بذلك الطابع الذى تراه بارزا بين صفحات التاريخ فى القرون الوسطى خلا فترات قصيرة فى القرن الاخير أرسلت المدنية الاوربية خلالها شيئا من أشعتها المضيئة النافذة الى أغوار العقلية المصرية ، حيث تحجرت بها أسباب النشوء عن الارتقاء وقعد بها ثبوت ظروف الحياة وأحوالها عن التطور فلم تتغاير . فى هذه الفترة انتقل ميزان المدنية الى الغرب وتمخض القرن السادس عشر عن عصر نهضة فكرية شكت فى الاسلوب التجريدى وأخذت بأساليب التجربة والاستقراء والمشاهدة ، وهكذا تبدل العقل من محض

التأمل النظرى الى اتخاذ أسلوب قيم فى البحث بينما كان الشرق فى ظلام ليله الحالك عاكفا على الاصول القديمة والمماحكات اللغوية والاختلافات المذهبية التى لاطائل تحتها . وتمخضت مدنية الغرب عن الحضارة الميكانيكيه ، وفعلت هذه الحضارة فعلها فى اقتراب العالمين الشرقى والغربى وكانت نتيجة هذا الترابط أن غزا رجال الغرب بلدان الشرق راجين نشر ثقافتهم والتبشير لمعتقداتهم وترويج تجاراتهم ونشر لغاتهم

وكان النضال بين هذه الطوائف شديداً ، وكان ذلك فى صالح الشرقيين : فقد أسس المرسلون الأمريكان بيروت كليتهم ، وأسس الفرير معاهدهم بمصر ، واخذت بذور المدنية الغربية على أيديهم تنتقل إلى الشرق . واقترنت هذه الحركة بقيام محمد على فى مصر ومحاولته إقامة امبراطورية على أنقاض امبراطورية آل عثمان ، فأخذ يستمد من الغرب أسسه ليشيد عليها دعائم دولته ، وكان أثر كل هذا كبيراً إذ تنبه الناس من سباتهم وأخذوا ينفضون عنهم غبار الجمود . وكان لمدرسة شبلى شميل المادية فى مصر ويعقوب صروف العلمية أثر كبير فى نشر العلوم الغربية ونقل الثقافة الأوربية إلى الناطقين بالعربية ، هذا إلى أن خريجى البعثات الأوربية وجامعة بيروت أيقظوا فى الشعب شعوراً عميقا بلزوم جامعة لهم يتلقى فيها أبناؤهم مذاهب المعرفة الحديثة ومبادىء العلوم الايجابية وفعل هذا الشعور فعله فكانت جهود كثيرة انتهت إلى تأسيس الجامعة سنة ١٩٠٨ م

أسست الجامعة على شعور بالحرية الفكرية ، إلا أنها لم تقدر على التخلص من آثار العقل اللاهوتى العاكف على التقاليد ، فحالة مصر الاجتماعية وتغلغل التقاليد فى صميم النفسية المصرية كانتا سبباً قويا فى قيام الجامعة قريبة من روح الجماعة المصرية مشوبة بشىء من التقاليد . وهذه التقاليد كانت سببا جوهريا فى تضييق الجو الفكري فى سماء الجامعة — نعم لقد دعت الجامعة فى بدء تكوينها نفراً من الباحثين الغربيين لتدريس العلوم والآداب وعلى أيديهم تخرج نفر من قادة الفكر فى مصر الحديثة . وكان أثر بحوث هؤلاء المستشرقين فى الأدب العربى كبيراً . فقد تحرر طلبة الجامعة من الطريقة القديمة وأخذوا بالطريقة التحليلية العلمية ، كما كان لدروس علماء الغرب فى علوم الطبيعيات والكيمياء والحياة آثار كيفت بعض نواحى العقلية الحديثة على نمط علمى . وما أخذت الجامعة تخطو خطواتها للأمام حتى اصطدمت بعقبة الحرب العظمى وماجرت من عسر مالى فوقع الخلاف بين أعضاء الادارة وظهر الميل الشديد للاقتصاد ، فاستغنى عن كثير من رجال الغرب ، وأضيفت دروسهم إلى أساتذة لم يأخذوا بحظ كبير من الروح العلمية المكونة مدار حجر الرحى فى الفكر الأوربى الحديث ، ورجعت الجامعة إلى الوراء آخذة لنفسها مذهبا وسطا بين مذاهب القدماء التقليدية ونزعات المحدثين الارتقائية

وعقلية الجامعة المصرية تمثل عقلية النهضة الأوربيه التى تظهر لنا من ثنايا التاريخ فى القرن

السادس عشر ، فهى عقلية لم تخلص من آثار الماضى وإن أخذت بأسس الحاضر

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة التحرير الكامل ، وهى أثر جماعات من شباب العالم العربى ومصر بالثقافة الأوربية وانتهالهم من مواردها الخصبة فاستقام تفكيرهم مع التفكير الغربى فقاموا ينادون بتحرير العقلية المصرية من كل آثار الماضى ووجوب انتحالها لعقلية الغرب . وزعيم هذه المدرسة شبلى شميل الفيلسوف السورى المشهور الذى أحدثت آراؤه أثرا كبيراً فى الحياة الفكرية المصرية . فهو أول من حمل لواء التفكير الحر فى الشرق العربى ونادى بالحرية الفكرية وكون مدرسة فكرية تخرج فيها أمثال اسماعيل مظهر وسلامه موسى وعصام الدين حفنى ناصف وغيرهم من زعماء التجديد الفكرى فى الوقت الحاضر

واسماعيل مظهر يحدثنا صراحة فى مقدمة كتابه (ملقى السبيل) عن تأثير آراء شبلى شميل فيه ، وكذلك تحدث عصام الدين حفنى ناصف فى أحاديثه المختلفة لمعارفه ، وبهذا تكلم سلامه موسى أيضا

والمدرسة الحديثة مدينة بجانب من آرائها لمدرسة المقتطف فعلى صفحاتها عرف الجمهور اسماعيل مظهر وسلامه موسى وغيرهما ، وقد قامت المدرسة الحديثة على مبدأ تلقيح الفكر العربى بنتاج الفكر الأوربى وشاركه فى ذلك سلامه موسى وعصام الدين ناصف . وكانت المدرسة الحديثة فى ذاتها تنقسم إلى ثلاث فرق :

(١) المعتدلين وعلى رأسهم اسماعيل مظهر ، و (٢) المتطرفين وعلى رأسهم سلامه موسى ، و (٣) العدميين وعلى رأسهم عصام الدين حفنى ناصف

ومن أعلام المدرسة الأولى الدكتور زكى أبو شادى ، وقد لخص آراءه فى رسالته المعروفة « مذهبى » . ويصح أن نعده إذا شئنا مؤسساً لمدرسة رابعة مجددة وإن تكن غير متجردة ، فلا هى بالمتطرفة تماما ولا هى بالوسط . وقد كيفت له هذا الموقف نزعته الصوفية العلمية ورغبته المخلصة فى خدمة جمهرة المسلمين بنقلهم إلى نور العلم الصوفى حينما قنع غيره بتجاوزهم والانصراف عنهم . ولولا نكبته المالية كما نكب اسماعيل مظهر، ولولا ما لاقاه ومايزال يلاقيه من صنوف المحاربة والكيد لكانت لجهوده الدينيه الاصلاحيه ثمرات فوق ما لها من ثمرات الى جانب ما أثمرته جهوده الأدبية فى الفن الشعرى والنقد الأدبى والدراسات الانسانيه ، وقد نوه بذلك خليل مطران بك والدكتور على العنانى والدكتور زكى مبارك وغيرهم

انصرفت جهود المعتدلين الى البحث العلمى والتدقيق بينما ذهب المتطرفون إلى قومية لم يعرف التاريخ الحديث حركات أشد منها فى مصر ، أما العدميون فضوا للاصلاح الاجتماعى وانصرفوا

له . ولكن حدث ما ذهب بقوة المدرسة الحديثة فقد أصيبت جماعة المعتدلين بنكبة يوم تعطلت مجلة « العصور » منبرها وتكسر قلم زعيمها بعد ما أصيب بخسارة مالية جسيمة ويوم قدم عصام الدين حفنى ناصف للمحاكمة بتهمة الشيوعية ، ويوم تنكرت الايام لسلامة موسى فأخذ يعانى مجهوداً كبيرا فى المثابرة على زعامة المدرسة

كان ذلك كله عام ١٩٣١

ولم يكن لذلك من سبب إلا أن المدرسة الحديثة لم تقم على شعور طبيعى فى جماعة تؤمن بها حتى تدافع عن نفسها ، وانما قامت على شعور أفراده ، ولم تلق من نجاح إلا بقدر ما لاقت من قبول لدى الجمهور ، حتى أنه لما قامت مدرسة التحرير الأدبى عام ١٩٣١ على يد الدكتور أحمد زكى أبى شادى لم تتمكن رغم كفاحه وصلابته من الحياة أكثر من ثلاثة أعوام . فهنا جميع الحركات التجديدية فاشلة لانها لا تقوم على شعور طبيعى ومعاضدة بين المفكرين الاحرار وان لم يناف ذلك نموذ أثرها بمرور الزمن . ولا عبرة باستمرار جهود الدكتور زكى أبى شادي ، فهذه مستمدة من شخصيته القوية وايمانه الراسخ ومن حيويته الفذة ، وليست مستمدة من التساند المدرسى أو الوفاء التام لها « أنظر كتاب Abushády: ThePoet لصاحب هذا المقال »

وانى أنتهز هذه الفرصة لادعو المفكرين الاحرار فى العالم العربى وفى مصر خاصه لتأسيس ندوة تجمع شملهم وتدافع عن قضيتهم العادلة وتعرف الحكومه موقفها الطبيعى أزاءهم فى احترامهم وتعمل على خلق جيل يشعر بالحياة الحرة ويعمل على ادماج مصر فى الاسرة المتحضرة العالمية

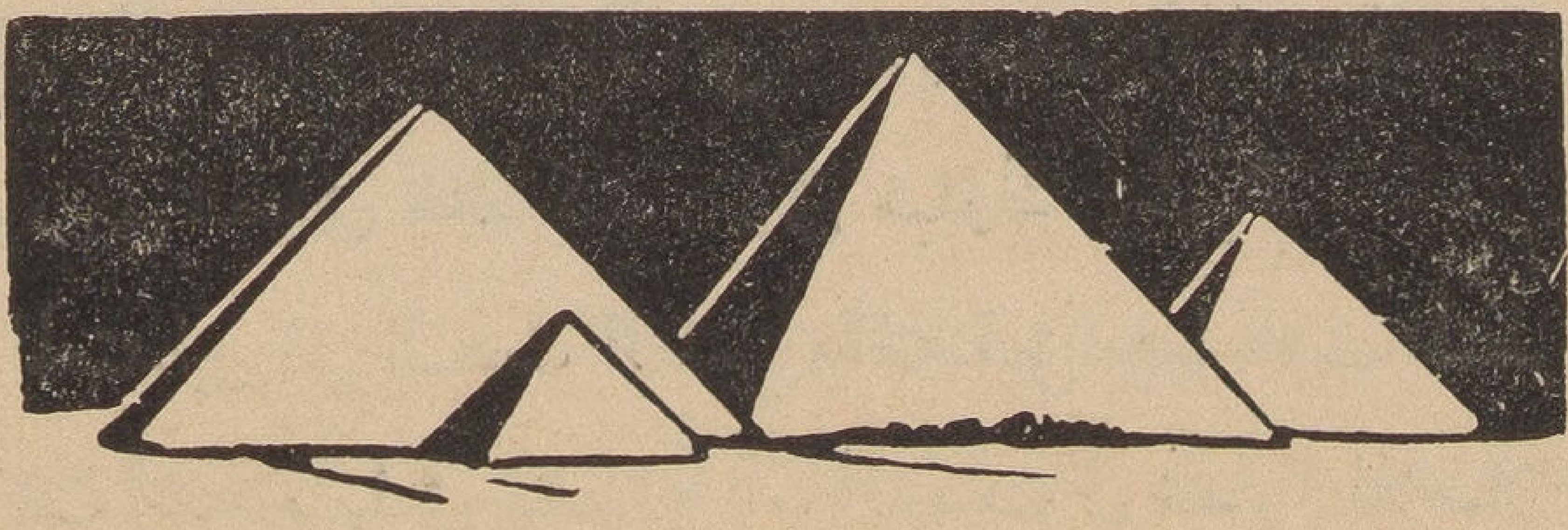

الحركة الرومانتية والادب العربي

لسلامة موسى

ما هي الحركة الرومانتية ولماذا يحتاج اليها أدبنا العربي ؟

المشهور في تاريخ الآداب الأوربية أن الحركة الرومانتية ابتدأت سنة ١٧٦٠ وماتت سنة ١٨٦٠ ولكن هذه الأرقام ليست حسابية بل تقريبية فان هذه الحركة احتاجت إلى نحو قرن اختمرت فيه قبل أن تظهر . كما أنها لم تمت حتى وقتنا هذا موتاً أكيداً . وانما تعين التواريخ بالأرقام لكي تساعدنا على الفهم فقط

وذلك أنه عقب النهضة الأوربية ساد العقل وأصبح الدرس مرانة عقلية شاقة . وتجرد الذهن أو حاول ان يتجرد من أساطير القرون الوسطى وزخارف العقائد والخرافات ومضت ثلاثة قرون على هذه المرانة العقلية بما فيها من قسوة النظر المنطقي وجموده ، فلما كان منتصف القرن الثامن عشر سئم الناس هذا النظر العقلي الشاق . فكانت الثورة الرومانتية . ولهذه اللفظة ملابسات أولى لا تشرفها ولكنها تبين اتجاه التفكير في بداية الحركة . فهـا كانت تعني في أول ظهورها الخطأ العلمي أو المنطقي أو الاندفاع وراء الخيال والأساطير . ثم ارتقت بعد ذلك إلى الايمان بالعواطف والاكبار من شأن الاحساس ازاء العقل. فاذا كنت رومانتيا فأنت حساس أكثر مما أنت عاقل . أو أنت تحترم عواطفك وان كنت لا تحتقر عقلك . ثم اشتبكت الحركة بملابسات جديدة . فكما أنها ثورة العواطف على العقل كذلك هي ثورة الشخصية على القواعد والتقاليد . فان الأديب الذي كان يقول لنفسه : لماذا لا أحترم احساسي ازاء عقلي قد أصبح يقول :

جان جاك روسو زعيم الحركة الرومانتية في الآداب الاوربية

لماذا لا أحترم شخصيتى ازاء هذه القواعد والتقاليد التى ورثناها ؟

وتعد سنة ١٧٦٠ الافتتاح الرسمى للحركة الرومانتية لأن جان جاك روسو اندفع يؤلف كتبه المشهورة مثل « اميل » وكيف يجب أن يعنى فيه بالاحساس . وكيف ان العلم أضر بالناس . وكيف أن الحضارة وقواعد الاجتماع تعوقان السعادة وان العودة إلى الطبيعة يجب أن تكون مفتاحا إلى السعادة . ومن هنا كبر شأن الحال الفطرية والرجل البدائى ازاء الحال المدنية والرجل المتمدن . بل رأينا بعد ذلك فى سان بيير وغيره من يصفون عيشة الرجل البدائى كأنها النعيم الذى ضاع من المتمدنين بمدنيتهم . والدعوة إلى الطبيعة تعنى فى بعض معانيها كراهة التصنع بل كراهة الثقافة كما تعنى كراهة القيود الاجتماعية أو القيود التى يقول بها العقل ثم هى بعد ذلك ثورة على النهضة نفسها ولذلك رأيناها فى بعض الأحايين تقف فى صف القرون الوسطى وأساطيرها الجميلة وعقائدها الحلوة ازاء النهضة المقيدة بالعقل وقواعد المنطق

ومتى ثار الأديب على المنطق والعلم والعقل وقواعد الاجتماع وقيود المدنية فانه يعود رومانتيا يدعو إلى الانطلاق من جميع هذه القيود . ولكن أين تكون مرساته التى يرسو اليها فى هذه الفوضى ؟

تكون فى الشخصية الانسانية التى يجب أن تحترم . فالرجل العامى الذي لم يتعلم يرتفع هنا الى مقام العالم . والشاب الذى يندفع فى نزوات الشباب له قيمته ازاء العقلاء الذين يحترمون العرف . ومن هنا مؤلفات روسو . واندفاعات بيرون ونزوات شيلى . والاحساس المكبر فى آلام فيرتر وتأملات لا مارتين . بل من هنا قصص سكوت عن القرون الوسطى

والآن ما شأن هذا الكلام والادب العربى ؟

شأنه كبير جداً فان الادب العربى الحديث فى أسر الثقافة العربية مقيد بقواعدها سواء منها قواعد اللغة والنحو أم قواعد الطريقة فى الدرس والتثقف أم اختيار الاخيلة والاساليب بل اختيار الموضوعات

وقد جمدت الحركة الادبية لهذا السبب وهى أجمد ما تكون عند أولئك المنغمسين فى الثقافة العربية القديمة الذين يحترمون قواعدها مثل الرافعى والزيات وخريجى دار العلوم . ولكن معظم أدبائنا لا يزالون فى هذا الاسر . فان العقاد والمازنى بل وأيضا طه حسين ، يكتبون — بالحرف أو بالروح — كما كان يكتب أدباء الدولة العباسية . وهم لهذا السبب عرفيون فى نظرهم الاجتماعى كما هم عرفيون فى أسلوبهم الكتابى مع فروق واختلافات قد قهروا عليها لاثر البيئة فيهم . ويمكن أن نعد انشاء المجمع اللغوى بهيئته ونظامه الحاضرين برهانا على أننا بلغنا درجة التحجر فى الادب التقليدى

ولست انصح بإيجاد حركة رومانتية فى الادب العربى فان مثل هـذه الحركة يجب أن تكون مولودة وليست متبناة . أى يجب أن نجد دوافعها الاصلية فى أعصابها وعقلها الباطن ولبيدها أى بخارها المحبوس . ونحن الآن فى حال مظلمة تجعلنا أحيانا نفضل الجهل على الثقافة . بل وجدنا ما يبرر هذا التفضيل . فان الاغنية التى يؤلفها الفلاح الامى خير من القصيدة التى يؤلفها شاعر مثقف من شعرائنا المتحجرين . وهؤلاء الادباء السوريون الذين يعيشون فى أمريكا قد استطاعوا أن يبرّزوا فى الانتاج وكادوا يكونون رومانتيين لانهم جهلوا الثقافة العربية أو هم لم ينغمسوا فيها إلى حد التقيد بها لأنهم بعيدون عن البيئة الثقافية العربية أرضاً وروحا . والأدباء المسيحيون فى الشرق العربى كله يفضلون الأدباء المسلمين من هذه الناحية أي انهم لا ينغمسون الانغماس التام فى الثقافة العربية فلا يتقمصون روحها ولذلك تسهل عليهم النظرة البكر ونبذ العرف والتقاليد . وهنا أذكر فرح أنطون الذى كاد يحدث نهضة فى العالم العربى بابتكاراته فى ألوان مختلفة من النشاط الأدبى . والغريب ان أعظم ما ينتقد عليه إلى الآن قلة دراسته للغة العربية . ولكن هؤلاء الناقدين ينسون انه التفت إلى داعية الحركة الرومانتية فى أوربا وهو جان جاك روسو ونقل بعض مؤلفاته كما نقل بعض قصص سان بيير ولو أنه كان منغمسا فى الثقافة العربية لما التفت اليها

ولكن هل بعد كل هذا نقول أن الأدب العربى خلو من الحركة الرومانتية ؟

فالجواب على هذا السؤال هو النفى . فان فى توفيق الحكيم شيئا من هذه النزعة الرومانتية . وهو من هذه الناحية يقاطب مصطفى الرافعى . فان توفيق الحكيم سواء بالموضوع الذى يختاره أم بالطريقة التى يعالجه بها أم بالنزعة الفنية بعيد البعد كله عن الثقافة العربية كأنه لم يقرأ قط كتابا عربيا . أما الرافعى فمجموعة من التقاليد والقواعد العربية المتحجرة . بل نزيد على ذلك ونقول ان النظرة البكر التى نظر بها هيكل وطه حسين لنبي الاسلام تدل على نزعة رومانتية الى حد ما . وقد شرعنا نجد مثل هذه النزعة فى المازنى الذى يحبب الينا نظر الاطفال للدنيا . ولكن المازنى وطه حسين والعقاد وغيرهم قد أفسدتهم الثقافة العربية افساداً عظيما وفرضت على أذهانهم بل نفوسهم ضرائب باهظة

الجرار المصرية وملكة رومانيا

ان الخزف فى بلادنا المصرية منتشر فى كل مكان ، ولكنا لا نتخذه وسيلة لتعليم بناتنا ، وبنينا مالا تعلمه الكتب ، ويقول علماء التربية انه ينبغى أن يكون للعقول أيد . كما ينبغى أن تكون للأيدى عقول . ومعنى هذا أن المبادىء العقلية وحدها لا تكفى ، بل يجب أن تتسرب الى الايدى حتى تعمل . ولا أزيد القارىء تأكيدا أن البنت تتعلم من صناعة الخزف مثلا ، الرسم والنقش وحب العمل والصبر والدقة والذوق السليم وحب الجمال وعدم احتقار الاعمال الصغيرة اليدوية وعدم الترفع عن الأعمال المنزلية ، أيا كانت الخ

منذ بضعة أشهر افتتح مخزن صغير جدا للتحف فى أحد ميادين القاهرة وأجملها ، وكان ابدع هذه التحف مصابيح كهربائية نصبت على أوعية من الخزف . وبعد البحث عن صانعى هذه المصابيح وجدت أن سيدة روسية اتخذت بضع فتيات لنقش بعض الأوانى الخزفية المصريه طبق رسوم وضعتها لهن . ولا يمكن أن يصدق الرائى بعد مشاهدة هذه الأوانى المنقوشة بالالوان ، المنمقة بالزخارف . انها عين الاوانى المصرية التى يصنعها صناع الفخار الفلاحون المساكين

منذ بضعة أيام سألت أحد تجار العاديات فى الوجه القبلى عن نوع الاشياء التى اشترتها ملكة رومانيا وكريمتها ، فاجاب أنها اعجبت بجميع التحف والمصنوعات المصرية ، وابتاعت عشرة «جرار» من البلينا ، وقد حمل المدير جرة وحكمدار البوليس جرة والمأمور جرة ومعاون البوليس جرة الى الباخرة النيلية التى كانت تقلهما ، وكان منظر الجرار مضحكا . وقد كان « جرة » العسل الخالية من العسل موضع الحسد من الجميع لأنها حظيت بهذا الشرف العظيم . وعند عودتى إلى القاهرة سألت بعض العارفين والعارفات الحكمة فى اختيار الجرار ، فقيل لى انها وجميع الأوانى الخزفية فى مصر على خشونتها وعدم تعدد أشكالها ، تصلح للنقش والزخرفة على سطحها ، مما يجعلها أوانى بديعة للزينة

ا . ب .

قصة النزاع بين البيض والسود

للاستاذ نقولا يوسف

فى مقدمة النقط التى يتلاقى عندها العلم والدين ماتقول به نظرية التطور أن الناس كلهم من صل واحد . إذ الأرجح أن يكون هناك نوع بشرى واحد بدأ ظهوره فى آسيا أو فى غيرها بعد أن قطعت الأحياء شوطا بعيدا فى سلم التطور .. ثم حدث التنوع والاختلاف بين البشر باختلاف اتجاه الجماعات وتباين البقاع التى استوطنوها أزمانا طويلة .. إذ أن للبيئة الطبيعية كما لا يخفى وما بتلك البيئة من مؤثرات المناخ والغذاء وأسلوب العيش وغيرها أثرا بالغا فى تكييف الأجسام وتنوع الألوان . كما أن لها أثرها فى العادات والخلق .. وبذلك تنوعت السلالات البشرية وظهر بينها أقوام من البيض والسود والصفر والحمر ، ويرجع ذلك التنوع الى ماقبل تاريخ الانسان المعروف بزمن يترامى فى القدم

أما السود فهم الذين لوحت شمس المنطقة الحارة بشرتهم وميزتهم الاعتبارات الجسدية الوراثية عن غيرهم ، وحالت مؤثرات بيئتهم وعزلتها بينهم وبين التحضر والاندماج فى الامم ، وكان لذلك الرزق الميسور الذى تفيض به الغابات والمراعى حولهم ، وماالذلك الجو المرهق الشديد الحرارة ماحملهم على التراخى فى الكد أو التفنن فى التماس سبل العيش أو الاهتمام بالمستقبل . فهم يعيشون فى الحاضر قانعين بالكفاف ، يحيون حياة ساذجة فطرية مستسلمين للمقادير ، معللين الظواهر الطبيعية بالسحر وفعل الأرواح

ويقال ان عدد الزنوج يزيد اليوم على ١٢٠ مليونا ، منهم من يعيش على الصيد والقنص ومنهم من يحترف الزراعة أو الماشية ، ومنهم من تحضر وبذ البيض فى الرقى والثقافة مثل القليل من زنوج الولايات المتحدة الامريكية

ويستوطن الزنوج بعض أنحاء المنطقة الحارة فى أفريقيا وجنوب آسيا ويعيش منهم نحو خمسة عشر مليونا فى أميركا وهؤلاء يرجع أصلهم الى افريقيا

« * »

أما زنوج أفريقيا فسلالات مختلفة يجمع بينها سواد اللون . ومن أشهر السلالات السوداء .

سلالة السود الطوال القامة ، المستطيلو الرأس ، الغليظو الشفة ، الفطس الأنوف المفلفلو الشعر ، الذين يقطنون المنطقة الممتدة من المحيط الأطلنطى إلى أعالى النيل .. والأقزام العائشون فى حوض الكنغو ... والبانتو وهم الخليط من السود والحاميين القدماء المنتشرون فى الهضبة الجنوبية من أفريقيا وهم أذكياء قابلون للرقى ... والبشمان والهوتنتوت الساكنون صحراء كلهارى والآخذون فى الانقراض ... ثم الفولة والزندة وهم نتيجة اختلاطهم مع الأحباش والحاميين ... ثم الأحباش ويسكنون ارتريا والصومال واتيوبيا وهم خليط من السود والحاميين ولقبوا بالأحباش لاختلاطهم

وزنوج أفريقيا بل جميع زنوج العالم تحكمهم وتسودهم الشعوب البيضاء ، بما فى ذلك جمهورية ليبريا بغرب أفريقيا التى أسستها الولايات المتحدة الامريكية ليهاجر اليها زنوجها اذا شاءوا الاستقلال والبعد عن المشاكل .. وهذه الجمهورية تخضع فى الواقع للحماية الامريكية وليس لها من الاستقلال إلا الاسم . وكانت الحبشة ، حتى العام الماضى الدولة التى يستقل بها العنصر الاسود ثم خضعت أخيرا لحكم البيض كما هو معروف

وقد نشأ عن سيادة الشعوب البيضاء على الشعوب السوداء مشاكل ، منها ما ظهر منذ أكثر من قرن كما حدث فى أمريكا وجنوب افريقيا وجنوب آسيا ، ومنها مالم يزل يحدث حتى الساعة حيث تصطدم مصالح البيض مع مصالح السود .. ومنها تلك المشاكل التى لابد أن يتمخض عنها المستقبل حينما ترتقى العناصر السوداء وتتثقف وتقوي فلا تعود ترضى بالذل ولا بالاستعباد

وتتلخص المشاكل الجنسية بافريقيا فيما يلى :

أولا — علاقة البيض بالسود بافريقيا الجنوبية . فمنذ نحو ثلاثة قرون استعمر الهولنديون جنوبى أفريقيا وكان جل أهله من قبائل البانتو والبشمان والهوتنتوت . فاضطرت تلك القبائل إلى الرحيل نحو الشمال تدريجيا أمام الغزاة من البيض .. ثم أخذت تلك القبائل تتكاثر على مر السنين وتزداد صلة بمدنية البيض ، فظهرت مشكلة أقلية بيضاء مستعمرة تحكم أكثرية سوداء

وكان لحرارة الجو أن اضطر البيض هنالك الى الاستعانة بالسود ليعملوا فى المناجم وفى غيرها من الأعمال التى تتطلب مجهودا ، ولكن سرعان ما اتضح للبيض أن أكثرية هؤلاء الزنوج لاتميل إلى الأعمال المرهقة التى تقتضيها مصالحهم ، فأخذوا يجلبون كثيرين من عمال افريقيا الشرقية البرتغالية ، فزاد ذلك فى المشكلة الاقتصادية الجنسية فى جنوب افريقيا . وما زالت النار هناك مختفية تحت الهشيم

ثم أن بين البوير البيض وهم أول من استعمر تلك الجهات وبين الانجليز الذين ضموا جنوب أفريقيا الى امبراطوريتهم نفورا قديما واختلافات شتى . وهؤلاء البوير يحترفون الزراعة ويقتنون الرقيق الأسود ليعمل فى مزارعهم ، والانجليز يحاربون مبدأ الرقيق ويعملون على القضاء عليه

ثانيا — خلقت غزوة ايطاليا للبلاد الحبشية رغبة فى استعمارها مشكلا جنسيا جديدا سوف تظهر آثاره فى مستقبل الأيام . فان الأحباش وعددهم اليوم نحو اثنى عشر مليونا وبجانبهم أهل الصومال وارتريا وكلهم من جنس أسود متشابه يحكمه البيض، سوف يتصلون بهذه الغزوة مع العالم المتمدين وسيكون مثلهم معها مثل شعب المصرى حين فاجأته الحملة الفرنسية بحضارة جديدة ومبادىء جديدة فظهرت فيه لأول مرة فى تاريخه الحديث يقظة عامة أهم مظاهرها قوة الرأي العام .. أضف إلى ذلك أن الأحباش سيزيد عددهم على مر السنين وسيزداد عدد المتعلمين والزعماء المثقفين بالثقافة الاوربية بينهم . ثم يقومون كغيرهم من الشعوب المستعبدة بالثورة فى وجه الغاصب مطالبين بالحرية والاستقلال

وفى الشهر الماضى نشرت الصحف البرقية الآتية : « رومة فى ١٧ يناير — يؤخذ من تفاصيل قرار الوزارة الايطالية الأخير والمختص بصيانة النسل ، ورغبة فى حفظ الجنس الايطالى ، ان الايطاليين الذين يتزوجون أو يعاشرون نساء من السود فى مستعمرات ايطاليا بشرق أفريقيا يتعرضون لعقوبة السجن مدة تتراوح من سنة الى خمس سنين . ويقول القرار ان هذه العقوبة تطبق على ذلك النفر من الايطاليين الذين يختارون عشيرات لهم من النساء السود ناسين بذلك كل شعور بالكرامة والوجدان السياسى ! »

ولا بد أن الايطاليين يقلدون فى ذلك مافعلته المانيا أخيراً حين سنت قوانين نورمبرج وغيرها لتحفظ النسل الألمانى وما جاء فى كتاب هتلر المسمى « كفاحى » بشأن تنقية الدم الألمانى من جميع العناصر الغريبة عنه لأنها فى نظره أدنى منه

ومن ذلك يفهم أن الايطاليين سيعملون على الفصل بين العنصرين الأسود والأبيض وسيقاومون اندماجهما وامتزاجهما ليبقى جنسها الأبيض الحاكم متميزاً إلى الأبد ولو أن بقاءه إلى الأبد بعيد التحقيق . وبهذا العمل يظل المشكل الجنسي حياً . وكان من صالح السلم ومن مصلحة البشرية التى لاتميز بين الأجناس والألوان لو اندمج العنصران كما حدث بين الهنود الحمر الامريكيين وبين الغزاة البيض لاسيما من البرتغاليين والاسبانيين ، حيث قضى الامتزاج على الفوارق الجنسية وخرج منه عنصر قوى جديد . فالبرازيليون اليوم هم نتيجة الاختلاط بين البرتغاليين والهنود

الحمر والافريقيين السود . وفى شيلى تبلغ نسبة العنصر الخليط نحو ستين فى المـاية وفى بيرو نحو ٣٥ فى الماية

وثمة نتيجة أخرى لغزوة ايطاليا للحبشة هى اثارة الأحقاد الـكامنة فى كل بلاد السود بل فى كل بلاد الشرق التى يستعمرها الأوربيون نحو السادة البيض . وهذه الأحقاد لا تظهر الآن خشية الرصاص ولـكنها ستبقى ناراً كامنة تحت الرماد إلى أن يأتى الوقت المناسب لشبوبها وقد رأت تلك الشعوب المستعبدة أن عصبة الأمم لم تقو على كبح جماح ايطاليا وأنها إذا شاءت الحرية فلن تستردها إلا بقوتها واعتمادها على نفسها

ثالثا — كان من جراء استعمار الأوربيين للقارة الافريقية وتجنيدهم السود وارسالهم إلى الميادين الأوربية ثم ارسال البعثات الدينية والتعليمية والآلات ومظاهر الحضارة اليهم أن تفتحت عيون تلك الشعوب المتأخرة ورأوا الجنس الأبيض فى قوته وضعفه ، ومهما كانت هذه اليقظة الأولى صغيرة فانها مقدمة لمشكل مستقبل يوم يطلب السود المساواة مع سادتهم البيض أولا فى كافة الحقوق ثم يعملون على التحرر من عبوديتهم أخيرا وقد بدأنا نسمع اليوم بمسألة الجامعة السوداء التى ينادى بها بعض السود المتعلمين

« * »

أما زنوج آسيا فيقطنون اليوم جنوب الهند وجزر الهند الشرقية وتوجد أقلية منهم باستراليا وقد كانوا فى الزمن القديم يستوطنون معظم آسيا الجنوبية ثم اندمج الـكثيرون منهم فى الأجناس الأخرى كما حدث فى فارس والهند وغيرهما

أما فى الهند فما زال السود ذوو الشعور المجعدة والذين يشبهون السود الافريقيين موجودين جنوبها .. ويعتبر السود فى الهند الصينيه وشبه جزيرة ملقا السكان الأصليين لتلك البلاد ، وما زال هناك منهم كثيرون كما أنهم يـكثرون بجزر الهند الشرقية

أما فى استراليا فقد أخذ السود فى الانقراض وقد لا يزيد عددهم هناك على خمسين الفا يعيشون فى الجهات القاحلة من أواسط القارة وشمالها الغربى فى حالة فطرية منحطة

وهؤلاء السود الأسيويون والاستراليون مشتتون فى ظل الاستعمار الأوربى وليس أمامهم غير الاندماج فى الاجناس الاخري تدريجيا

« * »

أما زنوج الولايات المتحدة الامريكية الذين يبلغ عددهم اليوم نحو خمسة عشر مليونا فان لعلاقتهم بالبيض قصة طويلة تمثل شطراً هاما من تاريخ الولايات المتحدة الامريكيه وخلاصة هـذه

القصة كما ذكرتها مراجع ذلك التاريخ هى كما يلى :

بعد أن ذاع اكتشاف اميركا أخذت جموع المهاجرين الاوربيين تتدفق نحوها من كل صوب . وأخذوا يؤسسون المستعمرات . وسرعان ما اتسعت هذه المستعمرات وتوغلت من الشواطىء الى داخل البلاد وامتدت من شمالها إلى جنوبها . ولما سيطر الانجليز على الجزء المعروف اليوم بالولايات المتحدة ازدادت المستعمرات اتساعا ولكنها لم تكن متشابهة من الناحية الجغرافية اذ كانت الجهات الشمالية أكثر ملاءمة لسكنى المهاجرين لان مناخها شبيه بمناخ أوربا وكانوا يزرعون بها الحبوب ويربون الاغنام بينما كان الجنوب شديد الحرارة يعتمد أهله على زراعة الدخان والقطن والقصب. فأراد مستعمرو تلك الجهات الجنوبية تسخير الهنود الحمر فى الاشتغال بمزارعهم فلم ينجحوا فى ذلك فلجأوا إلى استيراد الزنوج من افريقيا وكان الجو ملائما هؤلاء الزنوج فتكاثروا ونشأت بذلك مسألة الرقيق الاسود

ولما ثارت تلك المستعمرات فى وجه انجلترا وحاربتها متحدة بقيادة وشنطن ثم انتهت حرب الاستقلال عام ١٧٨١ واعترفت انجلترا باستقلالها ، أخذ أهل تلك الولايات المتحدة يتحمسون للاصلاح وللمبادىء الديموقراطية ولم يشذ عن خطط الاصلاح الا مسألة حار الجميع فى حلها بالرغم من مقتهم لها وتلك هى مسألة استرقاق الزنوج . فان الرق لم يكن لازما لنظام الحياة اليومية فى الولايات الشمالية ولا يؤثر الغاؤه فى حالتها الاقتصادية بينما كان نصف سكان الجنوب من الرقيق الذين تتوقف على أعمالهم موارد الثروة . ولو الغى الرق يومئذ فى الجنوب لحدث انقلاب صناعى خطير

ولما عقد مشرعو أميركا وزعماؤها مؤتمراً فى فيلادلفيا برياسة وشنطن لوضع دستور للبلاد ظهر فى أثناء مناقشاته الاختلاف بين الشمال والجنوب فى مسألة حق الانتخاب النواب إذ كان من رأى الجنوب أن يكون لجميع الارقاء السود هذا الحق بينما يري الشمال قصره على الأحرار وأخيرا اتفقا على أن يشترك ثلاثة أخماس الرقيق فى الانتخاب . كما اتفقا على اقتراح الجنوب فى رد الآبق إلى مقاطعة حرة إلى سيده ثانية . وكذلك اتفقا على بقاء الاتجار بالرقيق عشرين سنة أخرى ثم يعدل الامر فيما بعد

وتقول مراجع تاريخ الولايات المتحدة أن المؤتمرين خشوا أن تتهمهم الاجيال المقبلة باقرار الرق فلم يذكروا لفظ رق ولا رقيق فى الدستور . بل رمزوا إلى ذلك بلفظ أشخاص مطالبين بخدمة أو عمل . والواقع أنهم كانوا يعملون بحكم ظروف قهرية على أمل أن تتغير هذه الظروف فى تطور الحضارة على مر السنين

ثم بدأ الرق الاسود يزول بالتدريج من بعض ولايات الشمال وبدأت المناقشات فى أمر الغاء

الرق يتسع نطاقها ، ولكن بعض ولايات الجنوب هددت بالانفصال عن الاتحاد اذا ألغى بها الرق فعمد بعض الزعماء الى التوفيق بين الولايات بان جعلوا احد خطوط الطول فاصلا بين الحرية والرق ، ثم قسموا الولايات الى حرة وأخرى تبيح الرق

الا أن ذلك الرق الاسود الذي زعم المصلحون الامريكيون أنه سيزول بتقدم الزمن ما لبث أن اعتاده ضمير الانسان وأصبح شراً عاديا لابد منه . ثم زادت أهمية الرقيق من الوجهة الاقتصادية حينما اتسع نطاق زراعة القطن فى الولايات الجنوبية وزاد تصديره الى اوربا فكثرت الأرباح وأفاد تجار الغلال منها أيضا

وبذلك تشبث أهل الولايات الجنوبية بمبدأ الرق وزاد فى عنادهم ظهور جمعيات اصلاحية بين أهل الشمال أسسها وليم جاريسون أخذت تنادى بعتق العبيد وترى فى الرق جرما لايليق بانسان شريف . وكانت المسز هاو قد نشرت قصة بعنوان « كوخ العم توم » وصفت فيها مايلاقيه الأرقاء من فظائع السادة . فأثرت هذه القصة وأمثالها فى نظرة الناس الى الرق وسن بعض ولايات الشمال قوانين للحرية الشخصية واقترح كلاى أن يكون الفصل فى مسائل الآبقين لمحاكم الاتحاد والحكومة العليا . وارتاب ابراهام لنكولن فى امكان بقاء اتحاد يؤسس نصفه على الحرية والآخر على الرق ولكنه لم يرغب فى الغاء الرق مرة واحدة بل رأى أن تعالج مسائله على اعتبار أنه خطأ

وفى هذا الوقت ظهرت قضية الزنجى « دريد سكوت » وكان للحكم فيها شأن أثار الخواطر فقد كان هذا الزنجى عبدا لطبيب انتقل معه الى ولاية حرة وأقام معه زمنا ، ولما عاد الى وطنه وهو ولاية رق رفع أمره الى المحكمة طالبا العتق لانه انتقل الى ولاية حرة ولكن المحكمة حكمت فى هذه القضية لصالح سيده وأصدرت قرارين هامين جاء فى أولهما أن الرقيق لايعتبر مواطنا أمريكيا ولذا لايحق له أن يتقاضى أمام محكمة أمريكية . وجاء فى ثانيهما أن الدستور يخول للسيد الاحتفاظ بعبده فى جميع جهات الولايات المتحدة وليس فى قدرة المؤتمر أن يلغى هذا الحق

نخشى لنكولن من حيثيات هذا الحكم أن يفهم الشعب أن الرق صواب ورأى أن هذا المبدأ يساعد على انتشار الرق فى الولايات الحرة

وما هو أن انتخب لنكولن رئيسا للولايات المتحدة عام ١٨٦١ حتى استاء أهل الجنوب وجاهروا بالعصيان والانفصال وكونوا دولة اتحادية انتخبوا جفرسون رئيسا لها وتطاير شرر الحرب الأهلية . ثم بدأت الحرب بين أهل الشمال والجنوب واتسع نطاقها وانتهت أخيرا بفوز الشمال عام ١٨٦٥ بعد أن قتل فى معاركها نحو مليون وأصيب اكثر من نصف مليون باصابات مختلفة

وكان من نتائج تلك الحرب الأهلية أن محى الرق باعتراف أهل الجنوب أنفسهم ، وأدخل على الدستور تعديل يقضى بتحريم الرق فى جميع الولايات المتحدة الأمريكية

إلا أن الغاء الرق لم يحل معضلة الزنوج بامريكا . وكان لنكولن يبذل جهده فى حل تلك المشكلة ، ولما لم ير امكان اختلاط البيض بالسود تتطلع الى ارجاع الزنوج الى وطنهم الأصلى افريقيا وعقد مؤتمرا للاتحاد وقرر قانون الحقوق المدنية الذى بمقتضاه لا يحاكم المعتوق إلا أمام محاكم الاتحاد دون محاكم الولايات ونص هذا التعديل فى الدستور على أن جميع الأشخاص المولودين أو المستجلبين فى الولايات المتحدة والخاضعين لقوانينها لهم جميع الحقوق المدنية فى الاتحاد . وليس لولاية أن تقلل من هذه الحقوق . وهكذا منح الزنوج كلهم حق الانتخاب وأصبحت اكثرية الناخبين فى الجنوب من الزنوج الذين لايدرون شيئا من تلك الحقوق المدنية بينما حرم كثيرون من البيض حق الانتخاب لأسباب تافهة . .

وكان ذلك سببا لانتقال عصابات سياسية من الشمال إلى الجنوب لتحريض الزنوج على الانتقام من البيض حتى أصبحت كل أسرة من البيض مهددة فى عرضها أو مالها فقام من البيض عصابات سرية لارهاب الزنوج أشهرها جمعية كوكلوكس كلان التى كانت تنذر زعماء المحرضين من بيض وسود وتقتلهم ان لم يرتدعوا . وبدأ البيض يتغلبون على الزنوج حتى قضوا على نفوذهم فى الجنوب ولم يأت عام ١٨٧٦ حتى أصبح أمر جميع الولايات بيد السكان البيض

تلك نبذة مقتبسة من تاريخ الولايات المتحدة حيث كان ولم يزل للعلاقة بين البيض والسود قصة طويلة يضيق المقام عن الافاضة فيها

* * *

ولكن الزنوج ما زالوا بأمريكا وعددهم اليوم يقرب من عدد سكان القطر المصرى كله وقد امتزج بعضهم بالدم الغربى فى تلك الاقامة الطويلة مدة ثلاثة قرون وهم يتكلمون الانجليزية ويدينون بالمسيحية ونجح الكثيرون منهم فى الأعمال الاقتصادية والفنية وصار منهم الأطباء والمعلمون والمحامون والقسوس وغيرهم . إلا أن معضلة الزنوج مازالت تبدو هناك بمختلف الأشكال فثمة عزلة تامة بين العنصرين ونفور قديم وفظائع ترتكب من حين لآخر ضد الزنوج . وثمة محاولة بيض الجنوب فى أثناء الانتخابات سد كل ثغرة ينفذ منها الزنوج إلى الحكم وقد يطبق البيض عليهم الطرق القديمة التى سنها قانون لنش الزنجى الذى اعتدى على فتاة بيضاء أو ارتكب جريمة حتى قبل محاكمته . ثم ان الزنجى الأمريكى يزاول هناك معظم الأعمال الحقيرة والمهن التى يعافها الابيض . ومع أن الدستور الأمريكى يساوي بين جميع أفراد الشعب الامريكى من حيث الحقوق والواجبات فان بعض الولايات الجنوبية مثل نيو أورليانس مثلا قد سنت لوائح داخلية تمنع تجاور البيض والسود ولو أن المعروف هناك أن قوانين الفصل بين السود والبيض تخالف روح الدستور الأمريكى . وفى سنة ١٩٢٤ سنت ولاية نيو أورليانس قانونا جديداً ينص على أنه لايجوز

لرجل أبيض أن يتخذ له مسكنا فى حى أسود ولا لرجل أسود أن يتخذ سكنا فى حى أبيض

وقد نشأ عن قوانين الفصل التى سنتها بعض الولايات الجنوبية بعض المشاكل الفردية والقضايا ولكن محكمة الاستئناف العليا الامريكية وهى أعلى محاكم الولايات المتحدة أصدرت فى قضيتين متشابهتين حكمها مؤيداً للدستور الامريكى ومما جاء فى هذا الحكم أنه ليس لأية ولاية أن تسن قانونا يفصل بين العنصرين فصلا صريحا واذا كانت بعض الولايات الامريكية قد سنت قوانين من هذا القبيل فلا شك انها قد جاوزت حدود سلطتها وخالفت نص الدستور وكان من الطبيعى أن يسبب مثل هذا الحكم مناقشات عنيفة فى الصحف الامريكية وجدالا بين صحف الولايات الشمالية والجنوبية

حتى فى هذا الشهر (فبراير ١٩٣٧) نشرت الصحف البرقية التالية : « أعلنت دائرة أمانة السر فى البيت الابيض أن الرئيس روزفلت أشار باجراء تحقيق فى أسباب رسوب الطالب الزنجى جونسون فى امتحانات الخروج التى أجراها فى مدرسة البوليس البحرية . ومعلوم انجونسون كان الزنجى الوحيد الذى سمح له بدخول هذه المدرسة منذ مام ١٨٧٤ وكانت دروسه تدل على فوزه المنتظر لكنه مع ذلك رسب ودعى الى الخروج من الصفوف والرئيس روزفلت لا يريد أن تتطرف التعصبات العنصرية السقيمة إلى الدوائر المدرسية والجامعية ولا سيما الحربية »

وتعود أسباب ذلك النفور الوراثى المستحكم بين السود والبيض بأمريكا إلى عدة أسباب أولها . أن الزنجى إذا تزوج من فتاة بيضاء جاء نسلهما أبيض أو أسود أو وسطا بينهما فاذا تزوج أحد الامريكان البيض من ابنة الزنجى البيضاء قد يجىء من نسلهما سلالة سوداء طبقا لقوانين الوراثة . وثانيها : أن العامل الزنجى يرضى بالأجر القليل الذى لا يرضى به العامل الابيض فيفصله صاحب العمل إذا أراد الاقتصاد وفى ذلك غرم على البيض . وثالثها . أن الزنجى لا يعمل بمبدأ تحديد النسل فيكثر من الاولاد ولا يستطيع تعليمهم فتتكفل الحكومة بذلك وفى هذا ارهاق لميزانيتها واضطرارها الي فرض الضرائب . وقد لا تكون تلك الأسباب مما يبرر ذلك النفور القديم بين العنصرين ولكنه نفور واحتقار اعتادها البيض منذ أجيال

وفى سبيل حل تلك المعضلة يفكر عقلاء البيض فى ثلاثة حلول أولها : العمل على ارجاع السود الى افريقيا ليعيش كل عنصر فى سلام وحرية وفى سبيل ذلك أنشأ الامريكيون جمهورية ليبريا المستقلة بافريقيا . ولكن هل يمكن اليوم اخراج خمسة عشر مليونا من الزنوج الامريكيين الى بقاع خرج منها أجدادهم منذ ثلثمائة سنة بله ان فى هذا حرمان الولايات الجنوبية من الايدى العاملة . وثانيها العمل على اختلاط العنصرين جنسيا واجتماعيا كما حدث بين البيض والهنود الحمر فى امريكا الجنوبية ولكن البيض لا يرضون بهذا الحل . وثالثها تعليم السود وتثقيفهم حتى لا يتخلفو

فى المنزلة والتقدم عن اخوانهم البيض فيهدأ ذلك التعصب تدريجيا حتى تزول يوما ما

أما الزنوج الامريكيون فانهم لايعرفون اليوم لهم وطنا غير امريكا وقد اشتركوا فى الحرب العظمى تحت رايتها . واشتركوا فى الالعاب الاولمبية وحاز بعضهم فوزاً عالميا رفع من شأن الولايات المتحدة فى تلك الالعاب ، وظهر منهم نفر من العلماء والادباء والفنانين وغيرهم مما برهن على قابليتهم للرقى والتربية الاجتماعية ومقدرتهم على تكييف انفسهم بالمكيفات الحديثة والمطالب العصرية

إلا أن هذا النفور وذلك الاحتقار وتلك العزلة بين العنصرين قد دفعت بعض أدباء الزنوج الى نظرية جديدة خلقها اليأس . تلك هى نظرية الجامعة السوداء

واذا كان هناك من ينادون اليوم بالجامعة الجرمانية وآخرون بالجامعة السلافية وغيرهم باتحاد الشعوب الصفراء الذى خافه بعض الساسة الاوربيين ودعوه بالخطر الاصفر ، وغيرهم بالجامعة العربية أو اليهودية أو الاسلامية وغيرها من المشروعات التى لاتتفق مع مستقبل العالم السائر نحو الوحدة العالمية وتقوية عصبة الامم ، فلماذا لايهب بعض الزنوج المتعلمين وينادون بالجامعة السوداء؟

قيل ان أحد الزنوج من أهالى جزر الانتيل واسمه مرقص جارفى نادى منذ سنوات بهذه الجامعة فلاقت قبولا لدى الراغبين فى الحرية من السود كما لاقت تعضيداً لدى الامريكيين البيض الذين وجدوا فيها خلاصا من ذلك العنصر الذى يكرهونه ، وتقول تلك النظرية بطرد الاوربيين من افريقيا وتأسيس جمهوريات متحدة للسود يتزعمها الزنوج المتعلمين بامريكا وجنوب افريقيا . الا أن هذه الجامعة كما يتضح مشروع فاشل كغيره من أمثال تلك الجامعات النظرية

بقى لنا أن نبحث فى هل يتميز البيض على السود أو على غيرهم من ذوى الألوان فالعلم لا يقر هذا الرأى الذي يتحيز له البيض إذ أن أجناس البشر بألوانها المختلفة لايتميز منها جنس عن آخر فى القوى العقلية أو فى الحواس وقوتها . فاذا وجد جنس متميز عن آخر فى المدنية والرقى فذلك لأن هناك ظروفا خاصة ساعدته على التطور ومن هذه الظروف البيئة والتهذيب

وقد أعلن الدكتور جارث أحد علماء الحياة أن أجناس البشر باختلاف ألوانها متساوية فى العقلية وأن دماغ الرجل الأبيض وكفاءته ومقدرته على التعلم ليست بأعظم من دماغ أخيه الاسود أو الأصفر أو الأحمر . وقد بنى رأيه هذا على اختبارات وتجارب قام بها فى سنوات عديدة

وبعد فانا نعود إلى التساؤل هل من الميسور اندماج تلك العناصر المتنافرة فى وحدة شاملة أم يجب أن تبقى منفصلة متباعدة وقد حرم عليها الامتزاج ؟

جميل صدقي الزهاوى

من كتاب الزهاوى الشاعر
تأليف الدكتور اسماعيل أحمد
أدهم

عاش السيد جميل صدقي الزهاوى الحكيم العراقى والشاعر الفيلسوف نحو ثلاثة ارباع القرن (١٨٦٣ — ١٩٣٦ م) . وهذه الفترة التى امتدت على صفحة الزمن حقبة متطاولة امتازت بما انعكس على صفحتها من مختلف الاحساسات المتناقضة والمشاعر والانفعالات المتضاربة ، وقد كانت تأخذ فى ظهورها صوراً متباينة نتيجة للتقلقل الذى أصاب المجتمع العربى ، وهذه طبيعة عصور الانتقال فى التاريخ دائماً

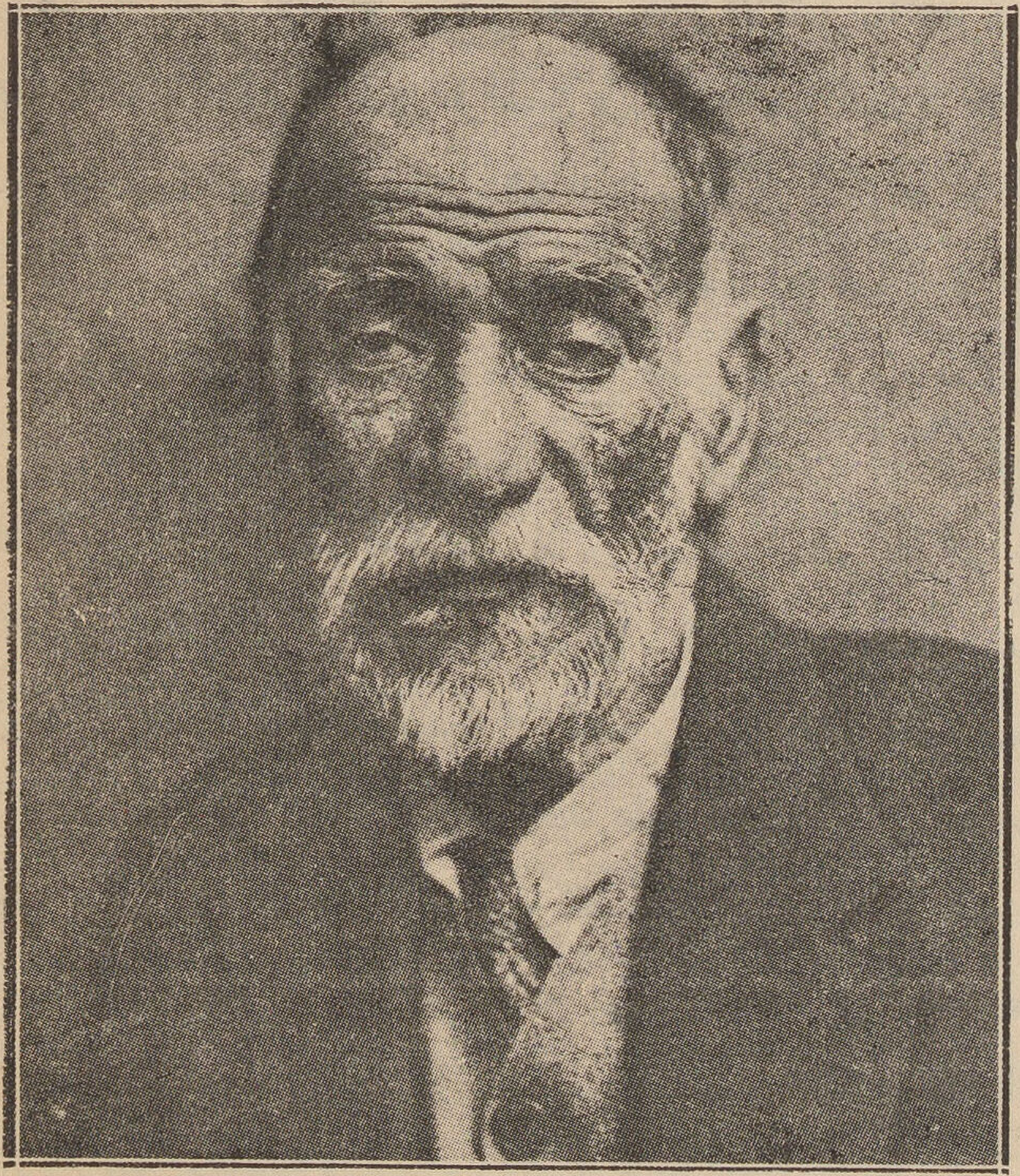

جميل صدقي الزهاوى

ولقد أثرت هذه العوامل والمؤثرات بنفسية الزهاوي فاستجاب لها فى أدبه ونتاجه الفكرى ، وفعلت فى عقليته عن طريق لا شعورى فتكيفت تبعا لها آثاره الفكرية والأدبية . فان الأدب والفن والفلسفة وبقية ضروب المعرفة البشرية كاحد المظاهر التى تنعكس من الانسان على صفحة الزمن تستجيب لكل العوامل والفواعل التى تؤثر فى كيانه وأخيلته . وهذه نقطة هامة يحبوها النقد بنتائجه ، فربط الفكر الانسانى فى وحدة عامة والنزول بها عند حكم الموازنة العصبية (1) فى الانسان

(1) Edham (I.A) : "Free Thought", Adabi Review' Vol.I.pp.474—479.

والعمل لتركيزها في الفعل العكسي الأصيل (1) والمتحول عنه (2) يجهزنا بتكأة علمية نستندإليها في نقدنا الادبي وتحليلنا ودراستنا لآثار الفكر الانساني وتمضي بنا إلى أغوار النفس البشرية ، وتجعلنا على اتصال بنهر المعاني الذي يتدفق في النفس الانسانية . إلا أن هذا النظر في الواقع انصراف عن النقد المباشر الموجه للآداب ، إلى البحث عن حقيقتها والعوامل التي كيفتها على على هذه الصورة . وهذا المنطق من البحث وان كان يعترض عليه بأنه يجعل دراسة الآداب علماً تحليلياً كعلم التاريخ المقارن أو علم الحياة فمن السهل تفنيد مثل هذا الاعتراض ، اذ أن هذا الأسلوب هو ما يقتضيه منطق الحادثات ، وقد يعترض على مثل هذه الفكرة في أنها تقتل النقد المباشر الموجه للآداب لأنها ان كانت نتيجة لمقدمات ينحصر كل جد النقد الادبي في الكشف عنها كان معنى ذلك جعل أهمية الادب نسبية للأسباب التي تتمخض عنها ، وهذا يؤدي الى رفض كل ما هو مجرد وإحلال كل ما هو نسبي ، إلا أنني لا أجد هذا الاعتراض يقوم على أساس من الحق فانه يستمد كل قوته من فهم الوجود نتيجة للفكرات التي شاعت عن المعاني المجردة.والواقع أنه ليس هنالك ما هو مجرد ، وانما هنالك تحول دائم وصيرورة متواصلة ، وتعاقب لا نهاية له من الفعل ورد الفعل تأخذ الاشياء أوضاعها بالنسبة له خلاله . فاذا وعينا هذه المبادىء وعملنا على تطبيقها على أدب الزهاوي في رسالتنا هذه فسنحتاج إلى مجلد ضخم ومدة من الزمن والفراغ ، والوقت لا يساعدنا الآن ، لهذا نترك التوسع والاستفاضة لدراستنا الالمانية عن أدبه ، ونكتفي هنا ببعض التطبيقات الجزئية

ولما كان من المهم أن نعرض — ولو في عجالة — لحياة الزهاوي حيث يتصل الشيء الكثير من أفكاره وبعض جوانب آرائه بحياته وما لابسها من ظروف فاننا نجد ان المراجع في هذا الصدد قليلة ، وزد على ذلك انها مضطربة لم تعرض لشيء هام في حياته ، فهي تقرر ان الزهاوي ولد في يوم الاربعاء ١٨ حزيران (يونية) سنة ١٨٦٣ م . الموافق آخر يوم من ذي الحجة سنة ١٣٧٩ هـ . من أسرة كردية انحدرت من الشمال لبغداد ، وأن نسبه من جهة والده السيد محمد فيضي الزهاوي — الذي كان مفتيا في بغداد ومن كبار الرجال البارزين فيها — كان يتصل بأمراء السليمانية البابان ، ومن جهة والدته السيدة فيروزج باحدى بيوتات الكرد ذات الاصل العريق والمحتد الكريم بكركوك . ثم تعود هذه المراجع وتقرر أن سبب تسمية والده بالزهاوي يرجع الى أن جد الزهاوي الملا أحمد كان قد هاجر إلى مدينة « زهاو » (٣) وأقام فيها السنين الطويلة وتزوج

(1) Unconditioned Reflex Actions: «2» Conditioned Reflex Actions.

(٣) « زهاو » بلدة من أعمال كورمانشاه

من إحدى سيدات زهاو وولد له منها والد الزهاوي — محمد فيضي — وتعرض هذه المراجع طفولته فتقرر أنه كان متقد الذكاء مع إيغال فى اللهو حتى عرفه أقرانه «بالمجنون» لتناقض حركاته غير أنه لم يكن يعنى بما يقولون ، وهذا ما جعل صحابه ولداته وأفراد أسرته يظنون أن فيه ناحية من الشذوذ . غير أن هذا الايغال فى اللهو سرعان ما انكشف عن حيوية الطفل الصغير، فما عرف القراءة حتى انهال على الكتب يقرؤها ، فجاء والده بمربيين ليأخذ على يديهما مبادىء اللغة وأصول الدين وليحفظ القرآن . وعلى قدر ما كان اكبابه على هذه العلوم كبيرا وأخذه منها واسعاً كانت عقليته تنمو ، لا من جهة الحفظ والاستذكار وتكديس المعلومات وانما من جهة الكفاءة الذهنية فلقد كانت طبيعته الحيوية ومزاجه القوى لا يتركان مسئلة تعرض له إلا إذا قتلها بحثا . وما بلغ سنى شبابه حتى كان قد أخذ من علوم الأقدمين بأكبر نصيب ، وتعمق فى التوحيد والفقه الاسلامى والمنطق والفلسفة وتجلت مواهبه فى المجالس التى كانت تعقد بدار والده على مقربة من الدجلة

وفى هذا العهد كان قد استفحل أمر الوهابيين فى نجد ووصلت آراؤهم ودعهم فى الدين الى العراق فأثارت لغطا كثيراً وأقامت مناقشات حادة كان لها أكبر الاثر فى نفسية الزهاوي الشاب ، فتصدى للرد على دعاوى الوهابيين وتفنيد مزاعمهم فى كتابه « الفجر الصادق فى الرد على منكرى الكرامات والخوارق »

وكان الزهاوى قد تعلم اللغتين الفارسية والتركية واطلع على كل ما كان ينقل الى الاخيرة من آثار المفكرين الغربيين ، وهذا الاطلاع ترك فى نفسه أثراً قويا مع الزمن ، تقطعت نتيجة له أوصال عقليته التقليدية

كان الزهاوى فى السنين الاولى من شبابه حتى العشرين ورعا يؤمن بالدين ، غير أنه حدث فى ذلك الوقت أن طغت موجة من حرية التفكير على البلدان العربية ، فقد نشر الدكتور شبلى شميل كتابه (شرح بخنر على دارون) وجعل له مقدمة مستفيضة كانت آية فى عمق التفكير وسلامة المنطق وسعة المعلومات فى ذلك الوقت . وهذه الموجة أثارت روح التنكر عند الكثيرين لكل ما خرج به الانسان من ماضيه ، فظهرت فئات تجحد الاديان كلها وتتهجم على ما يقدسه أبناء العالم العربى . ومن جهة أخري كانت اللغة التركية — بآلاف الكتب التى ينقل لها من الآداب الغربية — سببا فى انتشار الافكار الغربية والثقافة الاوربية عند الكثيرين من أبناء الشرق، فلقد كان على ذلك العهد كل مثقفى العالم العربى يعرفون التركية . وهكذا كان السبيل متوفرا للزهاوى ولغيره من الذين لا يعرفون اللغات الاوربية لان يتصلوا بأحدث الآراء الغربية عن طريق اللغة التركية

فاذا لاحظنا بجانب ذلك أن الزهاوي كان يكمن فى نفسه الشك منذ صغره فى كل ما يلقى اليه ، عرفنا كيف تقطعت أوصال عقليته التقليدية تحت محراث العلم والثقافة الغربية . وكان لخروج الزهاوى على الدين أو ثورته عليه أثر كبير فى نفسيته إذ جعله ذلك يقبل على الدراسة العلمية والفلسفية مع متابعته للمذاهب الأدبية الغربية الحديثة ، فما شعر إلا والقناع الذى يحجبه عن طريق المعرفة الحقيقية قد سقط ، والشكوك التى تكتنفه قد تبددت واهتدى إلى الطريق — طريق العلم — ليمضى استناداً اليه الى الغوص لاغوار الحياة كاشفا عن سرها

وهذه الفترة من الزمن استنفدت كل حيويته البدنية ، وسرعان ما أصبح هزيلا لا يبدو عليه شىء من نضارة الشباب ، فقد ظهر انكبابه على الدرس وادمانه للمطالعة ببريق عينيه وتركهما مريضتين لتختفيا وراء عوينات سوداء ، وجعل لونه ضاربا للصفرة ، ورأسه مشتعلا شيباً رغم انه لم يكن وقتئذ قد تجاوز الثلاثين من سنى حياته !

فى خلال هذه الفترة كان يخالج الشك أحيانا نفس الشاعر الفيلسوف ، إلا أن حاسيته الدقيقة كانت تزجى قدميه إلى عالم الشعر ، وقد اكتسبت نفسه ثقافة واسعة وتهذبت إحساساته بوقوعه على مذاهب الآداب القديمة والحديثة ، فنظم الشعر ووضع فيه عصارة تفكيره وشعوره بالحياة وإحساسه . وهكذا أصبح الشعر عند الزهاوي وسيلة للتعبير عن أفكاره والابانة عن إحساساته ومشاعره

آمن الزهاوى بالعلم ونزل عند مقرراته ، رمضى يبحث فى الطبيعة مؤمنا بأساليب العلم فى البحث ، وخرج من دراسته معتقداً اعتقادا لا يوهنه الشك ولا يتطرق اليه الريب أن لقوانين الطبيعة وحدتها ، وأن للعالم وحدة متصلة أسبابها غير منفصمة أجزاؤها ، وعاد بالأشياء كلها إلى الأثير فهو عنده « المرجع فى الأشياء والأثر » ، واعتقد أن الألوهة حالة فى الكون فنظرها فى الأثير ، حيث بدا له من نظره فى العالم الموضوعى والذاتى — عالم الطبيعة والنفس — أن لا انفصام بين السبب والمسبب ، بين العلة والمعلول . وهكذا انساق الزهاوى لايمانه بوحدة الكون وبطبيعة الاتصال بين ذواتنا الشاعرة المفكرة وبين طبيعة الأشياء إلى الايمان بالله فى الكون وبامكان الاتصال بالله عن طريق الكون . وهكذا دلف الزهاوى إلى التصوف فكان عميقا فى تصوفه يؤمن بأن هنالك وراء ذواتنا وأعراض الأشياء التى تبدو لنا حقيقة واحدة ، حقيقة تصل بيننا وبين الكون ، ولولاها لما أمكننا أن نفكر فى العالم وأن نستجيب لانفعالاتنا به ولما أمكن للعالم أن يؤثر فينا

هذه العقيدة التى يقيم عليها الزهاوى صرح تصوفه فى الواقع أساسية فى التفكير العلمى الحديث ، وهى مستمدة أصولها من مطالعات الزهاوي للمؤلفات الرياضية التى كانت تنقل الى

التركية عن الفرنسية . وسوف نعرض لهذه النقطة واستيضاحها مع التحليل فى دراستنا التى نكتبها عن الزهاوي بالألمانية

« * »

وضع الزهاوى كتابه « عليا الفلسفة » وأعقبه بكتابه « الكائنات » فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر . وفى هذين الكتابين كمنت أصول فلسفته ، وهى فلسفة شرقية على العموم داخلها الكثير من الآراء الغربية والمقررات العلمية ، ولقد اتهم بالالحاد ونزل به الكثير من الحيف لسوء تفسير أفكاره

وفى خلال هذه الفترة من الزمن عين الزهاوى عضوا بمجلس المعارف ببغداد فمديرا لمطبعتها فمحررا عربيا لمجلة « الزوراء » الرسمية فعضوا لمحكمة الاستئناف . وسافر للآستانة واتصل برجال حزب « الاتحاد والترقى » فأثار اتصاله هواجس السلطان عبد الحميد فأبعده عن الآستانة بأن أرسله صحبة البعثة الاصلاحية واعظا عاما لليمن ! وظل الزهاوي هناك نحو السنة ، ثم عاد الى الآستانة وأنعمت عليه الحكومة العثمانية بالوسام المجيدى من الدرجة الثالثة . غير أنه بإكثاره من اجتماعاته برجال حزب « الاتحاد والترقى » أثار على نفسه حفيظة السلطان فقبض عليه رجاله ، وأرسل مخفورا الى بغداد على ألا يبرحها

وفى عام ١٩٠٨ استطاع أحرار تركيا أن يضطروا السلطان إلى التنازل عن جانب من سلطته وأن يعلنوا الدستور على أساس من الحرية والمساواة بين جميع عناصر السلطنة العثمانية . فرفع عن الزهاوي أمر الحجر وعاد للآستانة وعين أستاذاً للفلسفة الاسلامية فى « المدرسة الملكية » ومدرسا للآداب العربيه فى « دار الفنون » . وخلال هذه الفترة التى امتدت أكثر من عقدين على الزمان نشر الزهاوى كتابه « تعليل الجاذبية » وفيه اعترض بقوة على التصور القديم للجاذبية — نظرية نيوتون — وهاجمها بمحراث العلم والعقل ، وقرر أن الظاهرة التى نصرف اليها اصطلاح « الجذب » هى فى الواقع « دفع » — يعنى دفع المادة للمادة وشرح بهذا المبدأ تولد الحرارة والنور فى الشموس والنجوم وعلل استنادا اليها حدوث الزلازل وحركات ذوات الاذناب . وهذا الكتاب ينبئك الى أى حد بلغت أفكار الزهاوى عن الطبيعة وكفاءته فى القياس العلمى والبحث والاستقصاء وابتكاره النظرى . وهى تشهد بأنه تأثر بالأفكار التى دافع عنها الرياضيون فى خلال القرن التاسع عشر تأثراً كبيرا والتى بثها فى مؤلفاته هنرى بوانكاريه الرياضى الفرنسى المشهور — وهو الذي ترجم آثاره الى التركية صالح زكى مدير جامعة الآستانة فى الفترة التى مضت بين اعلان اينشتين للنسبية « ١٩٠٥ » ووفاة بوانكاريه « ١٩٠٩ »

وخلال هذه الفترة نشر الزهاوى أول ديوان له بعنوان « الكلم المنظوم » ، وعرف الزهاوي كأحد أعلام المدرسة الحديثة الادبية فى الشرق وشاعر العربية الفيلسوف

* * *

رجع الزهاوي الى بغداد عام ١٩١٠ لمرض أصابه ، ولما شفى من مرضه اشتغل مدرسا بمدرسة الحقوق ونشر مقالا فى جريدة « المؤيد » عن المرأة دافع فيه عن حريتها ، فثار ضده الجمهور وكادوا يفتكون به لولا اعتزاله ، وعزلته الحكومة من منصبه تهدئة للرأى العام وبعد مدة أعيد ثانية لمنصبه . وانتخب نائبا عن المنتفق ثم عن بغداد ، وذهب مرارا الى الآستانة لحضور جلسات مجلس المبعوثان والخطبة فيها . ثم كانت الحرب العظمى واحتلال الانجليز للعراق ففكروا فى نفيه من العراق ، الا أنه كان يجامل البريطانيين فى خطبه ويذكرهم بوعودهم وهذه الطريقة التى قامت على الملاينة أثارت حفيظة الجمهور عليه فثاروا ضده وتظاهروا أمام داره ونعتوه بالخائن !

وعينته الحكومة الانجليزية عضواً بمجلس المعارف ثم رئيسا للجنة تعريب القوانين العثمانية فعرب أكثر من سبعة عشر مجلداً فى القانون . وأخيراً كانت ثورة عام ١٩٢٠ فى العراق فلم يشترك فيها ، فساء ذلك الاهلين وخصوصا لما ذهب ليقابل المندوب السامى السير ولكوكس ، وكانت له وقائع مع الانجليز والاهالى أثارت عليه موجدة الطرفين

وأتى المرحوم الملك فيصل عام ١٩٢٢ فعوكس على عهده الزهاوى فى رزقه وحورب فى عيشه وحاول الملك فيصل أن يجتذبه اليه ويغريه بالمال ويجعله شاعر البلاط إلا أنه رفض ذلك بإباء وشمم

وفى خلال عام ١٩٢٢ رغب فى أن يسافر الى سوريا ، ولكن قامت الثورة السورية فقطعت المواصلات واضطر الى أن يبقى ببغداد حتى أتاحت له الظروف فرصة زيارة بلدان الشرق العربى فيما بعد

رجع الزهاوى الى بغداد بعد أن طاف فى العالم العربى وقد نال أقصى حدود الشهرة وبلغ القمة بأدبه . وقد أصيب بجانب ذلك بمرض الشيخوخة ووهن منه الجسم واشتعل منه الرأس شيبا ، وأثر فيه جحود الامة وإغفال الدولة لأمره وكيد خصومه وانتقاص الادعياء له . فاكتفى بالانزواء فى شارع الرشيد حيث يقوم منتداه ليجالس بعض الادباء يشكو اليهم حاله وينشدهم روائع شعره وظلت حياته فى السنين الاخيرة على وتيرة واحدة من الشكوى من الزمان وانصراف الايام ، ونظم القصائد وايداعها عصارة فكره واحساساته حتى قضى نحبه فى الساعة الرابعة مساء الاحد ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٦ م فى منزله ببغداد

العادات المصرية القديمة

الباقية الى الآن فى مصر الحديثة

للأستاذ الدكتور سليم حسن بك

مصر صنيعة النيل هى بلد العجائب وأعجب ما فيها أنها لم يغيرها كر الغزوات وتغلب الدول والشعوب — فهى فى وسط تلك التغيرات التى مرت عليهـا طوال أكثر من خمسة آلاف سنة لا تزال محافظة على تقاليدها وعاداتها القديمة . فهى كالبيضة محاطة بغلاف من الخارج قد لون بألوان مختلفة وضعها عليها الفاتحون من الخارج ولم يتمكنوا رغم طول الزمن واختلاف الأجناس البشرية التى توالت على حكمها منذ سنة ٥٢٥ ق . م . من تغيير شىء كثير من عاداتهـا وتقاليدها التى كونت منذ فجر التاريخ

ومما يثير الدهشة ويبعث على العجب ان المصرى برهن انه أكثر شعوب العالم محافظة على عاداته ودينه وطرق معيشته بشكل يثير الاعجاب — فتراه منذ نشـأته متمسكا بتقـاليده فى كل نواحى الحياة فاذا جاء شىء جديد لم يجعله يتخلى عن القديم بل يضيفه اليه دون أن ينظر إلى التناقض بين الجديد والقديم — وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم المتناقضات التى نجدها بين آونة وأخري فى عادات المصريين ومعتقـداتهم الدينية ولا عجب إذاً أن نسمع كثيرين من الذين يدرسون التاريخ المصرى القديم يلقون القول جزافا بأن الديانة المصرية القديمه معقدة وأنها طائفة من المتناقضات وأن المصرى فى أخلاقه وتصرفاته كان سلسلة أشياء متنافرة والسر فى ذلك — كما ذكرنا — يرجع الى أنه لم ينس بل كان يجمع كل مايحرزه من عادات وأخلاق وتغيرات دينية فى صدره ويدونها دون أن يتخلى عن القديم ولو كان مناقضاً بعضه بعضـا . والواقع ان الانسان إذا أراد أن يدرس الحياة المصرية القديمة من كل نواحيها فلا بد من أن يتخذ طريقة علمية تمكنه من الوصول إلى نتيجة حاسمة صحيحة . وفى ظنى أن أسهل وسيلة لدرس الحياة المصرية بأكملها هى أن يسلك الباحث فى ذلك طريقة تقسيم التاريخ المصرى إلى عصور معلمه ويدرس كل عصر على حدته فمثلا إذا انتهى من درس عصر مصر فيما قبل التاريخ انتقل إلى عصر الدولة القـديمة فيدون كل ما يعثر عليه من عادات وأخلاق إلى آخره ثم يقارن بين العصرين ومن هذا يمكنه أن يستخلص

ما استجد من العادات منذ نهاية عصر ما قبل التاريخ . وإذا انتقل بعد درس الدولة القديمة إلى الدولة المتوسطة ودرسها من جميع نواحيها فانه كذلك سيجد القديم على قدمه مضافا اليه أشياء جديدة قد تناقض كل المناقضة ما كان فى عصر الدولة القديمة من الوجهة الدينية وطرق المعيشة — ومن المدهش فى هذا الصدد أنك تجد المصرى يتمسك بالقديم بدرجة غاية فى التعصب فنجده مثلا فى العصر الذى كثر فيه استعمال الآلات النحاسية يتمسك باستعمال الآلات المصنوعة من الظران محافظة على ما كان يستعمله أجداده فى أقدم العصور — كذلك فى معبوداته نجده يتمسك بالمعبودات التى كان يقدسها من أول فجر التاريخ . فاذا عبد معبودات أخرى لايترك معبوداته الأولى بل يجمع بين الآلهة قديمها وجديدها وبذلك نجد ان الآلهة المصرية القديمة قد كثر عددها واختفى بعضها ببعض بطريقة جعلت التمييز بين صفات معبود وآخر من أصعب الأمور وأ كثرها أشكالا . ولكن الذى يدرس التاريخ المصرى القديم بالطريقة التى أوضحناها قد يصل إلي نتائج باهرة وحل مسائل معقدة يظن الانسان أنها من الألغاز التى لايمكن الوصول إلى فكها . وفى الحق نجد ان عدم نسيان المصرى ومحافظته على القديم قد أفاد التاريخ المصرى وبخاصة الذين يبحثون فى الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين ومقارنتها بالحياة العامة فى مصر الحديثة إذ الواقع أن كل ما كان يحوزه المصري القديم من عادات وفن ودين إلى عصر الفتح الاسلامى قد سلمه برمته إلى مصر الاسلامية اللهم إلا اللغة والدين — على ان الأولى بقيت على قيد الحياة إلى أن اندثرت فى أواخر القرن السابع عشر وأقصد بذلك اللغة القبطية . أما الدين المصرى القديم فقد ظهر عليه الدين المسيحى لفظاً وشكلا والواقع ان معظم الطقوس الدينية فى مصر الحديثة ترجع فى أصلها الى مصر القديمة كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد — وهى تعد فى الدين الاسلامى بدعا ومن المدهش اننا نجد حتى فى اللغة وفى التراكيب بعض ألفاظ وتعاريف مصرية محضة لا توجد فى أى بلد من البلدان الاسلامية

أما من جهة الجنسية المصرية فيمكننا أن نقول بنوع من التأكيد أن الجنس المصري كان ولا يزال أكثر شعوب الأرض محافظة على دمه وهذا الأمر قد يدهش الكثير من الناس ولكنه حقيقة ثابتة . واليك البرهان . إذا بحثنا تاريخ الفاتحين الذين غزوا مصر فى كل عصور التاريخ نجد ان هؤلاء الأقوام الذين هبطوا إلى بلادنا لم يقطنوا القرى بل كانوا يحتلون المدن الكبيرة فحسب . وهذه المدن كانت محصورة فى عدد قليل ولذلك يجد الباحث فى علم الأجناس البشرية أن فلاح مصر متناسل من أجداده القدماء اما سكان المدن الكبيرة كالاسكندرية والقاهرة والمنصورة فاختلاط الأجناس سائد بينهم . ولما جاء الفتح العربى ودخل الغزاة مصر لم يختلطوا العرب بالمصريين

٤

وبقوا متباعدين عنهم وعاشوا فى مصر وتناسلوا فيما بينهم إلى يومنا هذا . فمما سبق يتضح أن المصرى فى قريته لم يتغير دمه الفرعونى إلى الآن غير أن وجه الملابسة قد جاء من تغلب اللغة العربية على اللغة المصرية القديمة وقد وقع فى هذا الغلط الفاحش كثير من العلماء والباحثين فنجد الرجل المثقف من الأجانب إلى الآن ينعت المصريين بالعرب فيقول بالفرنسية مثلا Les Arabes وذلك لأنهم يتكلمون اللغة العربية بدلا من اللغة المصرية التى اندثرت فى أواخر القرن السابع عشر وقد جاء ذلك من تأثير الدين الاسلامى والقرآن الكريم ، ولولا رسوخ الاسلام فى البلاد مابقيت اللغة العربية فى مصر وبالرغم عن كل هذه المظاهر فاننا نجد بالبحث والمقارنة أن الحياة الاجتماعية وما تخلف عنها من العادات والأخلاق فى مصر القديمة لا تزال باقية فى مصر الحديثة حتى فى أدق الأشياء وأكثرها حساسية ألا وهى العادات والطقوس الدينية وحتى التفكير الدينى قد صبغ بصبغة مصرية قديمة . وسيتناول بحثنا هنا هذه العادات وطرق الحياة اليومية من كل نواحيها سواء أكانت دينية أم دنيوية وسنبدأ أولا بشرح بعض العادات المصرية القديمة الدينية التى لاتزال باقية فى مصر الاسلاميه إلى الآن وهى التى يعتبرها رجال الدين دخيلة على الدين الاسلامى وتحارب منذ ظهور الاسلام فى مصر — غير أن المصرى بطبعه لا يمكنه التخلى عنها لأنه ورثها عن أجداده وقد اختلطت بدمه ولحمه وعقله وروحه وهو يرثها عن أبيه ويأخذها عنه ابنه على التوالى رغم العمل على القضاء عليها منذ ظهر الاسلام . وستبقى إلى ما شاء الله ما دام المصرى حافظا لجنسيته ودم أجداده :

* * *

كان لقدماء المصريين آلهة كثيرة منتشرة فى طول البلاد وعرضها فى العصر التاريخى وقد بقيت هذه الآلهة الى أن جاء الدين المسيحى ومحاها من البلاد جملة وقد بقى الكفاح شديدا بين الديانة المصرية والمسيحية الى أن انقرض آخر أثر الديانة المصرية فى أواخر القرن الرابع الميلادى على يد الامبراطور « ثيودوسيوس » سنة ٣٨٠ م غير أن بقايا الديانة المصرية ظلت متأصلة فى عقائد القوم وأفكارهم ولما جاء الدين الاسلامى وقضى على المسيحية فى معظم البلاد لم يمكنه أن يتغلب على بقايا المعتقدات المصرية واستمر الحال كذلك الى يومنا هذا . وقد مكثت بقايا الديانة المصرية فى أشكال مختلفة فى ريف مصر وصعيدها وبخاصة فى القري التى لم تمسها أيدى الفاتحين والتى دخلها الاسلام ومن قبله المسيحية ولم يكن لها الا تأثير ظاهر فى عقائد العامة . والواقع لم يكن للمسيحية تأثير عظيم فى ديانة القوم لأن أجلها لم يدم طويلا فى البلاد وما بقى من العادات الدينية قد صبغ بالصبغة المصرية القديمة — وبقايا التراث الدينى المصرى القديم فى مصر الحديثة

ظاهر جلى فى كثير من القرى والمدن فى أشكال مختلفة منها

« * »

لما كانت الشمس أعظم المعبودات المصرية القديمة منذ أقدم العصور التاريخية فقد ظلت تعبد إلى أن قضى على الديانة المصرية غير أن بقايا عبادتها لاتزال باقية فى البلاد إلى يومنا هذا . واليك بعض مانجد فى مصر الحديثة يشير إلى ذلك ـ « الحلف بالشمس » كانت الشمس أكبر المعبودات المصرية وكانوا يحلفون بها وقد بقيت عادة الحلف بالشمس فى بعض القرى المصرية إلى الآن ففى بلدة سندبسط مركز زفتى نجد معظم العامة يقسمون القسم الآتى « وحيـاة الشمس الحرة » وكذلك فى بلدة فرسيس يحلفون بالشمس قائلين « وحياة اللى تشوفنى ولا أشوفهاش » إشارة الى الشمس . أما فى الوجه القبلى فيقسمون بالشمس بالكيفية الآتية « وحياة البهية عند ماتطلع من جبلها » إشارة الى الشمس عند ماتشرق من جبل كان يعتقد المصريون فى وجوده فى الجهة الشرقية « ياخو »

« * »

وقد كان قدماء المصريين يتشاكون الى الشمس ويحكمونها فى أمورهم كما جاء فى ورقة Ordiney وذلك أنه عندما راودت زوجة باتا أخاه الاصغر « أنوبس » وتعفف الأخير وشت به لأخيه الذى أراد قتله فطلب اليه الصغير أن ينتظر إلى مطلع الشمس ويجعل الشمس حكما بينهما أى يشكوان أمرهما لها . وقد عثرت بصفة غريبة على وجود مايشبه هذه العادة فى مصر الحديثة وذلك أن أحـد اهالى أبو تيج كان ضيفا عندى ذات ليلة فقام مبكراً وحضر الى حجرة نومى وأخبرنى أنه حزين وقد بدت عليه علامات الانزعاج فسألته ما الخبر فطلب إلى أنه يريد أن يصعد إلى سطح البيت قبل طلوع الشمس لأنه يريد أن يشكو أمره اليها لأنه رأى مناما مزعجا وسرعان ماصعد الى سطح البيت وبعد نزوله وجدت على وجهه علامات السرور والارتياح وقد أخبرنى بعد ذلك أنه قد ذهب ماكان عنده من الخوف بعد شكوى أمره إلى الشمس المشرقة

ومن بقايا ذلك أيضا مانجده عند الاطفال عندما تسقط سن من أسنان أحدهم فانه يأخذ السن المخلوعة ويطلب إلى الشمس أن تبدلها بسن أحسن منها فالولد يقول « خدي سن حمار وهات سن غزال » أما البنت « خدى سن الجاموسه وهات سن العروسه »

« * »

ويعتقد العامة ان الشمس فى قدرتها شفاء المريض بالحمى فاذا اشتدت وطأتها عليه فينصح له أن يستحم بالماء البارد عند غروب الشمس فان حرارة الجسم تذهب مع حرارة الشمس ـ وهذه العادة

لاتزال باقية الى الآن فى أبى جرج وجهات أخري فى مصر

« * »

وكذلك يوصف للمريض بالحمى أن يربط له على طرف جلبابه جعران لتذهب عنه الحمى وتفسير ذلك أن الجعران عند قدماء المصريين كان يمثل الشمس فى الصباح وهذه العادة موجودة فى كثير من قرى الوجه البحرى وبخاصة فى ميت ناجى مركز ميت غمر يضاف الى ذلك أنه فى كثير من قري الفلاحين فى الوجه البحرى والقبلى نشاهد أن الأفراد أناثا كانوا أم ذكورا يوشمون أذرعتهم بقرص الشمس الذى تخرج منه الاشعة وفى وسط القرص نري نقطة صغيرة تمثل عين الشمس نفسها ويقال ان القوم يضعون ذلك منعا للحسد فبدلا من ان يشاهد الانسان جمال الذراع يلتفت الي الوشم وبذلك لاتنفذ عين الحسود الى الذراع نفسها

« * »

لقد نظر المصرى القديم إلى ما حوله من حيوانات وطيور وحشرات ولاحظ منفعة كل منها وضرره ثم أخذ يعبدها فى اول الامر ولما تقدم الفكر الانسانى ابتدأ يتخذها رمزا للآلهة التى يعبدها فكان يتقرب اليها اما طلبا لمنفعتها او دفعاً لشرها وعلى هذا المبدأ نجد أن كثيرا من معبودات المصريين أعدت لتحقيق أحد الغرضين والآن نذكر بعض الحيوانات التى لاتزال محترمة فى مصر الحديثة

« * »

كانت القطة من الآلهة التى عبدت فى مصر منذ أوائل الدولة القديمة وكانت تدعى « باست » وقد تركت لنا اسمها خالدا الى الآن فى اسم البلد التى كانت تعبد فيه وهى تل بسطة بالقرب من الزقازيق وقد عثرنا فى منطقة اهرام الجيزة على بعض القاب لكهنتها « عظيم باست » وقد كانت تمثل الشمس احيانا أى الاله « رع » وقد عثر على موميات مقدسة لهذه الآلهة بالقرب من بنى حسن وكذلك على تماثيل عدة لها من البرونز فى تل بسطه وغيرها من المدن التى كانت تعبد فيها وقد بقى احترام القطة فى كل عصور التاريخ المصرى حتى يومنا هذا وتعد إهانتها من الاشياء المؤذية وقد وصل الينا من صفاتها أن لها سبعة أرواح . وهذه الصفة من صفات الاله «رع» إذ نجد فى المتون المصرية أنه كان ذا سبعة ارواح ثم اصبح له بعد ذلك اربعة عشر روحا وقد كان قدماء المصريين يعتقدون أن القطة مظهر من مظاهر الشمس « رع »

« * »

كان التمساح يعبد عند قدماء المصريين باسم « سبك » وهو اله الماء وقد حفظ اسمه الى يومنا

هذا فى اسماء بعض المدن « سبك الاحد » وقد وجد بعض أفراد يسمون باسم « سبك تمساح » وكانت أكثر عبادته فى جهات الفيوم وكوم امبو وقد كانت تقدم اليه القرابين يومياً فى بحيرة قارون كما جاء نقلا عن كتاب اليونان وبقى احترام التمساح فى مصر الى يومنا هذا . فنرى بعض البيوت المصرية الحديثة تعلقه على واجهاتها منعا للشر وتيمنا به ويشاهد ذلك فى معظم جهات القطر . وقد أخذ هذا الحيوان يتقهقر شيئا فشيئا من الدلتا الى أعالى النيل حتى اصبح معدوما بالمرة من القطر المصري

« * »

من الحقائق المدهشة فى تاريخ الديانة المصرية القديمة انه رغم تعاليم الكهنة واجتهادهم فى جعل الحيوان والحشرات فقط رمزاً للقوة الآلهية فان الثعبان كان يحترم ويخاف منه لذاته فقد كان يعبد حيث كان الاله آمون مجرد اسم وفى الوقت الذى كان ينظر فيه الى « رع » بانه إله الاغنياء والعظماء مثل الخيل المطهمة الجميلة والملابس الأنيقة .

ولا شك أن مكانة الثعبان فى الخرافات المصرية تدل على كثرته وخطره فى العصور القديمة وكيف كان أثره المخيف على اهالى النيل . ففى الوقت الذى كان فيه شاطىء النيل عبارة عن مستنقعات غير مسكونة وكانت القبائل النيوليتيكية تبنى اكواخها فى الصحراء لابد ان الثعبان كان خطراً عظيما فى هذه الجهات . والى الآن لايوجد الثعبان المخيف الا فى الصحراء ويقل خطره نوعا ما فى الاراضى الزراعية

ولقد كان الخوف منه شديدا حتى عند اكبر الآلهة فقد جاء فى بعض الاقاصيص ان الاله « رع » قد لدغه ثعبان فسرى السم فى عروقه كأنه نار . وكذلك نجد أن رمز الملوكية فى اقدم العهود الفرعونية هو الصل إذ كان رمزاً للقوة التى لاتقاوم وشدة بأس الحاكم الفاتح ولما كانت المقابر المصرية تقام فى الصحراء وكان الثعبان أكبر خطر هناك فقد اخذ القوم يتعبدون فى جبانة طيبة الى آلهة تدعى « مرت سجر » وكانت تمثل فى شكل ثعبان وتلقب « بالقمة الغربية » وقد دخلت هذه الالهة فى العبادة الرسمية وبنى لها مقاصير وكانت تدعى الالهة « موت » وأحيانا « أزيس » إلا أنها لم يتغير شكلها عند القوم بل بقيت ترسم فى شكل حية أو ثعبان

ومن المدهش أن هذه العقيدة القديمة فى الثعبان قد عاشت قروناً عدة فى العهد المسيحى والعهد الاسلامى ولكن فى شكل مختلف . فنجد الى الآن أن الشيخ الذي أقيم ضريحه بجوار مقصورة « مرت سجر » يعتقد فيه أنه يشفى بأعاجيب أي أنه أخذ مكانة الثعبان على أن الثعبان لم يكن يقدس خوفا منه ولكن الواقع لأنه يعيش تحت الأرض فكان يعتبر أنه أقدم سكان الارض وحارس

التربة . ونجد الى الآن فى معظم جهات القطر أن الثعابين تعتبر كحراس للبيت ويقدم لها اللبن يوميا على انها كانت فى الحقيقة تؤذى إلا انها كانت تدخر سمها ولا أظنكم تجهلون قصة الثعبان الذى فقد أليفته فذهب الى زير الماء وسممه غير أنه بعد قليل عثر عليها فرجع فى الحال الى وعاء اللبن وغمس نفسه فيه ثم زحف على الارض حتى لون جلده بالتراب ثم ذهب الى الزير وغمس نفسه فيه وبذلك عكر ماءه فعرف سكان البيت أن الماء قد سمم . ولم يقتصر الاعتقاد عند المصريين الحاليين بان الثعبان يعتبر كحارس البيت فحسب بل لا يزال لتقديسه فى وادى النيل له مكانة عظيمة . ففى المغارة الواقعه فى جبل الشيخ هريدى يوجد ضريحان مقبيان ليسا لوليين مسلمين أو مسيحيين بل لثعبان ألفه . وذلك أن الشيخ هريدى ولي وأن المكان الذى يسكنه بقعة مقدسة ويقام له مولد سنوي فى شهر شوال يأتى اليه الناس من كل فج ولم يكن عند القوم أى شك فى قوة هذا الثعبان الخارقة للعادة وبلغ سمكه مايعادل فخذ الرجل واذا أساء اليه انسان نفث فى وجهه لهيب نار فيميته وهو يقطع الى قطع يلتئم بعضها ببعض والدم المتخلف على هذه البقعة التى قطع فيها يشير الى مكان كنز ويوصف بانه ملاك . وقد روى بعض السياح أن هذا الثعبان قد شفى امرأة فى اخميم كانت قد أصيبت بشلل أقعدها مدة طويلة وقد حدث الشفاء بوضع الثعبان فى سريرها . ويقال عن هذا الثعبان أنه لايموت وانه يمد يد المساعدة لكل من يطلب معونته ويشفى كل من قدم اليه القرابين . وكل من المسيحيين والمسلمين يعترفون بقوة هذا الشيخ الخارقة للعادة وهم يفسرون ذلك بان هذا الثعبان يتقمصه جن . وعلى أى حال سواء أكان الشيخ هريدي من الأولياء أو من الجان فانه متسلسل من ثعبان كان يعبد بالقرب من المكان الذى كان فيه منذ عصر ما قبل التاريخ وقد عثر على ثعبان من البرونز له رأس زيوس فى الجهة الغربية من النيل تجاه مدخل ضريح الشيخ هريدي ، يضاف الى ذلك أن المقاطعة التى تضم ضريحه تسمى مقاطعة « جوحفى » أى مقاطعة الثعبان ومن ذلك نرى أن سكان الصحراء كانوا يقدسون الثعبان فى العصر النيوليتيكى فى هذه المنطقة . وكذلك توجد على صخرة تسمى حجر الغراب على بضعة أميال من شمالي اسوان كتابات مصرية قديمة من عصر الأسرة الثانية عشرة تدل على وجود معبد لثعبان على قيد الحياة والأهالى يعتقدون فى هذه البقعة بوجود ثعبان طوله طول المجذاف وسمكه سمك الرجل ويسكن هذه الصخرة . وهذا الثعبان يظهر ليلا ويفتك بنار عينيه بكل من قاده سوء الحظ الى هذه الجهة

* * *

يلاحظ كثيراً فى مختلف جهات القطر أن لبعض الأشجار المصرية احتراما خاصا يصل الى درجة التقديس ونحن اذا ولينا وجوهنا شطر الديانة الاسلامية والديانة المسيحية لا نجد فيهما أثراً لذلك

بل نجدها على العكس فان ذلك من البدع وقبل أن نبحث عن أصل تقديس بعض الأشجار فى مصر القديمة نريد أن نعرف أولا الى أي مدى تحترم الاشجار وتقدس فى مصرنا الحالية

أولا — ان أهم الاشجار التى تقدس فى مصر هى الجميزة والنخلة والسنطة ولا أدل على ذلك من وجود بلدان تحمل أسمائها فنجد مثلا بلدة الجميزة وبلدة السنطة والنخيلة

ثانيا — أهم الاشجار واكثرها احتراما هى شجرة الجميز واحترامها شائع فى كل جهات القطر إذ قلما نجد جبانة دون ان يكون فى وسطها أو على حافتها شجرة جميز . ويعتقد العامة ان قطع الجميزة من الاشياء المحرمة إذ انها تروى الموتى وتظلهم بفيئها وقلما نجد شجرة جميز فى الجبانة أو بجوار مقام أحد المشايخ الا ونجد بجوارها زير ماء للسقاية ، وفاكهة هذه الشجرة من الاشياء المحبوبة والمادة التى تخرج من قشر ساقها تداوى بها الامراض المختلفة . وقد بلغ التعصب بالقوم فى بعض الجهات مبلغاً كبيرا لدرجة انهم يعتقدون ان من يقطع شجرة الجميز أو غصنا منها تفنى أسرته بأجمعها وفى معظم الاحيان نجد شجرة الجميز مزروعة بجوار مقام احد المشايخ « الأولياء» وفى هذه الحالة تأخذ الشجرة قداستها من الشيخ المزروعة بجواره ويعتقد القوم ان اوراقها تمتاز بخاصة عجيبة إذ تشفى الامراض . ولا يجب على أى مسلم أن يأخذ ورقة واحدة إلا بعد قراءة صلوات . ويقص العامة أقاصيص غريبة عن ذلك منها انه يوجد بالقرب من اللاهون مقام شيخ يدعى جاد الله بجواره ثلاث اشجار . وقد كان للشيخ خادم خاص يسكن مع اسرته فى كوخ مجاور وفى ذات مرة أغرى احد الزائرين زوج الخادم لتعطيه بعض اوراق من الجميز دون ان تتلو الصلاة المطلوبة ، وقد حدث مصادفة بعد بضع ايام أن توفيت زوج الخادم فعزى ذلك الى قطع هذه الأوراق خلسة

* * *

ومثل النخلة كمثل الجميزة لها مكانة عظيمة بين عامة الشعب واذكر انه فى اسيوط أراد احد الأهالى أن يبنى بيتا فاعترض أحد الجدران نخلة ففضل ان يحول اتجاه البناء عن ان يقطع الشجرة وذلك اعتقاداً منه ان قطعها امر محرم قد يسبب له خراب بيته ويجلب عليه النحس . ونجد ان خوصها يوضع فوق المقابر كقربان فى مصر القديمة ومصر الحديثة على السواء . ويزرع النخل بجوار مقامات المشايخ مثل الجميزة فمثلا فى إحدى عزب المنيا « عزبة مسمار » يوجد شيخ يدعى الشيخ سيد دفن فى بقعة ذات بناء مخروطى الشكل وبجواره شجرة نخيل على مقربة من كوخ حقير مصنوع من اللبن يشعل فيه الشمع يوميا وتأتى اليه النساء العاقرات وتمررن على مقام الشيخ سبع مرات ، وعند ماتثمر النخلة تأكل واحدة من فاكهتها ويعمل هذا ثلاث مرات فى

أيام الجمعة مع ملازمة الصمت فى الذهاب الى الزيارة وفى العودة منها

واعتقاد العامة هو أن روح الولى او الشيخ تسكن الشجرة ويفسرون ذلك بأن من بين هؤلاء الاولياء من يموت قتلا فيصنع له تمثال من الطين فى المكان الذي أهدر فيه دمه حتى لا يتحول عفريته فيضايق الاحياء غير أن التمثال كان يبلى على مر الايام فتنبت على بقاياه شجرة تسكن فيها روح الشيخ حتى وان لم يكن له ضريح هناك ومن المحقق أن الروح تسكن الشجرة فى يوم مخصوص من الاسبوع – يوم الخميس أو يوم الجمعة – « أى يوم الطلعة »

هذا هو ما نجده فى مصرنا الحالية ولنعد الآن الى أصل كل ذلك عند قدماء المصريين لنربط الماضى بالحاضر

فى مقبرة « رع جسر كاسنب » فى طيبة نجد على أحد جدرانها صورة فلاح يؤدى صلاة الصبح الى شجرة جميز مغروسة فى أحد أركان حقل قمح على حين أن قربانا من الفاكهة والخبز والماء موضوع تحت ظل الشجرة وقد حاولت الديانة الرسمية أن تحلل عبادة هذه الشجرة كما حاولت المسيحية تحليل عبادة « عين الماء » بان جعلت الشجرة فى خدمة الاله ورأت فيها مظهراً من مظاهر الالوهية فأصبحت جميزة الجنوب تمثل جسم البقرة « حاتحور » التى يرى رأسها خارجاً من بين أغصان الجميزه

وأحيانا تمثل شجرة الجميزه الاله « حاتحور » مطلة برأسها من بين أفراعها وفى يدها ابريقان مملوءان بالماء للسقاية وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الآلهة تسكن هذه الشجرة وانها شجرة الحياة وأن فاكهتها تغذى الاموات وكان من تمنيات المتوفى أن تنتقل روحه على أغصان الجميزه وأن تظلله بفيئها وأن يأكل ثمرها الشهى

ومن ذلك يتضح لنا أن الفكرة القديمة والحديثة عن تقديس الجميزه تتفقان معا

أما عن الاعتقاد بان الشجرة تنبت من تمثال الطين الذي عمل للولى فيرجع الى أصل مصرى قديم أيضا اذ كان يعتقد أن شجرة الجميزة قد نبتت من جثة أوزيريس وقد كان المتعبدون يخاطبونها بما يأتى « مرحبا بك أيتها الجميزة التى تضم الآلهة والتى تحتها يقف آلهة الآخرة أنت يامن أطرافها قد أحرقت ويامن جزعها قد التهب ويامن تساويت معه فى الآلام وأنت ياأوزيريس فهى تظلل عليك وتصد « ست » منازلك وأنت أيتها العذراء الرشيقة (يقصد الشجرة) التى قد خلقت الروح »

والى يومنا يعتقد العامة فى أن الاشجار المغروسة بجوار الأولياء تشفى المرضى وترد المفقود بدق مسامير فى جزعها

« * »

لقد توارث المصريون بعضهم عن بعض عادات خاصة بدفن موتاهم والاعتناء بهم بعد الموت

من أقدم عصور التاريخ وقد ظلوا محتفظين بهـا على الرغم من كل التقلبات الدينيـة التى مرت على البلاد والآن نريد أن نبحث فى هـذه العادات من بداية إصابة الفرد بالمرض الى أن يدفن ثم بعد الدفن

لقد ظل الفلاح المصري الى زمن غير بعيد لايؤمن بمداواة علله بالطرق الحديثة فكان يلجأ الى صنع أدويته من الاعشاب والعقاقير الطبيعية كما كان يلجأ أيضا الى قوة الصيغ السحرية وهـذا ما نجدة بالضبط فى ورقة « إيبرس » و « ورقة لندن » و « ليدن السحرية »

غير أن هذه الطرق القديمة أخذت فى التلاشى أمام العلم الحديث بالرغم من أن بعض القوم لايزالون متمسكين بها ففى كثير من الاسر التى لم تتسرب اليها أساليب المدنية الحديثة يداوي المريض بالتعاويذ السحرية فمثلا نجد الآن أن فقيه القرية يحمل معـه كتابا خاصا بالتعاويذ السحرية فاذا مرض أحد الاهالى نودى به فى الحال فيـكتب للمريض التعويذة الخـاصة بمرضه على طبق من القيشانى ثم يغسل هذا الاناء حتى تمحى الـكتابة ويعطى الماء المتخلف من ذلك الى المريض ليشربه فيشفى وهذا مانقرأه على تمثال « زد حر » الموجود بدار الآثار المصرية فى القاهرة وقد كان هذا الـكاتب مشهورا بالمداواة بواسطة التعاويذ السحرية وقد جمع منها عدداً عظيما وقبل وفاته عمل لنفسه تمثالا من الجرانيت كتب عليه كل التعاويذ التى جمعها مدة حياته حتى يمكن الاحياء أن ينتفعوا بها بعد موته . وقد قال إذا كان الفرد مصابا بمرض كيت وكيت فما عليه الا أن يصب الماء على تمثالى ليجرى على الـكتابة فاذا ماشرب منه شفى وأحيانا يكتب الشيخ التعـاويذ بالحروف الابجدية فيحملها المريض حول عنقه أو على رأسه أو فى المـكان الذى يؤلمه وفى هذا شفاء له . ومثل هذه التعاويذ نجدها بـكثرة فى ورقة ريلند الموجودة فى لندن وقد يعتقد أهل المريض أحيانا انه مرض حسدا فيأتون بامرأة معروفة فى البلدة أو القرية بالرقية الشافية فتتلو الرقيه التى يصحبها حرق البخور فى ارجاء البيت وخاصة الفاسوخ لأنه يفسخ العين المؤذية وفى أثناء تلاوتها تمسك بيدها ورقة قصت على شكل تمثال الحسود عملت فيها خروم بواسطة خياط (إبره) ثم تحرق هذه الورقة أمام عين المريض. وتفسير هذا بسيط وذلك ان المصرى كان يعتقد أن الضرر الذي كانت تسببه عين الحسود ناشىء من أن العين المؤذية أصابت الجسم ولذا عمل لصاحبها تمثال من الورق صوب اليـه وخز الابر أما حرق البخور فهو لابعاد الشياطين والأرواح الشريرة من حجرة المريض ومن البيت وكذلك من جسم المريض

وفى بعض جهات للقطر (طلخا بالوجه البحرى) تضع أسرة المريض الخبز تحت رأس المريض ظناً منهم أن ذلك يمنع الأرواح المؤذية من مهاجمة العليل وهذا الخبز بمثابة قربان لها

أما إذا كان المرض مسبباً عن لدغة ثعبان أو حشرة مؤذية فقد كانت وطأة السم تخف بواسطة التفل على المكان الملدوغ

وفى مصر الحديثة يوجد فى كل قرية شخص مشهور بمداواة لدغ العقرب أو الثعبان بالتفل على مكان اللدغة وكذلك يعتقد أن فى قدرة المشايخ شفاء لدغ الثعبان كما كان يفعل تحوت اله العلم والطب عند القدماء وعند ما تعجز طرق السحر من مداواة المريض فينتهى الأمر الى موته وتأخذ الأسرة فى تجهيزه للدفن فاذا مات فى ساعة متأخرة من النهار وكان لزاما أن يبيت فى حجرته فان الواجب أن لايترك وحده بل يبقى معه أحد أفراد الأسرة أو يوضع تحت رأسه رغيف ليكون بمثابة قربان لروحه « كا » وبذلك تبقى معه لتؤنسه فى البيت

وعند دنو أجله يوضع رأسه جهة القبلة كما هو المتبع فى الديانة الاسلامية غير أنه رغم ذلك فان كثيرا من المصريين الحاليين يضعون رأس المتوفى جهة الغرب ويرجع هذا الى اعتقاد المصريين الأقدمين بأن الغرب هو المكان الذي تدفن فيه موتاهم ولذلك يقال فى الأمثال العامية « عين الشخص غربت » اذا أشرف على الموت أى انها تتجه جهة الغرب . بل كان دائماً فى الجهة الشرقية أو البحرية ويقال فى أمثلة العامة « مبحر نوم السلاطين ومشرق نوم الوزراء ومقبل نوم الشياطين ومغرب نوم الوحدة » وعند الاقباط المتسلسلين من المصريين القدماء عند ما يتوفى الشخص يدار رأسه جهة الغرب ورجلاه جهة الشرق وتفسير ذلك عند قدماء المصريين يطابق الواقع عند المصريين الحاليين فانك تجد أن أبواب مقابر الملوك — الاهرامات — دائما فى الجهة البحرية « مبحر نوم الملوك » . أما أبواب مقابر عظماء القوم وبخاصة الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة فكانت فى الجهة الشرقية لاستقبال الشمس المشرقة . أما الغرب فكان الجهة الخاصة بدفن الموتى ولذلك نجد أن كل مقابر قدماء المصريين كانت تقع فى الجهة الغربية من النيل ومن الغريب أن معظم فلاحى القطر المصرى يتشاءمون من فتح أبواب منازلهم فى الجهة الغربية ولذلك يعتقد المصريون الحاليون أن الشرق فيه انبعاث الحياة وأن الغرب دال على العدم . ولقد أثرت العقيدة المصرية القديمة على الكتاب المصريين الحاليين فقد جاء فى « لسان العرب » الذي ألفه مصرى فى تعريف الشرق والغرب ما يأتى : الشرق دال على الوجود — والغرب دال على العدم . وانك لا تجد هذا التعريف فى أى قاموس من قواميس اللغة العربية الا فى قاموس لسان العرب لان مؤلفه مصري « أنظر لسان العرب جزء ١٢ صفحة ٤٠ طبعة ١٣٠٢ »

وفى الصباح تجتمع النساء عند بيت المتوفى ثم يتركن البيت ويطفن حول القرية اعلانا بوفاة الرجل الراحل وهن يبكين ويندبن ويصبغن وجوههن باللون الاسود أو بطمى النيل ويرخين

شعورهن . وهذه العادة بذاتها كانت موجودة عند قدماء المصريين وتشاهد مرسومة على مقبرة « راموزا » بطيبة . أما الرجال فكانوا يجتمعون أمام البيت ويأتى اليهم من يواسيهم وقد عثر على ذلك فى احدى الاوراق البردية

وذلك ان ضابطا من ضباط الجيش كتب خطابا الى زوجه المتوفاة يقول « وعندما وصلت الى منف وطلبت أجازة من الفرعون وأتيت الى المكان الذي كنت فيه بكيت بكاء مراً مع أهلى أمام دارنا وقد أعطيت ملابسى الكتانية لتكفينك وكذلك صنعت ملابس كثيرة لك ولم أترك شيئا لم أفعله »

أليس هذا ينطبق على ما نقوم به اليوم نحو موتانا ؟

والآن يأتى دور غسل الميت، وهذه عادة اسلامية ومع هذا فان العادة المصرية القديمة قد تركت أثرها فى ذلك وأقصد بهذا غسل الميت بماء الورد وقد عثر على ذلك فى ورقة اللوفر التى ترجمها ماسبرو . وأحيانا نجد فى الوجه القبلى بعض القرى تغسل موتاها بمنقوع ماء النبق وقد عثر على نقوش تثبت ذلك فى متون الاهرام « تعتبر أكل فاكهتها مطهر » أما موضوع تكفين الميت فعادة مصرية قديمة بحتة اذ حرمت الديانة الاسلامية تكفين الموتى فى أقمشة غالية الثمن ونعلم أن محمداً عليه الصلاة السلام قد كفن فى بردته

دعنا الآن نرى ما يفعله المسلمون فى مصر عند تكفين موتاهم رغم تعاليم الاسلام ففى الوجه القبلى يكفن الميت أحيانا فى خمسة عشر قميصا أى ما يقرب من نحو سبعين متراً أما فى الوجه البحرى فيختلف هذا باختلاف ثروة الشخص فالاغنياء يكفنون موتاهم أحيانا فى سبعة أدراج أما عند قدماء المصريين فقد كان يبلغ طول القماش الذى يكفن فيه الميت أحيانا نحو خمسمائة ذراع ومما يسترعى النظر عند المصريين المحدثين استعمالهم القماش الذى كان يغطى به ضريح الاولياء أو المشايخ فى صنع أكفانهم وأحيانا نجد بعض الاغنياء أو أفرادا من الطبقة الوسطى يبذلون جهدهم مدة حياتهم فى جمع بعض الملابس التى كانت تغطى ضريح الاولياء ويدخرونها ليكفنوا فيها ولدينا مايشبه هذا فى مصر القديمة وذلك ان بعض القوم كانوا يرغبون فى أن يكفنوا فى ملابس كان يستعملها الاله أي كانت توضع على تمثال الاله فكانت اللفائف التى يلف فيها تمثال الاله يوميا تؤخذ وتستعمل كأكفان للموتى تبركا بها على أن عامة القوم كانوا يكتفون بان يحصلوا على قطع صغيرة من هذه اللفائف يضعونها فى أكتافهم وهذا ما نشاهده فى مصر الحديثة اذ نجد القوم يتهافتون على قطع من كسوة الرسول عليه السلام وكذلك على قطع من غطاء ضريح السيد البدوى وغيره من الاولياء ويحتفظون بها لتكون معهم فى اكفانهم

« * »

وقد كان من عادة المصريين أن يحمل أصدقاء المتوفى التابوت على أعناقهم وهذه العادة لاتزال مشاهدة فى مصر الآن بل هذا هو الشائع . وقبل أن يخرج الميت من البيت كان يوضع معه فى كفنه بالقرب من قدميه كتاب الموتى وهو عبارة عن عدة تعاويذ تكتب على ورقة بردية كبيرة الحجم وقد بلغ عدد هذه التعاويذ احيانا ١٦٥ تعويذة . وهذه التعاويذ كانت تساعد الميت على اقتحام العقبات التى كانت تعترضه فى الحياة الآخرة وتبرئه أمام محكمة العدل يوم الحساب فى حضرة الاله « أوزوريس » و « تحوت » والآلهة « معات » وغيرهم من الآلهة . وقد اتخذت هذه العادة فى مصرنا الحالية شكلا خاصا عند المسلمين وذلك بان تقرأ عتاقة للمتوفى قبل خروجه من البيت ويعمل له اسقاط الصلاة . ولكن هناك مايثير العجب اكثر من هذا إذ أن الفرد كان يعمل لنفسه عتاقة قبل مماته فيأتى بالفقهاء الذين يقرأون الصمدية ومعهم خيط طويل وفى كل دفعة تعقد عقدة حتى تصل العقد الى عدد محدود فيأخذ الشخص هذا الحبل ويحتفظ به ليدفن معه وهذه العادة نشاهدها فى كثير من قرى مديرية الدقهلية ، وهذه الصمدية تقوم بلا شك مقام كتاب الموتى لتساعد المتوفى وقت حسابه واحيانا يوضع معه نسخة من القرآن الشريف

وقبل أن يخرج المتوفى من البيت كانت تذبح له ذبيحة أو ذبيحتان عند باب البيت وكان يوضع معه منها أجزاء فى القبر . وقد عثرنا على عظام ثيران فى مقابر كثيرة من الدول القديمة والمتوسطة والحديثة . وقد ظلت هذه العادة فى مصر الحديثة حية بشكل ظاهر . والآن اذا توفى انسان تذبح له ذبيحة تسمى كفارة . وفى بعض الجهات تسمى ونيسه أى تؤنسه فى قبره وفى بعض جهات القطر توضع بعض أجزاء هذه الذبيحة مع المتوفى فى القبر . ففى كفر بولين مركز كوم حماده مديرية البحيرة يلف رأس الذبيحة فى قطعة من القماش ويدفن مع الميت

كان قدماء المصريين يكسرون وراء الميت عند خروجه من البيت اناء ويضعونه معه فى قبره منعاً من أن تعود قرينته « كا » الى الأحياء فتؤذيهم . وقد عثرنا على مقبرة لسيدة من علية القوم من الدولة القديمة وجدنا فيها الاناء مكسرا الى قطع موضوعة فوقها قطعة حجر . وهذه العادة بذاتها لاتزال باقية فى مصرنا الحديثة إذ أنه اذا خرج شخص من البيت وكان غير مرغوب فى عودته اليه ثانية فكان يكسر وراءه إناء كسر منه جزء ، وهذا مايسمى عند الفلاحين قواراً . وقد شوهد أيضا كسر القوار وراء المتوفى خوفا من رجوع عفريته ومعاكسته لأهل البيت (اذا مات قتيلا)

* * *

يشاهد فى معظم جهات القطر وبخاصة فى القرى التى لم يتطرق اليها التمدين أن الاحتفال بدفن الميت يشبه فى كثير من الوجوه ماتراه مرسوما على جدران مقابر المصريين فكان ترتيب الاحتفال

أن يتقدم حاملو المباخر ثم القراء فأصحاب المكانة ثم أهل البيت ملتفين حول التابوت ، أما النساء فكن يمشين وراء النعش بشعور محلولة ووجوه ملطخة بالطين ومصبوغة باللون الأسود علامة على الحزن ثم يندبن ويبكين

وعند مايصل الاحتفال الى المقبرة يترك التابوت فترة قصيرة أمام القبر الذي كان يبنى عادة على شكل مصطبة أو شكل قبائى . وقد بقيت هذه الأشكال فى مصر الحديثة على أننا نجد كذلك من بين مقابر الفقراء فى مصر وبخاصة الوجه البحري مبنية بالشكل الهرمى الذي لم يكن يستعمل فى مصر القديمة الا للملوك وزوجاتهم

وقبل أن يغيب الميت فى مقره الأخير كانت تأتى زوجه وتودعه الوداع الأخير وتقبله وتنوح بالفاظ تقطع نياط القلب . واليك مارثت به زوج زوجها المتوفى : « إننى أختك أيها الرجل العظيم لاتهجرنى ! لماذا أنت بعيد عنى ! أنت يامن كنت تحب المزاح معى أنت الآن صامت لاتتكلم »

وخلف الكهنة كان يندب أقاربه النسوة الفقيرات والأطفال الذين كان يعنى بهم فى حياته قائلين : « واحزناه واحزناه ! ياللعظم الخسارة ! لقد ذهب الراعى الى أرض البقاء وذلك الذى كان له أصحاب كثيرون أصبح الآن فى بلد تحب الوحدة . وذلك الذى كان يحب أن يفسح لساقيه العنان أصبح الآن سجينا مربوطا مغلقا عليه . وذلك الذى كان له ملابس الكتان الجميلة وكان يلبسها بفرح وسرور ينام فى ملابس قد وضعت عليه منذ الأمس » أما العظماء الذين كانوا يسيرون وراء جنازته فبرغم أنهم لايشاطرون فى العويل والبكاء إلا أنهم كانوا يظهرون ارتياحهم لما يرونه من مظاهر الاخلاص والحب الذى يبديه أقارب الميت نحو فقيدهم العزيز فيقولون ما أحسن حظ هذا الرجل لقد أحبه ربه بدرجة عظيمة حتى جعله يصل الى الغرب يتبعه أجيال من خدامه وأتباعه

وهذا المنظر مألوف فى قرى الوجه البحرى ويلاحظ فى وقتنا هذا من أول خروج المتوفى من البيت الى أن يوضع فى قبره أن حملة الماء يقربون الماء الى الناس ليشربوه ترحماً عليه وبعد دفنه يصب الماء على قبره ، ونشاهد كذلك فى أثناء سير الجنازة أن الجمال تحمل الكعك والفطير والفاكهة لتوزع على الفقراء رحمة على الميت

وهذه العادة شائعة فى مصر الحديثة

وأهل الميت عند مايوزعون هذه القرابين يقولون الألفاظ الآتية « رحمة ونوراً » على روح الميت وهذه العادة مصرية محضة

والواقع أن المصري القديم كان لايتطلب فى مأواه الاخير أكثر من رحمة أوزوريس يوم الحساب والنور فى قبره . وكان المصرى يجهز نفسه من أجل الرحمة بواسطة بعض فصول من كتاب الموتى (أنظر فصل ١٢٥ ليوم الحساب) أما النور فهناك كتاب خاص يسمى « كتاب الخروج من القبر

نهارا » ومن المدهش ان المصري الحديث مثله كمثل المصرى القديم فى انزعاجه من ظلمة القبر ولذلك إذا دعا إنسان لآخر قال له « نور الله ضريحه » وفى مقبرة Paheri نقرأ النقوش الآتية « تخرج كل يوم نهارا وتعود كل يوم مساء الى بيتك (المقبره) وفى خلال الليل يضاء لك مصباح الى أن تشرق الشمس ثانية وتنير جسمك ويقال لك مرحبا فى بيتك هذا بيت الأحياء وأنت ترى رع فى أفق السماء وتشاهد امون عندما يطلع »

وقد بقيت عادة إضاءة مصباح على قبر الميت فى مصرنا الحديثة إذ أن اهالى المتوفى يضعون مصباحا فوق قبره مدة أسبوع أو أسبوعين كذلك فى الحجرة التى مات فيها فانهم يضعون مصباحا مدة ثلاثة أو سبعة ايام وقد تمتد المدة فى بعض الجهات الى اربعين ليلة وذلك يتوقف على العادة المتبعة فى الجهة التى توفى فيها الميت خوفا من عفريته

وفى أيام الأعياد تضاء المصابيح على قبور الموتى وهى عادة شائعة فى كل انحاء القطر

وعندما يغيب الراحل فى قبره كان لابد أن يفك كفنه قبل أن يوارى عليه الرمل حتى لا يكون سجينا فى لفائفه وفى مصرنا الحديثة يقوم بهذه العملية الابن الاكبر فيفك عن والده أو والدته واذا لم يكن له ولد فاحد أقاربه وهذه العادة بفصها ونصها عثرنا عليها فى متون الاهرام اذ قام حوراس بالتفكيك عن والده أوزوريس وهذا هو واجب الابن نحو أبيه فيقول النص « أن حوريس يأتى اليك وأنه يفك عنك لفائفك ويرمى بعيداً عنك أغلالك »

والغرض من هذا هو منح الراحل الحرية الكاملة فى تحريك أعضاء جسمه

« * »

كان المصرى القديم يعتقد أن المتوفى لابد له من طعام يغذى به قرينته فى قبره لأنه كان يعتقد أن لكل فرد قرينة لا يمكن أن تنضم الى جسمه وتسكن فيه فى العالم الآخر إلا اذا كان الجسم محفوظا وكذلك لابد أن يقدم لها القرابين كل يوم لتأكل منها ولأجل الاحتفاظ بالجسم كان المصرى يجتهد فى اخفاء مقبرته فى مكان حصين ليحفظه حتى لا يتطرق اليه البلى ويعمل له تماثيل تحل محل الجسم إذا بلى وأهم من كل ذلك انه كان يحبس الاوقاف ليقدم لقرينته القرابين يوميا وفى بعض الاحيان كان يضع المأكولات معه فى القبر وقد بقيت هذه العادة الاخيرة الى الآن ويعتبرها كل من الدين المسيحى والاسلامى نوعا من البدع ولكنها فى الحقيقة عادة مصرية قديمة وقد أخبرنى صديق لى أنه بجوار بلدة طنطا شاهد فى قرية هناك أن أقارب المتوفى وضعوا معه فى قبره حماما ودجاجا مشويا ليكون له غذاء فى قبره وفى معظم قرى الوجه البحرى مثل (ميت غمر وميت ناجى والمعصره) تضع اسرة المتوفى إبريق ماء وثلاثة ارغفة من العيش وقليلا من الملح غير أن هـذ

العادة كانت تعمل اذا كان المتوفى سيدفن فى قبر لم يكن قد دفن فيه احد من قبل وتفسير ذلك يختلف باختلاف الجهات فبعض القري تعزو وضع هذه الاشياء الى الرغبة فى الائتناس والبعض الآخر يعتبرها غذاء للراحل وقد شاهدت فى القاهرة بعض القوم يضعون رغيفين وقليلا من الملح فى النعش تحت رأس الميت على أن توضع معه فى القبر

« * »

لما كان المصرى القديم يعتقد أنه سيحيى حياة اخرى كان يضع معه كثيرا من الاثاث الذى كان يتمتع به فى الحياة الدنيا وبخاصة التى كان يحبها وقد نجد فى المقبرة أثاثا لم يكن قد استعمل من قبل وأثاثا استعمله الميت مدة حياته — وقد عثر فى حفائر الجامعة على أشياء كثيرة من هذا النوع وفى عهد الدولة الحديثة عثر على أشياء كان لها فضل كبير فى اماطة اللثام عن معلومات قيمة تتناول الحياة المنزلية والحياة الاجتماعية عامة وقد بقيت بعض هذه العادات الى عصرنا هذا يستعملها الاقباط والمسلمون على السواء فمثلا كما كان يوجد مع الاطفال فى عهد الدولة الحديثة أدوات كتابتهم فى مقابرهم نجد الآن أن أهل الميت يضعون معهم لعبهم وألواح كتابتهم المكتوبة عليها بعض أجزاء من القرآن الكريم وهم فى المكتب وهذه العادة لاتزال موجودة فى أبى جرج ويقول ارمن فى كتابه « الادب المصرى » أن معظم الحكم والامثال التى وصلت الينا قد عثرنا عليها مكتوبة على ألواح كتابة الاطفال فى المدارس فى مقابرهم . والى الآن يوضع حلى المرأه معها وكذلك يوضع احيانا طشت وابريق وشبك (ابو جرج)

والآن دعنا نترك المتوفى سا كنا فى قبره لننظر فيما يقوم به أهل الفقيد نحو راحلهم العزيز — فى مصر الحديثة كما كان فى مصر القديمة لم تترك أسرة المتوفى فرصة دون أن تظهر احترامها لذكرى الراحل — فى مصر القديمة كان أهل الميت يمتنعون عن كل أنواع الملاذ والسرور والطعام اللذيذ والملابس الجميلة والاستحمام وكذلك كانوا يرخون لحاهم وقد شاهد ذلك هيرودت بنفسه وهذا ما نشاهده فى كل جهات القطر الآن وفى الوجه البحري نشاهد الرجال يرخون لحاهم مدة أربعين يوما أما النساء فيتركن شعورهن محلولة أو يقصونها وهذه عادة شائعة فى الوجه القبلى وفى اليوم الثالث من ممات الشخص تجمع نساء أهل المتوفى ملابسه وتحملنها فى سلة إلى شاطىء النهر أو الترعة المجاورة لهن لتغسل وفى أثناء سيرهن تقوم أختا المتوفى بالتعديد ذاكرتين ما كان عليه المتوفى من صفات أما النساء الأخريات فكن يتبعنهما بالعويل فى الذهاب والاياب وهذه العادة على ما أذكر مقصورة على الوجه البحرى

وبفضل هذه العادة استطعنا أن نفسر قطعة من الفصل الأول من كتاب الموتى كانت غامضة

مبهمة إذ يقول المتوفى « قد كنت مع الباكين على أوزوريس (أي مع إزيس ونفتيس) عند شاطىء رختى . ورختى هذا هو المكان الذى كانت تغسل فيه ملابس المتوفى ومعنى كلمة رختى لغويا الغسيل فحينئذ كان شاطىء رختى معداً لغسل ملابس الميت فى اليوم الثالث . أما المرأتان اللتان كانتا تعددان مناقب الراحل فى مصرنا الحديثة فانهما تقابلان فى مصر القديمة إزيس ونفتيس وبذلك أصبح مفهوما لدينا مكان الغسيل فى كتاب الموتى

ويرجع السبب فى غسل ملابس الراحل فى اليوم الثالث إلى أنه فى هذا اليوم حينما تغسل الملابس تتركها الروح العالقة بها وتنضم إلى الجسم حيث تسكن معه فى القبر وكان غسل الملابس يحدث وقت غروب الشمس حتى يمكن للروح أن تغرب مع الشمس الى مثوى الراحل ومن الغريب جداً أن النسوة بعد غسل الملابس يذهبن الى المقبرة ويضعن عليه طبقة من الطين ظانين أنهن يمنعن الروح من الخروج من المقبرة مرة أخري

* * *

كان المصرى القديم يهتم اهتماما كبيراً باتخاذ الأهبة لتقديم القرابين لقرينته فكان يحبس عليها الأوقاف وكانت تعمل لذلك وصايا مثل وصايا أسيوط العشر وكان أهل الميت يذهبون الى قبره كل يوم اذا كان غنياً وفى الأعياد فقط اذا كان فقيراً وفى عصرنا الحالى تحبس القرابين على قبور الموتى حتى يترحم من خرجها على أرواحهم ولا فرق هناك بين تقديم القرابين فى مصر القديمة ومصر الحديثة . ففى الأولى كانت توضع القرابين على مائدة القربان ليستفيد منها الكهنة وفى الثانية يأخذها المقرئون الذين يحضرون لذلك الغرض فى يوم الخميس أو يوم الجمعة وفى كلتا الحالتين كان يعتقد ان روح الميت تتمتع بكل ما يقدم لها من أنواع الطعام والشراب ومن غريب العادات المتأصلة عندنا هى زيارة الميت أسبوعياً والترحم عليه ولم أعرف لهذه العادة أصلا حتى عثرت عليها مصادفة فى الكتابات المصرية القديمة وذلك أن « إزيس » كانت تزور قبر أخيها أوزوريس فى جزيرة بجا بالقرب من أسوان أسبوعياً للترحم عليه فكانت تصب الماء على قبره وتجلس تحت ظل الشجرة التى تمثل الاله نفسه (وهى عندنا الآن الطلعة) ومن العادات القبطية الشائعة فى وقتنا هذا أن أهل الميت عندما يزورون قبر راحلهم يضعون قليلا من حب القمح على مقبرته وهناك يأكلون بجواره ما كان يحبه فى حياته

هذه نظرة عامة فى بعض بقايا العادة الدينية التى ورثناها عن أجدادنا

تأثير الايحاء فى تكوين الشخصية

للاستاذ زكى حكيم

روت الصحف الانجليزية قبل عامين تقريبا أن الذين شاهدوا الطيار الانجليزى « سكوت » عند مابدأ رحلته الجوية من انجلترا قاصدا الى أوستراليا فى المباراة الجوية البعيدة المدي والتى فاز فيها هذا الطيار بجائزتها الأولى ، أن « مسز سكوت » زوجته قالت له فى آخر لحظة وهو يضع قدمه على سلم الطائرة ليأخذ مكانه فى مقعد القيادة « هأنذا فى انتظار النبأ السار بفوزك فى هذه المباراة ، أرجو أن تضع هذه الرغبة نصب عينيك فى كل لحظة تستطيع أن تذكرنى فيها وأنت فى الجو ، تذرع بالاقدام الذى أعرفه فيك ، وانتهز الفرصة للمغامرة ، فقد بنى هذا السباق على المغامرات ، والى اللقاء ! ! »

فاز هذا الطيار كما قلنا بالجائزة الأولى فى هذه المباراة ، فكان لابد للصحفيين كما هى عادتهم أن يتهافتوا على زوجته ، يسألونها شتى الأسئلة عن حياة زوجها ، وعن أسرار هذه الحياة ، فلم يجدوا الاهتمام باديا عليها ، كمن كان يتوقع هذا الخبر السار ، وابتدرتهم قائلة « لقد رجحت منذ اللحظة الأولى أنه سيكون موضوع الحديث فى هذه المباراة ، فقد « أوحيت » اليه أن يكون كذلك حين ناولته « الجرعة » فى المطار عند بدء قيامه بهذه الرحلة . »

قد يخيل لنا أن هذا الكلام حديث بسيط عادى . قد يقال مثله كل يوم على سبيل التحية أو التشجيع ، ولا أثر له فى حياة الأشخاص . ولو تمعنا قليلا لعرفنا أن مثل هذه الكلمات القليلة هى إيحاء وتوجيهات توجه الأشخاص نحو وجهة معينة ـ إما الى النجاح ، واما الى الخيبة والفشل ، أو هى « جرعات » على حد تعبير « مسز سكوت » فيها الدواء الناجع ، أو السم القاتل

ولو رجعنا الى حوادث التاريخ ، وما التاريخ إلا تاريخ الشخصيات البارزة ، لوجدنا أن نجاح هذه الشخصيات ، وتوجيهها الى الوجهة المعينة التى ساروا عليها فى حياتهم ، سببها ايحاءات « تجرعوها » من والديهم ، أو من أشخاص عظام قابلوهم فى حياتهم ، أو حادثة بسيطة كانت هى الوحى التى وجهت هذه الشخصية نحو وجهة معينة ، أو عمل معين ، أو حرفة بذاتها

وقبل أن أسرد هنا عدة أمثلة من شخصيات معروفة ، وتأثير الايحاء فى حياتهم أحب أن أعرّف الايحاء ـ الخارجى والنفسى ـ حتى أعقب على هذه الامثلة ، بدرس وجيز فى كيفية

الايحاء فى نفوسنا وفى نفوس غيرنا ، حتى يمكننا أن نوجه أولادنا ـ رجال الغد ـ وجهات معينة فى الحياة ، هى النجاح والبروز والمثل العليا

* * *

قد كان الايمان بالوراثة عظيما فيما مضى ، وكان المظنون أن الانسان يرث الذكاء أو البلادة من أبويه كما يرث الشكل الخارجى ، من دمامة أو جمال ، طول قامة أو قصرها

ولكن علم النفس الحديث علمنا ـ لاسيما السيكلوجية السلوكية ـ أن الوسط دون الوراثة هو العامل الأساسى فى تكوين الشخصية ، والتى هى نتيجة التفاعل بين الفرد والمجتمع المحيط به . وأن الذكاء والبلادة يعزيان الى الاستجابات الأولى التى يستجيب بها الطفل للمنبهات من ايحاء أو تقليد وما هما ـ أى الذكاء والبلادة ـ إلا عادات انغرست منذ الصغر، كعادات أخرى غيرهما مثل الشجاعة أو الجبن ، الكرم او البخل ، الحلم أو الحمق ، سرعة الخاطر أو خمول الذهن ، وغيرها كثير من الصفات التى كان يظن انها صفات موروثه ، وظهر بالتحقيق أنها عادات واستجابات للوسط ، وبمعنى آخر إيحاءات انغرست منذ الصغر فى العقل الباطن ، فكانت لها أعظم الاثر فى تكوين الشخصيات

ونظن أنه من التكرار الممل ، أو من نافلة القول ، أن نعرّف العقل الباطن ، أو الواعية الخفية ، أو اللاشعور ، فكلها أسماء لمسمى واحد ، أصبح معروفا لجميع القراء . بفضل الكتاب الاجتماعيين ، ولا بأس من الايجاز حتى يستقيم المعنى فتتم الفائدة

للانسان عقلان عقل واع نعمل به أعمالنا على وعى بما نعمل ، وعلى انتباه بما نجرى من اعمال ، وكل أعمالنا تقريبا التى نعملها ، أو أقوالنا التى نقولها ونحن فى حالة اليقظة أو الانتباه هى من عمل العقل الواعى . ولكن هناك أعمالا نعملها ونحن فى شبه غفوة ، حتى اذا ماانتهينا الى هذه الاعمال تعجبنا لسخافتها أو لجودتها . كما أن هناك أقوالا تفلتت منا فى أثناء غفوتنا ، أو لعدم انتباهنا ويقظتنا نعجب لأنفسنا كيف صدرت منا أو « أفلتت » منا . كما أن هناك خواطر تجرى ، فيها السخيف وفيها المعقول . ونكاد لانعى بها الا اذا تنبهنا واستيقظ عقلنا . وكذلك فى النوم تجرى أحلامنا على غير وعى منا ، فيها السخيف الذى لامعنى له ، وفيها رؤى هى نتيجة انشغال بالنا وتفكيرنا فى موضوع يهمنا ويشغلنا

فهذه الأعمال ، وهذه الأقوال « المفلوتة » وهذه الخواطر ، وهذه الأحلام . كل هذه هى نتيجة العقل الباطن ، ذلك العقل الذى هو عبارة عن مخزن تختزن فيه الافكار والمناظر والأعمال ولايظهر شىء من المخزون إلا عند غفوة العقل الواعى ، أو عدم انتباهه . فكل فكرة أو منظر اختزن فى العقل الباطن ، أو بمعنى آخر اندس فيه ، لهما اكبر الأثر فى توجيه أعمالنا ، وفى تكوين أخلاقنا وعاداتنا ، كما فى تكوين ميولنا وعواطفنا

فرب منظر رجل مخمور تراه وأنت صغير يقيء على ملابسه ، وما يكاد يقف حتى يقع ، وما يكاد يتكلم حتى يخلط ويتفوه بالشتائم ، هذا المنظر الكريه ، الذي يندس في عقلك الباطن وأنت صغير ، ربما يكون له أكبر الأثر في كراهيتك لشرب الخمر ، حتى اذا ما دعيت لشربه رفضت ، واذا ألحوا عليك فاضطررت الى تقريبه من فمك جزعت وتجشأت ، وأنت تعجب لهذا الجزع وهذه الكراهية ، مع أن أغلب الناس يشربون الخمر بلذة ونشوة . ولكن الواقع أن هذا الجزع وهذه الكراهية هما « ايحاء » الاشمئزاز الذي اندس في العقل الباطن . فكان لهذا لايحاء أكبر الأثر في توجيهك في الحياة وجهة معينة هي كراهيتك لشرب الخمر

يتبين من ذلك ان الايحاء هو قول ، أو منظر ، أو عمل اندس في العقل الباطن فكان له الأثر في توجيه « الشخصية » وجهة معينة سواء النجاح أم الفشل . للخير أم الشر

* * *

والآن ننتقل بالقاريء الى أمثلة معروفة وغير معروفة من الشخصيات التي كان للايحاء أكبر الأثر في تكوين شخصياتهم ، أو توجيههم الى حرفة بالذات

ونظن أن أحسن الأمثال لتأثير الايحاء في تكوين الشخصية ، شخصية محمد على الكبير ، رأس الأسرة المالكة في مصر ، ذلك الرجل الذي كان أولى به خمول الذكر ، كغيره من الشخصيات ، الذين نشأوا في بيئة مثل بيئته ، ونبتوا من اسرات كأسرته . ولكن محمداً عليا هذا قيض الله له والدة عظيمة ناولته « الجرعة » وهو صغير

ويحسن بنا أن ننقل ما كتبه المرحوم الياس الأيوبي في كتابه « محمد على . سيرته . وأعماله وآثاره » حيث قال :

« كانت أم محمد على امرأة حادة الشعور ، حمساء الخيال ، يدل على ذلك المنام الذي يقال انها رأته وهي حامل بابنها المجيد . وفسره لها بعض العرافين ، فأكد لها انه يبشر بمستقبل عظيم لثمرة بطنها . فلما بلغ ولدها في أول صباه من السن ماجعله قادراً على التفهم ، فانها ما فتئت تخبره بذلك المنام . لتوجد في فؤاده الميل الى عظائم الامور ، وتنحيه وتعززه

«والكثرة ترديد هذا المنام على محمد على ، أخذ هذا المنام ، وهو كبير ، يتردد كثيرا على مخيلته ، ويوقظ فيها أوهاماً غريبة جعلته يحلم ، ذات ليلة ، أنه ظميء ظمأ شديدا ، فشرب كل ماء النيل ولم يرتو . فلما كان الصباح ، قص منامه على شيخ مسن كان يعرفه ، وكان لهذا الشيخ دراية بتفسير الاحلام ، فقال هذا له « أبشر يابني فان منامك يعني أنك ستملك وادي النيل بأسره ، ولن تكتفي به ، بل ستسعى الى امتلاك أقطار غيره ! ! » فهزأ محمد على بالتفسير . لانه استبعد الامر جداً ، ولكنه بالرغم من ذلك ، رأى ان مخيلته أخذت تزداد تغذيا بما كان يساورها من أوهام

« حتى اذا ما اضطرت تركيا الى ارسال حملة من رجالها الى مصر لاخراج الانجليز منها ، وتكليف الدولة للوالى الذي كان يحكم الولايه التى منها محمد على ، وتكليف هذا الوالى بدوره محمد على أن ينضم الى الفرقة التى سيبعث بها تحت قيادة ابنه ، ورفض محمد على فى أول الأمر الانضمام الى هذه الحملة ، لأنه كان فى ذاك الوقت قد تزوج بغنية واستتب له العيش الرغيد فى تجارة الدخان . الا أن الحظ ارسل له فى تلك اللحظة ذلك الشيخ الوقور الذى كان قد فسر له منامه ، فقال له هذا « أنت غلطان ياصديقى . اجل ان الطريق لطويلة ، ولكنها توصل الى العلا ! » فرنت كلماته هذه فى آذان محمد على فكأنها صوت المستقبل ، وفتحت أمام عينيه آفاقا زاهرة وقد قال هو نفسه فيما بعد ! « ان كلام ذلك الشيخ الذى كنت أثق به وثوقا كبيرا أقنعنى ، فعدت الى الوالى ، ووضعت نفسى تحت تصرفه ! »

هذا الذي قصه المرحوم الياس الايوبى فى كتابه عن محمد على ، هو الايحاء الذى تلقاه أو تجرعه محمد على وهو صغير ، وكان لهذا الايحاء اعظم الاثر فى حياته حيث وجهه وجهة معينة نحو الفتح والاستيلاء ، وتولى سلطة مصر رغم ما اعترضه من عقبات يذكرها كل من قرأ تاريخ هذه الحقبة من تاريخ مصر

« * »

وقد ذكر الاستاذ عباس محمود العقاد فى احدى مقالاته عن الشيخ محمد عبده ، وعن أثره فى حياته . قال : « قدمنى الى الشيخ محمد عبده استاذى الشيخ فخر الدين محمد ففسح صدره لمناقشتى وقال الشيخ فخر الدين بعد اطلاعه على طرف من موضوعاتى الانشائية ، ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد — ثم قال — أعنى الاستاذ العقاد — وما أحسب أن كلمة الشيخ محمد عبده فى تشجيعى واستحسان موضوعاتى الانشائية قد كان لها أثر غير ضعيف فى توجيهى الى الحياة الادبية »

والواقع ان هذه الكلمة التى قالها الشيخ محمد عبده ! لم يكن لها أثر غير ضعيف فحسب فى توجيه الاستاذ العقاد الى الحياة الادبية ، واتخاذه حرفة الادب والصحافة مهنة له ، بل كان لها كل الاثر ، بل كانت الايحاء والجرعة فى توجيهه الى هذه الحياة ، ولولا هذه الكلمة ، بل لولا هذا الايحاء له لما كان الاستاذ العقاد الا موظفا فى الحكومة وهى أمنية كل شاب كان على بعض العلم فى عهده ، أو كان شيئا آخر غير هذا الذى يحيا به ، ومنه ، وله ، أعنى الادب

* * *

ومن الذين كان للايحاء اعظم الاثر فى تكوين شخصيتهم ، بل لتوجيه حياتهم الى الزعامة

وائعظمه ، « ابراهام لنكولن » أحد رؤساء الولايات المتحـدة الذين تدين لهم تلك الولايات اليوم بما فيها من تقدم ورقى . فقد كان والد لنكولن نجارا عاديا ، ولكن والدته كانت تعنى به العناية كلها فما كاد يتعلم مبادىء القراءة والكتابة حتى اختارت له من الكتب ، الكتاب المقدس وكتابا عن حياة « جورج وشنجتون » وكثيرا ما كانت تحدثه عن تاريخ حياة هذا « العظيم » محرر امريكا وتغرس فى نفسه حبه ومحبته لأعماله المجيدة التى قام بها . وما كادت تموت هذه الوالدة العظيمة وتترك ولدهـا فى العاشرة من عمره حتى كانت قد ناولته « الجرعـة » وهى حبه لواشنجتون العظيم ، حتى ادمن قراءة الكتاب الذى يحوى تاريخ حيـاته ، والذى تركته له أمـه قبل وفاتهـا وحياً له وهاديا

ولئن كان أعظم الفضـل فى تحرير الولايات المتحـدة يعزى لواشنجتون ، فان اعظم الفضل فى اصلاحهـا ، والقضاء على ما كان فيهـا من اضطراب ، يعزى إلى لنكولن ، الذى اتخذ من حيـاة واشنجتون مثالا يحتذى بل الذى اندست حياته وأعماله فى عقله وهو صغير ، وكان لها اعظم الاثر فى توجيه حياته الى ترسم خطاه

« * »

هذه أمثلة معروفة عن حيـاة بعض الناس ، وعن مبلغ أثر الايحـاء فى نفوسهم ، ولكن الآن اسمحوا لى ان أحدثكم عن نفسى... راجيا من سعة صدوركم ان تغفروا لى هذا السخف ، وماذلك إلا فى سبيل التدليل على النظرية العلمية التى أحدثكم عنها

نشأت وأنا صغير فى منزل عمى ، وهو محام قديم تخرج من الحقوق فى عام ١٩٠٤ ، وكان مكتبه فى الدور الاول من منزله ، وكان هذا المكتب عامرا بمختلف القضايا ، عامرا بمختلف المتقاضين حتى لا أكون مغاليا إذا قلت هنا ان حجرات مكتبه وردهاته تزدحم يوميا بحوالى خمسين متقاضيا ، هذا غير الذين فى الخارج أمام المكتب فى انتظار أقارهم ، وحدهم أو معهم حميرهم التى كانت الوسيلة الوحيدة للمواصلات بين أسيوط والارياف التى حولها . ولا أغالى إذا قلت أن سوقا حاشداً يجتمع يوميا فى المكتب وخارجه ، كما لا أخفى أيضا ان تلك الايام هى الايام البكر للمحاماه التى كانت تغل على محترفيها مايغله منجم من ذهب

نشأت فى هذا الوسط فى سن هى سن التلقين ، هى سن المحاكاة ، هى سن قبول الايحاء النفسى بسهولة وبتركيز

ثم بعد ذلك تركت اسيوط وتركت منزل عمى ، بل مكتب عمى ، مدة خمسة عشر عاما تقريبا لم أر فيها أسيوط إطلاقا ، ولم أر لا منزل عمى ولا مكتبه ، ولم افكر فى حياتى فى اسيوط ، إلا كما يفكر

الرجل فى طور طفولته بمناسبات متفاوتة

ثم عشت فى القاهرة ، وتعلمت فى مدارسها ، وكنت متفوقا فى الرياضيات ، بارعا فى الرسم ، حتى كان يتردد على ألسن الأقارب والمعارف وعلى لسانى أيضا ، بأننى سأصير مهندسا ، ولذلك عندما أحوز البكالوريا سألتحق بمدرسة الهندسة .. وكم كانت مدرسة الهندسة هى التى أقول ويقال لى بانها هى مصيرى فى النهاية

نجحت فى امتحان الكفاءة ، وكان الواجب مادام فى نيتى أن التحق بالهندسة أن أدخل القسم العلمى ولكن لا أعرف لماذا ترددت فى ذلك ، وأصبح التردد يقض مضجعى فى الليل ، ويجعلنى فى النهار أكثر من الاستفهام من اصدقائى وأقاربى عما يفضلون ، هل القسم العلمى أم القسم الادبى ، وأخيرا أشير على من أصدقائى عندما رأوا شدة ترددى ، وعدم ظهور ميل شديد عندى لتفضيل احدهما على الآخر ، أشير على بأن احكم القرعة فى ذلك ، وسرعان ما كتبنا ورقتين مطويتين ، إحداهما تحوي القسم العلمى والأخرى القسم الادبى ، وفتحنا احداها فكانت الادبى .. وعندئذ تنفست الصعداء وصممت نهائيا على دخول القسم الادبى ، وهذا ماكان

ثم بعد ذلك نجحت فى البكالوريا . وانتابنى التردد فى هذه المرة باشد مما انتابنى فى المرة الاولى فتذكرت القرعة ، وبين جمع من اصدقائى حكمنا الورقات المطوية .... وكانت اربعا تحتوى على الحقوق والزراعة والتجارة والمعلمين ، ولما فتحنا احداها كانت الحقوق ، فهللنا وتنفست الصعداء ... أيضا ، ودخلت كلية الحقوق بسهولة

ثم تنتهى هذه القصة الطويلة المملة ، بنيلى شهادة الحقوق ، وبالتفوق فى الترتيب نوعا يسمح لى بالسعى وبالنجاح فى الحصول على وظيفة فنية فى الحكومة ، ولكنى لم اسع لذلك مطلقا وكنت ارفض باباء الالتحاق باى وظيفة ، والتقيد بقيودها واغلالها كما كنت ازعم ، وفى الاعمال الحرة متسع لأمثالي الذين وطنوا أنفسهم على ذلك فى مبدأ التحاقهم بالمدارس العاليه . ثم بعد ذلك أتعرف ماذا عملت ؟؟ اشتغلت بالمحاماة .... وأين ؟ مع عمى فى اسيوط حيث قضيت مدة التمرين ، وبعد ذلك قضيت مدة ليست بالقصيرة باشتغالى بالمحاماه هناك

هذه القصة تبين كيف أن الايحاء النفسى فى الصغر نبت وكبت فى العقل الباطن . وكيف حصل النزاع بين العقل الواعى والعقل الباطن ، فألقانى فى التردد مرتين ، كنت فيهما بعقلى الواعى ازن الامور ، وأوازن بين مواهبي الطبيعية فافضل القسم العلمى لأن هذه المواهب تساعد على ذلك أولا وثانيا لأن مجال القسم العلمى اوسع آفاقا وأكثر رزقا كما كانوا يقولون ، ولو أن الرزق بيد الله .... وبعقلى الباطن ، ذلك العقل الذى يعمل فى سكون ، ويدير فى تصميم ، ويوجه الانسان بكليته وهو

لايدري الى مايقصد ، مهما كانت الحوائل والظروف حتى كان ينتهى هذا التردد بتحكيم سخيف هو تحكيم أوراق صامتة ، غير معززة بدليل أو إقناع ، فكانت المصادفة وحدها هى التى تبت فى الموضوع بتاً سريعا ، ولو كانت القرعة على خلاص ذلك فى الحالتين ، لتجدد التردد مرة أخرى ، وما اشتبك العقلان فى نزاع مرة ثانية وثالثة حتى ينتهى النزاع بانتصار العقل الباطن ، ولو على اوهى الاسباب ، لأن فى العقل الباطن تنبت الفكرة وترعرع وتنمو مع الانسان ، ولا يمكن ان تقتلع بسهولة وان توجه الانسان وجهة مضادة لها ، لأصابة الفشل والخيبة طول الحياة ، لذلك النزاع الدائم المستمر بين العقل الواعى والعقل الباطن

والآن أؤكد ان كل فرد بيننا إذا بحث فى تاريخ نشأته ، لوجد ان شخصيته وحرفته تكونت بالايحاء وقت الصغر ، وقت تهيؤ الانسان للتلقين ، فنمت وترعرعت مع الايام

حتى ان امثالنا العربية والعامية هى تعزيز لهذه النظرية ، فما قول العامة « الواد يطلع لخاله » والمثل العربى « هذا الشبل من ذاك الاسد » إلا دليل قاطع على ان الطفل الصغير يشب ويترعرع ويكبر وقد لبس شخصية اقرب الناس اليه ، وذلك بالايحاء والتلقين

وهناك مثل ملموس فى اسرة مشهورة هى اسرة توفيق باشا دوس ، فان التوفيق الذي اصابه فى مهنة المحاماة جعلت اطفال الاسرة يشبون وهم لايسمعون فى منازلهم غير هذا التوفيق وغير هذه الشهرة ، وهذه الثروة التى اصابها من مهنته ، فانزرعت فى نفوسهم ، ونبتت فكرة المحاماه فى عقولهم الباطنة ، حتى نجد اخويه محامين ، وثلاثة من اولاده تخرجوا من كلية الحقوق ، وأولاد اخوته خمس محامون ، وابنة اخيه محامية أمام المحاكم المختلطة ، هذا غير الذين فى الحقوق ، والذين فى نيتهم الالتحاق بالحقوق

« * »

إن الايحاء له قوة عظيمة على النفس ، حتى لقد استخدمه علماء النفس فى شفاء الامراض النفسية المزمنة ، التى لم ينفع فيها علاج ولا عقاقير . وقد عرف العلماء الجنائيين ذلك ، فاستخدموه فى كشف الجرائم ، حتى لقد قيل فى المؤامرة الروسية الأخيرة ان البوليس أرغم المتهمين على الاعتراف . وذكرت بعض الدوائر أن نوعا من العقاقير يستعمل لحمل المتهمين على الاعتراف . وقد ظهر أن هذه كلها تكهنات ومن قبيل الرجم بالغيب ، فان الحقيقة هى أن الايحاء وحده هو الذى استخدم فى إرغام المتهمين على اعترافات حقيقية واعترافات وهمية ، يدلنا على ذلك مافاه به « رادك » أحد المتهمين فى المؤامرة الاخيرة ، وهو كاتب شيوعى لايشق له غبار ، حيث قال جملته الساخرة اللاذعة فى حرم المحكمة « سأعترف بما أعلم وبما لا أعلم ... »

فان الحقيقة هى أن الايحاء وحده هو الذى استخدم لحمل المتهمين على اعترافات مخصوصة ، حتى لقد قيل ان الطريقة الآتية هى التى استعملت ، وهى أنهم وضعوا فى غرف السجن مكبرات للصوت فتبدأ أولا بصوت خافت تهمس عند نوم السجين توجد مؤامرة عظيمة ... انت مشترك فيها .. توجد مؤامرة أنت مشترك فيها .. توجد مؤامرة انت مشترك فيها ... ويستمر مكبر الصوت فى ترديد هذه العبارة ليلة بعد ليلة ، وفى خلال النهار لا يسمح لانسان بان يكلم السجين كلمة واحدة. وفى الليل يبدأ الصوت ثانيا ولكن فى عبارات أطول من الاولى : « انك وان كنت نائما فانك تسمعنى ، توجد مؤامرة ... وانت تقتل فيها زيدا ... أنت تقتل زيدا ... أنت تقتل زيدا ... تذكر أنك انت الذى تقتل زيدا ... » ثم توضح المؤامرة للسجين بالتفصيل الذى يريدونه أن يعترف به ، وفى النهار يعذب ويعاقب جسمانيا دون ان يحادثه احد بكلمة واحدة بحيث يصبح الموت شيئا مرغوبا فيه ، وأخيرا يعترف بما يراد ان يعترف به ، ويكون هذا الاعتراف هو نتيجة الايحاء المستمر دون انقطاع ودون تغيير فى الصوت او اللهجة ، أو نغمة الكلام ، فى الوقت الذى يكون فيه فى حالة « قبول الايحاء » أى عند ابتداء النوم

فتصور هذه القوة العظيمة — قوة الايحاء — التى تلقى بالنفس إلى غياهب السجن ، ان لم يكن الى ساحة الاعدام

فمن ذلك يتبين مالللايحاء من قوة عظيمة على النفس ، وأن للايحاء وقتا معينا هو وقت غفوة العقل الواعى ، أى فى الوقت الذي بين النوم واليقظة ، اي عند ابتداء النوم . هذا فى الكبار . اما فى الصغار فهو السن الصالحة كل الصلاحية لقبول التلقين والايحاء ، حتى لكم شبهنا الطفل بالقرد لكثرة مايحب ان يقلد الكبار

فالايحاء فى زمن الصبا من اعظم القوى فى توجيه الشخص الى وجهة معينة فى الحياة العملية ، كما أنه من اقوي البواعث على النجاح . فقد ينغرس الميل الى العسكرية من بذلة حربية يلبسها الطفل فى احد الأعياد يخطر بها وهو يجلجل بسيفه ، ويسمع كلمات الاطراء من والديه . او يسمع القاب التفخيم والرتب العسكرية العظيمة من الخدم او ممن يعجبون بمنظره فتبقى هذه الذكرى كامنة فى عقله الباطن حتى يبلغ سن الشباب فيميل بكليته الى الحياة العسكرية

او طفل آخر استصحبه والده وسمعا معا لمحاضر او خطيب فصيح نال الاعجاب ، وألهب أيدى السامعين بتصفيق الاستحسان ، وسمع من والده كلمات الاطراء والمديح لهذا الخطيب فاندس فى عقله الباطن هذا المنظر ، وهذا المديح والاعجاب ، حتى ليكاد يرى هذا المنظر مراراً وتكراراً فى خواطره وأحلامه ، وحتى ليراه بعض الاحيان يعتلى كرسيا ، ويصرخ بأعلى صوته مقلداً الخطيب

حتى اذا ماشب وترعرع ، وبلغ مبلغ الشباب ، مال بكليته الى حرفة تمت الى الخطابة بصلة فتجده إما محاميا او خطيبا فى مسجد او مدرسا اوما شابه ذلك

فقلما تجد واحداً من الناجحين فى اعمالهم وتسأله عن ايام صباه حتى تري ان الميل قد انغرس فيه منذ الصبا . ولذلك يمكننا أن ننزع من عقولنا فكرة الحظ ، او القضاء والقدر ، او ترك الطفل للظروف التى تهيؤ له الميول الخاصة التى توجهه فى الحياة وجهة خاصة ، بل يمكن الابوين العاقلين ان يوجها طفلهما وجهة معينة فى الحياة ، ويغرسا فى نفسه عادات بعينها كالشجاعة وضبط النفس ، والحلم والكرامة والتسامح كما يوجهانه الى حرفة بعينها ، بتحبيبه إياها وإطراء محترفيها ودوام ذكر الخير والمال الذي تدره على من يزاولها الى آخر هذه المغريات التى تنغرس فى العقل الباطن على توالى الايام فتتوجه اليه ميوله ولا يمكن ان يتحول عنها مهما كانت الظروف إلا إلى فشل محقق لأن الفشل فى عمل ما ، ماهو الا توجيه شخص الى عمل لارغبة له فيه

يعيبون على الشباب تهافتهم على وظائف الحكومة ولو انصفوا لعلموا أن هذا ما أوحى اليهم به منذ الصغر ، فهم لم يسمعوا ثناء فى غير وظيفة الحكومة ، وما تدره من مرتب صغير مضمون ، خير مما تدره الأعمال الحرة من إيراد غير مضمون ، والفتاة ذات المائة فدان تفضل ويفضل ابوها أن يكون زوجها موظفا ذا مرتب صغير على ذي المهنة الحرة التى تدر اضعاف ماتدره الوظيفة الحكومية ، « وان فاتك الميرى فتمرغ فى ترابه » حتى مات فى الشباب روح المجازفة وأصبح الراسخ فى ذهنه ، إن لم يصر موظفا فى الحكومة طوحت به الاقدار إلى المسغبة والعرى الى البؤس والشقاء . ولو دروا لعلموا ان وظيفة الخادم فى المشرب تدر عليه أكثر مما تدره الدرجة السادسة فى وظائف الحكومة

أوحوا إلى ابنائكم ، ولقنوهم منذ الصغر ان وظائف الحكومة اغلال وقيود وان المهنة الحرة متسعة الآفاق وان ذوي الثروات الضخمة لم يجمعوها من وظيفة حكومية بل من التجارة والصناعة وأن الحياة جهاد ومنافسة وابتكار ومجازفة ولا عاش من كان جبانا

فيأيتها الأمهات ، وأيها الآباء أطفالكم وديعة بين أيديكم ، نجاحهم فى الحياة وفشلهم فيها يرجع اليكم وإلى تلقينكم . فعلم النفس الحديث اثبت بالبراهين القاطعة التى لاتحتمل الجدل والنقاش أن الشخص هو ابن الوسط والبيئة ، والوراثة لاشأن لها فى تكوينه وتنشئته فابن الكذاب ليس كذابا بالوراثة من أبيه بل بتقليد أبيه فى الكذب وابن المحامى لم يرث المحاماة عن والده أو عمه بل أصبح محاميا للايحاء والتلقين اللذين وجهاه إلى هذه المهنة منذ الصغر ... وهكذا

فالآن ترون أن المفتاح فى أيديكم يمكنكم أن تفتحوا الباب الذى يوصل الى الطريق المؤدي الى ماترغبون فيه لأنفسكم ومن تتولون رعايتهم وتنشئتهم

قصة الفلاح الفصيح

للآنسة إيريس حبيب المصرى

للمصرلوجى الأمريكى الكبير برستد مؤلفات ثمينة عن حضارة الفراعنة . وقد كان هذا العالم الأثرى يجيء الى مصر من حين إلى حين لكى يجدد معلوماته ويوسع معارفه غير مكتف بما وعاه صدره . ومن أعظم كتبه مؤلف دعاه « فجر الضمير » أثبت فيه ان الحضارة المصرية هى التى يرجع اليها ما بلغه المجتمع الانسانى الحاضر من مستوى أخلاقى رفيع . وقد وصف أحد كبار الصحفيين هذا الكتاب بأنه « يوقفنا على تكوين أعظم تطور فى تاريخ الكون — ذلك التطور العجيب الذى به انتقل الانسان من تذليله القوي المادية إلى الاكتشاف المدهش لقيمة القوى الداخلية والانتصار على النفس وإدراك المسئولية الاجتماعية »

ويتضمن هذا الكتاب فصلا بديعاً بعنوان « أقدم الرسل الاجتماعيين » يصف فيه المؤلف كيف انه قبل أربعة آلاف من السنين سما أفراد من الناس حتى استطاعوا أن يحلموا بمجتمع أمثل وكان أولئك الحالمون ينقسمون فريقين : فريق يذهب إلى أن العصر الذهبي لن يجيء إلا متى جلس على العرش حاكم أمثل . أما الفريق الثانى فكان يذهب إلى ان الحاكم لا يتهيأ له الاصلاح مالم يكن الرجال المحيطون به والموكول اليهم أمر إقامة الدول والهيمنة على شؤون السياسة رجال عدل وانصاف . وبعبارة أخرى كان رأى الفريق الأول أن صلاح الرعية بصلاح الحاكم . ورأى الفريق الثانى أن صلاح الحاكم بصلاح رجال حكومته وأركان دولته . وكان رجال الفريق الثانى يؤمنون على الدوام بأن الغلبة حتما للحق والبر مدى الدهر — ويستمسكون بالأمل فى أن البر (ويرمزون اليه باللفظة ماعت) لاشك عائد إلى السيطرة على نظام المجتمع المصرى

وقد أبانوا عن آمالهم هذه فى رسالة يصح أن تسمى بالفلاح الفصيح . وهى رسالة طريفة تعد صحيفة بديعة من صحائف الأدب المصرى القديم ونموذج عظيم للروح التى كانت تسود المجتمع المصرى وتعرب عن رأيه فى العدالة وفى علاقات الحاكمين والمحكومين . ولا يعرف اسم مؤلف هذه الرسالة الذى كتبها فى قالب روائى وابتكرها خصيصا ليجعل منها وسيلة للبحث عن شخصيات

رجال الحكم والصفات التى يجب أن يتحلوا بها والنهج الذى ينبغى لهم أن ينهجوه فى الادارة وفى المجتمع وما ينشأ عن ذلك من عدل وخير . وقد عالج المؤلف مشكلة لا تزال قائمة الى اليوم . واننا اذ نقرأها يخيل لنا أن الكاتب يطرح علينا مسألة من أمهات المسائل التى تشغل بال الجماهير فى الوقت الحاضر

وهاك القصة :

كان بمديرية الفيوم بوادى النطرون فى الصحراء الغربية فلاح يقطن فى قرية اسمها « غيط الملح » واتفق أن وجد المؤونة المخزونة فى داره قد أوشكت على النفاد . فحمل على حميره بعض منتجات قريته من ملح ونطرون وذهب بها الى هرا كليو بوليس عند مدخل الفيوم ليستبدل بها قمحا . وكان لابد له أن يمر فى طريقه بمنزل رجل يدعى تو تناخت — أحد أتباع رنسى الذي كان أمين الخرج لبيت فرعون نفسه . واذ رأي تو تناخت الفلاح مقبلا يسوق حميره أمامه فكر فى حيلة يحتال بها لنهبها منه . فأرسل على الفور خادما الى منزله أحضر له صندوقا الى منزله ممتلئا بملاءات بيضاء أخرجها وفرشها على قارعة الطريق . فغطى الطريق كله من ناحيتيه : من حافة الحقل من ناحيته العليا الى حافة الترعة من ناحيته السفلى . وذلك لكى يسد الطريق فى وجه الفلاح الذى كان غير عالم بما دبر له — وخشى الماء فقاد حميره صوب الحقل عند طرفه — وعند مرور الحمير بالحقل قضم أحدها سنبلة من السنابل القائمة المغرية . وكانت هذه القضمة هى الفرصة التى ينتظرها تو تناخت للعمل . لذلك أسرع فقبض على زمام الحمير وأخذها . فاحتج الفلاح على ذلك فى لطف — ولكن دون جدوي . فكرر احتجاجه وأضاف كلمة جريئة حيث قال : « اننى على حق - فالطريق مسدود أمامى لذلك مررت بحمارى جهة الحقل فأخذته منى لانه قضم قضمة من القمح . والآن أنا أعرف سيد هذه الناحية اذ هى ملك لأمين الخرج رنسى بن ميرو . وهو بعينه الذى يطارد اللصوص فى كل مكان — أأسرق أنا فى أرضه ؟ »

فثارت ثائرة تو تناخت لهذه الكلمات المهينة وأمسك بفرع شجرة وجعل يضرب الفلاح دون رحمة أو شفقة رغم صراخه واحتجاجه . وساق الحمير كلها الى اسطبله . وبعد احتجاج مدى أربعة أيام دون جدوى عول الفلاح على أن يرفع مظلمته الى رنسى نفسه

فقد كانت أسرته وشيكة أن تتضور جوعا . وشجعه على هذا العزم ما هو معروف بين الجميع من عدالة الامين . واتجه نحو المدينة وهو يؤمل مقابلته . ولحسن حظه رآه وقد أوشك أن يركب زورقه الاميرى فوق الترعة . وتمكن بكل أدب وفى كثير من اللباقة وحسن الذوق أن يلفت نظر رنسى اليه لحظة وهو سائر نحو زورقه . فأرسل اليه رنسى رجلا يستعلم منه عن حاجته فلما

عاد الخادم وقص عليه ما سمعه من الفلاح طرح رنسى المسألة على مسامع أتباعه من رجال الحكم. وفى الحال اجمع زملاء الامين على تخطئة الفلاح وتبرئة تو تناخت . وأجابوا دون اكتراث بأن الامر لابد متعلق بفلاح دفع الضريبة الى موظف غير الموظف الموكول اليه قبضها . وأن تو تناخت لم يفعل على الارجح سوي أنه استولى على ما يحق له أخذه . وتساءلوا فى شىء من الغضب :

« أيعاقب تو تناخت لاجل مقدار ضئيل تافه من الملح ومن النطرون ؟ فان كان تو تناخت قد أخطأ ولا بد من عقابه فليؤمر أن يعيد ما أخذه وهو سيعيده بلا شك » وعلينا أن نلاحظ أن هذا التجاهل من جانب أولئك الموظفين لبؤس الفلاح ولحاجته الشديدة الى دوابه ولما كانت تتعرض له أسرته من الجوع انما هو من الطبائع الملازمة لطبقتهم

ويقف الفلاح جانبا يسمع حكمهم الجائر وتجاهلهم لحقوقه بينما رنسى صامت يفكر . وصورتهم على تلك الحال صورة مصغرة لمشكلة اجتماعية خطيرة هى مشكلة الاجيال جميعا : ففى ناحيه وقف جماعة من طبقة الحكام المتقلبة فى رغد العيش و بسطته و رفاهيته المستعدة دائما للانحناء أمام رؤسائها وتنفيذ رغباتهم ، والى اظهار الغطرسة والجبروت والتحكم فى مرؤوسيها . وفى الناحية الاخرى وقف الفلاح المسكين المهضوم الحق فى وحدة ويأس — فياله من مثل مؤلم لصيحة الألم من الظلم وللجهاد الصامت فى طلب العدل ! وهذا المنظر من أقدم الامثلة للمهارة المصرية فى تصوير المبادىء المعنوية فى صورة ملموسة

وحين رأى الفلاح أن الامين لا يتلفظ بكلمة قام بمجهود جديد لعله يفلح فيقى أسرته غائلة الجوع فتقدم الي الامام و بفصاحة مدهشة خاطب الرجل العظيم الذى فى يده مقاليد الامور متمنيا له سفراً سعيداً ومرددا ما سمعه عنه من حسن المعاملة وختم نداءه قائلا : « فأنت والد لليتيم وزوج للارملة وأخ للمعدم وجابر للعثرات . دعنى أضع اسمك فى هذه البلاد فوق كل قانون أيها القائد المتحرر من البخل أيها الرجل العظيم البعيد عن كل صغيرة . أنت الذى تقضى على الشر وتثبت دعائم الحق والبر. استجب لصرختى التى يفوه بها لسانى . وحين أتكلم اسمع لى — أقض لى بالعدل يامن يمتدحه الجميع ومن يقضى عليه العظماء . أنقذنى من بؤسى . أنظر الى فان حملى ثقيل وامتحنى فتجدنى خاسرا »

وقد سر أمين الخرج من فصاحة الفلاح الى درجة أنه تركه دون البت فى أمره . واتجه فى الحال صوب البلاط حيث قابل الملك وقال له « ياسيدي لقد عثرت على فلاح ممن يحسنون الكلام حقا » فاشتاق الملك الى سماع هذا الفلاح وأمر الأمين أن يقوده الى البلاط دون البت فى مسألته حتى يلقى مظلمته باحاديث أخرى كما يأمر أن يدوّن كل مايقوله الفلاح وأن يقدم له الطعام والشراب

وان يرسل خادما الى قرية الفلاح ليقدم الى أسرته ما تحتاج اليه من مأكل وملبس حتى لا يضنيها الجوع وهو فى البلاط . وكانت نتيجة هـذه التدابير أن تقدم الفلاح بشكواه وألقى على مسامع رنسى تسع طلبات . وأولى الطلبات التى أبداها الفلاح على مسامع الأمين رنسى تعرب عن شدة ماشعر به من الخيبة لأنه كان ينتظر العدل فلم يجده وخاصة لأنه سمع عن عدالة الأمين التامة التى لا تحيد قيد شعرة عن الحق . ثم يبدأ شكواه الثانيه بتأنيب يقاطعه فيه رنسى بالتهديد . ولكن الفلاح لا يضعف ويستمر فى تأنيبه . ثم يترك التأنيب جانبا ويعود الى المدح والثناء فى طلبته الثالثة فيقول : ياسيدى ـ انك رع سيد السماء مع أتباعك . وفى يدك أمر جميع الناس لأنك تقوتهم كالفيضان . أنت النيل الذي يزهر الحقول وينبت الأرض المجدبة . ادفع عنا اللصوص واحم البائس . ولا تكن شديدا على من يتقدم بالشكوى اليك . احترس فالأبدية تقترب . اختر العمل لأنه قيل « ان العدالة هى الجو الذي يستطيع الناس فيه أن يتنفسوا ولولاها لاختنقوا » . فاوقع العقاب على من يستحق العقاب ولن يوجد نظيرك . هل يخطىء الميزان ؟ هل يميل قب الميزان الى ناحية دون الاخرى ؟ لا تتكلم بالكذب لأنك عظيم والعظيم مسئول . ولا تكن مهذارا لان لكلماتك قيمتها . لا تتفوه بالكذب لأنك ميزان ولا تمل مع الهوى فأنت البر . أنت والميزان سواء فان حاد الميزان حدت أنت . ان لسانك لسان الميزان وقلبك كفتاه وشفتاك قبه . »

وتشبيه الامين وشخصيته وصفاته بالميزان يتكرر فى أحاديث الفلاح . ومعناه واضح : فان الحكام هم الذين فى أيديهم إقامة العدل ـ فان حادوا فأين يوجد ؟ والمطلوب منهم أن يوازنوا بين العدل والظلم وأن يصلوا الى حل عادل بصحة الميزان الدقيق الصنع . وهكذا صار الميزان رمزا شائعا فى الحياة المصرية الى أن صار مثلا ناطقا فى محاكمة النفس بعد الموت . ولأول مرة يرمز بالميزان الى العدالة ولأول مرة تستعمل هذه الكلمة للتعبير عن فكرة معنوية . وقد وصل هذا الرمز الى عصرنا فى تمثال العدالة المعصوبة العينين الحاملة الميزان . والميزان حين استعمل فى هذه القصة منذ أربعة آلاف سنة لم يستعمل كوحدة فقط بل استعملت أجزاؤه كأمثلة لاستقامة الحكام

والفلاح يذكر رنسى بانه هو نفسه سيقف أمام عرش أوزوريس ليدان بحكم الميزان الذى لن يحيد إذ يقول «احذر لان الابدية تقترب» وهذا نداء نادر فى المقابلة بين الظلم الحاضر والمسئولية فى المستقبل

ويشتد تهديد الفلاح لامين الخرج فيغضب هذا ويأمر اثنين من خدمه بان يضرباه . ولكن على الرغم من ذلك لا يتزعزع الفلاح ولا يضطرب بل يقف ثابتا فى مكانه منتظرا الامين وهو خارج من المعبد الملوكى متجها نحو منزله . فيقدم له شكواه الرابعة ثم ينتقل الى الخامسة التى وان

كانت أقصر طلباته إلا أنها أقواها فى شدة ماتتضمنه من تهديد وضيق . فيقول له « لقد تقلدت منصبك لكى تستمع الى الشكاوي وتحكم بين المتخاصمين وتدفع أذى اللصوص . ولكنك تقف فى صف المعتدى . ويحبك الناس مع أنك معتد . لقد توليت الامر فينا لتكون سداً منيعا تحمى الفقير من الغرق ولكنك صرت له فيضانا يطغى عليه »

ولكن رنسى لايكترث للشكوى ولايعبأ بها . وعندئذ يعمد الفلاح الى طلب سادس فيحاول اكتسابه بان يثير فيه روح العدل ويذكره بصيته وبما هو مشهور عنه من حسن المعاملة . إذ يقول « أيها الامين – ياسيدي – حطم الظلم وأقم دعائم العدل . ثبت كل ماهو حق وأزهق كل ماهو باطل كالشبع الذي يذهب بالجوع ، وكالكساء الذى يغطى العرى ، وكالسماء التى تهدأ بعد العاصفة فتدفىء المغرور ، وكالنار التى تنضج الطعام ، وكالماء الذي يطفىء العطش »

ولما لم يتحرك رنسى بعد هذا النداء يثور الفلاح غضبا من جديد ويعود الى التهديد والوعيد فيقول « لقد تعلمت وتهذبت وتربيت ولكن ليس للسرقة . لقد اعتدت أن تفعل كما يفعل كل أترابك وسقطت فى الشباك . أنت الاستقامة ولكنك اكبر معتد فى البلاد بأسرها . ان بستانى الشر يروى حقله بالاثم حتى تنبت مزارعه الكذب وتملأ أرضه شرا ووبالا »

ولكن هذه التهديدات لم تغنه فتيلا ولم تجده نفعا . فيتقدم الفلاح بطلبته السابقة . ويبدأ بعبارات طنانة من المدح والاطراء فيصف رنسى بانه « الدفة التى تسير سفينة البلاد بأسرها . » ثم لايلبث حتى يعود الى تذكر بؤسه وحاجته فيصيح برنسى :

« ان نفسى متألمة وقلبي مثقل بالهموم . يوجد ثقب فى السد فتتدفق مياهه وتغمرني . لذلك يصرخ لسانى » واذ يستمر رنسى على عدم مبالاته وهو الرجل المشهور بعدله المعروف بحسن معاملته للناس يزداد حنق الفلاح وغضبه حيث يبدو له صمت الامين مما يستفز الجماد ويحرك الحجر وينطق الاخرس فيصخب ويصيح وتتدفق الكلمات من فيه ثائرة مهتاجة « ليس من صامت ما كنت لتدفعه الى الكلام ، ولا من نائم ما كنت لتوقظه من رقاده ، ولا من بائس ما كنت لتثيره ولا يوجد فم ما كنت لتفتح مغاليقه . ولا من من جاهل ما كنت لتعلمه » ويطغى الألم والغضب على الفلاح فيندفع الى طلبته الثامنة ويستمر فى ثورته وتأنيبه ويصيح قائلا « ان قلبك بخيل ولا يليق بك . أنت تسرق وهذا مما لاينفعك ... ورجال الحكم الذين عينوا ليدفعوا الاذى عن الناس ليسو إذن سوى ملاذ للفوضى وملجأ لسوء النظام وهم الذين قاموا لدفع الظلم » ثم يتراخى الفلاح المسكين ويدع التأنيب جانبا . ويتوسل الى رنسى ويستثير فيه روح العدل بكلمات هى أدهش مافى هذه الصفة وهى « اعمل العدل من أجل إله العدل الذي عدالته هى عدالة حقة – أنت يامن هو القلم

والقرطاس ومسند القرطاس ـ أنت توت المبتعد بعيدا عن عمل الشر . وحين يكون البر برا حقا كان برا بمعنى الكلمة . لان البر (ماآث) يدوم الى الابد وينزل مع صانعه الى القبر حين يوضع فى الكفن ويهال عليه التراب « ولن يمحى اسمه من على الارض بل يظل الناس يذكرونه لبره ـ فهذا هو البر الذى لكلمة الله » ويتبع هذه الكلمات العجيبة العميقة الاثر السؤال عما اذا كان الظلم ممكنا بعد ذلك فيقول « هل الأمين هو ميزان (يد) لايحيد ؟ هل هو ميزان من الموازين الكبيرة لايميل ؟ أم هل كل مافى الامر أنه لم يصل بعد الى حل عادل يصحح الخطأ المعيب الذى آلمه ؟ » ومع ذلك فالقاضى العدل الذى فى مقدوره اقامة العدل وإعادته الى نصابه كان مستمعا لقصته منذ البداية ـ فهو لم يعرض ولم يهرب ولم يمت ولم يجب بكلمة على كل تلك الكلمات الحارة التى ألقيت على مسامعه والتى صدرت من فم رع نفسه . ثم ينهى الفلاح حديثه بقوله « قل الحق واعمل الحق * لانه عظيم ولانه قوى ولانه دائم . وجزاؤه سيجدك حيثما كنت وسيتبعك الى شيخوخة وفورة »

وعلى الرغم من هذه الكلمات النبيلة يصمت رنسى . فيعلو صوت الفلاح فى ألم يائس بطلبته التاسعة . ويذكر الرجل العظيم بخطر اصطحاب الغش وكيف أن الذى يتخذ الغش خدنا له وصديقا لن يخلف عقبا ولن يكون له من يرثه من بعده ، ولن تصل سفينة الكذب الى الميناء الأمين وأن الذين لايكترثون لغيرهم ولايعبأون بهم لن يكون لهم صيت ولن تبقى لهم ذكرى ، ولاصديق لمن يصم أذنيه عن نداء العدل ، وليس من فرح للبخيل ... « فها أنا أستنجد بك وأنت لاتصغى وبسببك سأذهب وأقدم ندائى الى انوبيس » ويظهر من ذكر أنوبيس الذى هو إله الموتى أن الرجل يعنى أنه سينتحر . ويخرج الفلاح على أثر ذلك فيبعث رنسى بخدمه ليرجعوه . وتدور بين الفلاح والوزير الخطير كلمات غير واضحة الآن للاسف . وكان رنسى قد جعل واحدا من الكتبة يدوّن كلمات الفلاح كما طلب فرعون . الا أن الجزء الأخير منها أصابه التلف الكبير . بيد انه رغم ذلك يمكن ان يستخلص منها بان الملفات البردية التى أعدها رجال رنسى حملت الى فرعون الذى وجد أن « قلبه قد سر بها اكثر مما سر من أى شىء آخر فى البلاد كلها » فيأمر رنسى بان يبتّ فى أمر الفلاح . وعندها يحضر أتباع رنسى ملفات الاحصاء التى تثبت أين بلدته الرسمية ومركزه القانونى والاجتماعى وعدد الساكنين فى منزله ومقدار ممتلكاته . وهنا توجد كلمات مبهمة بالغة يستنتج منها أن توتناخت عوقب وصودرت أملاكه وأعطيت للفلاح

* من المهم جدا أن نعرف أن الحق (ماآت) يعني الحق والبر والعدل تبعا لسياق الحديث . ولكن لايمكن التفريق فى هذا المجال اذ يظهر أن المتكلم يعنى كل هذه المعاني مجتمعة .

وانه لمن المدهش حقا أن نجد الأشراف الذين من بلاط فرعون منذ أربعة آلاف سنة مهتمين بأمر الطبقة الفقيره الى درجة أن واحدا منهم يكلف نفسه مؤونة تأليف قصة كهذه القصة التى تبدو أنها ترمى الى بث دعاية عظيمة لاقامة العدل وللشفقة نحو الفقراء والبر بهم . ومثل هؤلاء الرجال لم يخرجوا عن كونهم رسلا للعدل الاجتماعى . وقد نجحوا فى جعل هذه القصة شائقة لطبقة الاشراف - وهى الطبقة التى كتبت القصة لها . وعلى الرغم من كونها مبهمة احيانا ومن لغتها المزخرفة وماتتضمنه من تشابيه جريئة تجعل جزءا كبيرا من فصاحة الفلاح غير واضح للقارىء الآن إلا أنها كانت للمصرى القديم مثلا من الأدب العالى . ومن الظاهر أيضا أن أسلوبها كان مناسبا كل المناسبة للعصر الذى كتبت فيه وان ما احتوته من دعابة لاذعة تتضح من حين الى آخر زادت فى قيمتها لدى المصريين الذين عرف عنهم الميل الى النكتة البارعة والفكاهة الطريفة

ايريس حبيب المصري

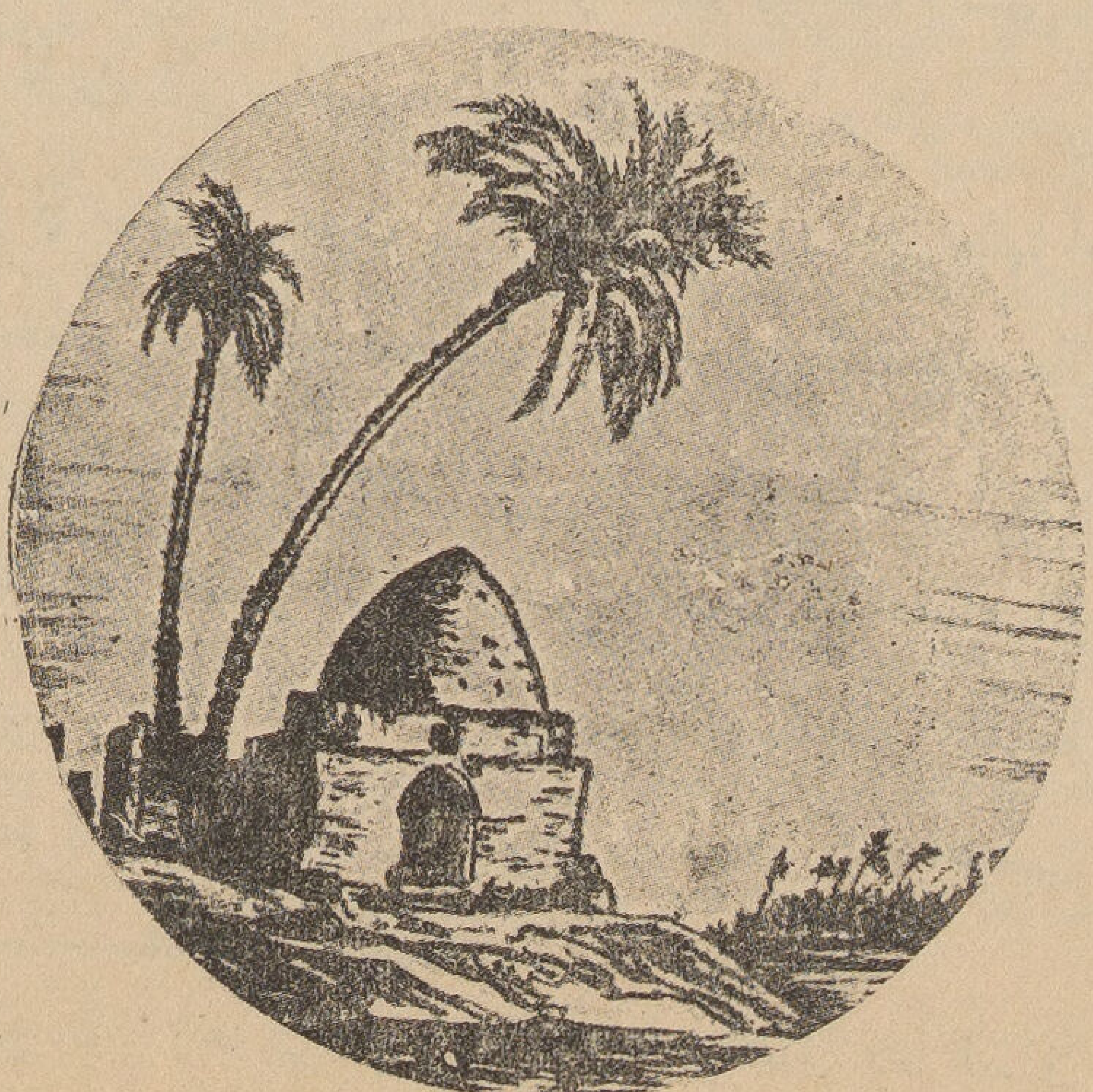

كتب الشهر الجديدة

اسماعيل المفترى عليه

تأليف بيير كرابيتت وترجمه فؤاد صروف صفحاته ٢٦٨ من القطع الكبير
قامت بنشره دار النشر الحديث

هذا الكتاب قد وضعه مؤلفه لتزكية اسماعيل وهى تزكية حقة . فان جميع الظروف قد تألبت على الافتراء على اسماعيل مع أنه هو الذي بعث الحضارة فى مصر وكافح لتعميم الآراء الحديثة . وصحيح انه أوقع مصر فى دين ثقيل كان سببا لنكبتها بالمراقبة الثنائية ثم بالتدخل البريطانى . ولكن ما قيل عنه من الاسراف والملذات كان افتراء لا أساس له . فانه افتتح امارته بمحاولتين شريفتين هما الغاء النخاسة والغاء الرقيق وانقاذ ما يمكن انقاذه من ورطة قناة السويس التى وقع فيها سلفه سعيد . ثم شرع بعد ذلك فى تمدين البلاد بنية خالصة

أما خراب مصر الذى انتهت اليه أمارته فيعزي إلى الماليين الذين خدعوه كما خدعوا ولا يزالون يخدعون خولا أ كبر منه . فان أسرة روتشيلد التى اليها يعزي تأخرنا واستعبادنا المالى هى أيضا الأسرة التى كانت مدة الحرب الكبري تقرض أموالها لألمانيا وبريطانيا على السواء لكى تحارب احداهما الأخرى ويقتل أبناؤهما لكى تفوز هى بالربا

وعندنا الآن اثنان فى مصر قد افترى عليهما هما اسماعيل من ناحية وعرابى من ناحية أخرى . وهذا الكتاب يزكى اسماعيل التزكية الحقة فنرجو أن نجد الكتاب الآخر الذي يزكى عرابى . فان كليهما أودى ببلادنا ولكن كلا منهما كان حسن النية يريد لها الرقى . وقد أحبط الماليون خطط الأول وأحبط السياسيون خطط الثانى

وقد خدم القاضى كرابيت قراء مصر بهذا الكتاب المفيد كما خدمهم الأستاذ صروف بترجمته

شعراء مصر

تأليف عباس محمود العقاد صفحاته ٢٠٣ من القطع المتوسط
قام بنشره مكتبة النهضة المصرية بمصر

تناول المؤلف فى هذا الكتاب طائفة من الشعراء بالترجمة والنقد . وقد عالج فيه أشعار

حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ومحمد عبد المطلب وتوفيق البكري وعبد الله نديم وعلى الليثى ومحمد عثمان جلال . وهو معتدل فى أحكامه ولكنه يكتب أحيانا وكأنه يدافع عن قضية سياسية بلهجة المناقشة والتحامل مثال ذلك قوله فى كلامه عن محمد عثمان جلال :

« ولكن الاشتراكيين ما كانوا قط أهلا لفهم الفنون ولا أهلا لفهم الانسانية . انما يفهمون ان الاقتصاد هو مسخر الحياة ولا يفهمون ان الحياة مسخرة الاقتصاد والاقتصاديين »

فلعل المؤلف يجهل أن وليم موريس كان من أكبر دعاة الاشتراكية فى انجلترا وكان فى الوقت نفسه من أجل الشعراء . وكذلك كان ربرت بروك الذي قتل فى الحرب الكبرى . ولا ندرى لماذا يفسد النظر الاشتراكى نفس الشاعر ولا يفسدها النظر الامبراطورى الذي كان يتسم به كبلنج

والكتاب مع كل ذلك خلاصة مفيدة لنهضة الشعر فى مصر . وهى نهضة مقيدة بالقواعد والنزعات العربية التقليدية

مصر فى قيصرية الاسكندر المقدونى

تأليف اسماعيل مظهر صفحاته ١٢٨ من القطع الكبير
قام بنشره مكتبة النهضة المصرية بمصر

صفحات هذا الكتاب ١٢٨ منها ٤٩ للمتن التاريخى ونحو ٧٨ صفحة أخرى لتعيين الأسماء والتعليقات . ولذلك فان المؤلف لا يمكن أن يكون قد قصد إلى أن يقدم لعامة القراء قصة مقروءة عن الاسكندر . ونحن نرى أن هذا التدقيق الذى أنفق فيه جهده فى تحرى صحة الأسماء كان عناء لا قيمة له . ولعل المؤلف اكتسب هذه العقلية من المجمع اللغوى

الوثبة الاولى

تأليف محمود تيمور صفحاته ١٨٩ من القطع المتوسط
أخرجته دار النشر الحديث

يحتوى هذا الكتاب اثنتى عشرة قصة صغيرة . وقد صدر بمقال « حاجتنا إلى الفن » وهو المقال الذى نشرته هذه المجلة فى عدد سابق

والمؤلف معروف عند قراء هذه المجلة بطريقته فى التحليل النفسى ومعالجته لشئون الفقراء

والمتواضعين . وهو يمسهم فى عطف بل حب . وقد استطاع بمجهوده الفردي أن يجعل الأقصوصة شيئا مألوفا فى الأدب العربى الحديث . وان كنا لاننكر مجهودات سائر كتابنا . ولكننا نميز محمود تيمور باخلاصه للقصة وعكوفه عليها وتوخيه معالجتها بحيث تتناول شئونا مختلفة من حياتنا ويحسن المؤلف لو تناول قصة كبيرة يحلل بها ناحية من نواحى الاجتماع المصرى الحاضر تحليلا وافيا لا تتسع له القصة الصغيرة

الزهاوي الشاعر

تأليف اسماعيل احمد ادهم صفحاته ٥٤ من القطع الكبير
طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية

يرى القاريء فى هذا العدد من المجلة الجديدة مقالا لمؤلف هذا الكتاب عن النهضه فى كل من تركيا ومصر . وقد لايوافقه البعض على كل ماجاء فيها ولكن لايمكن الا الاعتراف بانه يعالج موضوعه فى احاطة عجيبة مع ذكاء عظيم . كما يجد القاريء له ايضا قطعة مختارة من هذا الكتاب عن جميل صدقى الزهاوي الذى تكرم فاهداه الينا نحن واسماعيل مظهر . ومؤلف هذا الكتاب هو نفسه صاحب الكتاب الذى دعا الازهر الى مصادرته لانه تناول الحديث النبوى على غير مايهوي الازهريون . كأن الثقافة يجب ان تنزل على المستوى الذهنى الازهرى ولا تتجاوزه

ونحن نقرأ مايكتبه اسماعيل احمد ادهم مع الاعجاب والاسف . نعجب بالنظرة الصائبة التى ينظر بها الى معنى الرقى الاجتماعى . وهى نظرة زعماء تركيا وأدبائهم . ونأسف لأنه ليس بين أدبائنا فى مصر من ينظر هذه النظرة . فان تركيا ادركت ان نجاتها متوقفة على التخلص من العقلية العربية سواء فى الادب أم الاجتماع بالرجوع الى نفسها واحياء عنصريتها التورانية والاندماج فى الاسرة الأوربية المتحضرة . أما نحن فما زلنا منغمسين فى الأدب العربى قد غمرتنا العقلية العربية فى كل شيء تقريبا . وأكاد أكون الوحيد فى مصر فى الدعوة الى القومية الفرعونية والتخلص من العقلية العربية والاندماج فى الاسرة الاوربية المتحضرة . ولكنى فرد بين رعاع وغوغاء يقرأون السخف فى كتب الأدب العربى القديم ويحسبون أنهم أدباء . ولو أننا كنا ندرك مغزى النهضة الحديثة والتقدم البشرى فى القرن العشرين لكافأنا اسماعيل احمد ادهم بأحسن مايكافأ به كاتب لكى لاينقطع عن الكتابة فى النصح لنا وتعيين الطرق للرقى

ولكننا نجهل مغزى النهضة الحديثة . ولذلك نحن نصادر كتبه . ولذلك أيضا تتقدم تركيا وتتأخر مصر

مسألة السكان فى مصر

مؤلف بالانجليزية وضعه الدكتور وندل كليلاند. صفحاته ١٣٤ من القطع الكبير
ويطلب من الجامعة الامريكية بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب قضى نحو عشرين سنة فى مصر . وهو أستاذ امريكى يختص فى الاجتماع والسيكلوجية . وهو يرى أن تزايد السكان فى مصر من العقد الاجتماعية التى يجب علينا أن نواجهها ونحاول حلها . لأن غلات الأرض لا تزيد بالمقدار الذي يزيده السكان . والكتاب تسعة فصول الفصل الاول يتناول تاريخ السكان الى سنة ١٨٨٢ . والثانى يبين المصادر التى اعتمد عليها فى دروسه والثالث يشرح الاتجاهات فى العلاقة بين السكان والغلات بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٢٧ . والرابع يبين مقدار المواليد . والخامس عن الوفيات . والسادس يبين المستوى الاقتصادى بين الفلاحين . والسابع يشرح الأحوال الصحية . والثامن يشرح زيادة السكان . والتاسع يبحث فى علاج هذه المسائل

ويرى المؤلف أن الزراعة مزحومة باكثر ممن تتحمل من الفلاحين . وأن ٩٥ فى المائة من السكان مرضى لهذا الزحام . وأن نظام الرى كما أنه زاد غلات القطر قد زاد ايضا الامراض . وهذا مع العلم بان الزيادة فى الغلات هى على كل حال دون الزيادة فى السكان . وينصح المؤلف بضبط التناسل مع زيادة الثروة باتخاذ الصناعات الآلية كمورد للرزق الى جنب الزراعة . وهذا هو ما طالما دعونا اليه

كتب أخرى

« طريق الشركة » كتاب بالانجليزية تأليف س. ا . موريسون صفحاته ٨٧ من القطع المتوسط وهو يبحث نشاط المرسلين الانجليز فى مصر وفلسطين أى نشاطهم الدينى والخيرى فى انشاء المستشفيات والمدارس وغير ذلك . وبه صور عدة

« المسيحى والمسلم » تأليف جبران مسوح فى ارجنتينا . رسالة صغيرة صفحاتها ٦٣ غاية المؤلف منها الا تتفق سوريا ولبنان دولة واحدة

« المعاهدة » النص الكامل باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية للمعاهدة المصريه البريطانية صفحاتها ١٣٢ وبها خارطة تبين الشروط العسكرية . عنى بطبعها اسكندر خورى

« من أقلام الشباب الحجازى » مجموعة مقالات للكتاب الحجازيين فى ١٨١ صفحة وهى تبين نظرهم للادب الحديث . وممن نقلت مقالاتهم هاشم يوسف الهواوي . وعلى حسن قدعق . وعبدالله سليمان . ومحمد على قطب

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

مستعمرات بريطانيا فى البحر المتوسط

المشهور أن أوربا تستعمر القارات الأخرى وأن الأمم الأوربية ليس لها مستعمرات فى القارة الاوربية . وهذا هو الواقع ولكن له شذوذاً . فان لكل من بريطانيا وايطاليا مستعمرات فى أوربا تبرز قيمتها هذه الأيام للتزاحم الجديد على السيطرة فى البحر المتوسط بين بريطانيا وايطاليا

فان لبريطانيا ثلاث مستعمرات فى البحر المتوسط هى جبل طارق وجزيرة مالطة وجزيرة قبرص . وجبل طارق أو — بكلمة أصح — صخرة طارق تقف عند باب البحر المتوسط من الجهة الغربية كما أن قناة السويس تفتح هذا البحر أو تغلقه أمام آسيا . وقد استولت بريطانيا على هذه الصخرة سنة ١٧٠٤ واحتلت من الأرض حولها ما تبلغ مساحته أقل من ميلين مربعين وجميع السكان مع الحامية البريطانية لا يزيدون على ٢١٫٠٠٠ وهؤلاء السكان من الاسبان والايطاليين . ويستطيع الانجليز أن يتحكموا فى الباب الغربى للبحر المتوسط ما دامت الدولة التى تحتل سبتة على الشاطىء الافريقى غير قوية مثل اسبانيا . ولكن إذا احتلت هذه الميناء دوله قوية مثل ألمانيا فانها تستطيع أن تجعلها قاعدة لحركات أسطولها فتنقص عندئذ قيمة جبل طارق . ولذلك هجس الانجليز بوساوس كثيرة هذه الأشهر الماضية لاحتلال الالمان لسبته حين كانوا يرسلون منها الجنود المساعدين للوطنيين الاسبان الذين يقودهم فرانكو

والمستعمرة الثانية للبريطانيين هى جزيرة مالطة . وكانت ولا تزال قاعدة للأسطول الانجليزى ولكن الانجليز لم يثقوا بموقفهم هناك مدة النزاع بينهم وبين ايطاليا بشأن الحبشة كما يذكر القراء حين أرسلت طائفه من البوارج إلى الاسكندرية . وهذه الجزيرة تبلغ مساحتها ٩٥ ميلا مربعاً وسكانها نحو ربع مليون . وهذه الجزيرة تقع فى الطريق بين ايطاليا وطرابلس وسكانها يكثرون من الحركات الوطنية التى يراد منها الانضمام الى ايطاليا . وقد أوقف الدستور بسبب هذه الحركات سنة ١٩٣٣ والحاكم العام البريطانى هو الذى يتولى الحكم الآن . والسكان ايطاليون بدمائهم ولكن لغتهم خليط من العربية والايطالية وهى تكتب بالحروف اللاتينية . ووقوعها فى الطريق بين يطاليا وطرابلس يجعلها مثاراً لا يهدأ للنزاع بين ايطاليا وبريطانيا

أما المستعمرة البريطانية الثالثة فهى قبرص التى تقع فى شرق البحر المتوسط على مسافة قصيرة من الشاطىء الأسيوى . وكانت هذه الجزيرة تتولى الحكم فيها جمهورية البندقية إلى سنة ١٥٧١

حين استخلصها الأتراك منها . ثم سلمها هؤلاء لبريطانيا سنة ١٨٧٨ أى بعد أن اشترى دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية أسهم قناة السويس لحكومته بثلاث سنوات . وبذلك يمكن أن نقول ان بريطانيا استولت على هذه الجزيرة لكى تحمى بها قناة السويس . بل نزيد على ذلك فنقول انه عقب توقيع المعاهدة بين مصر وبريطانيا أعلنت هذه بأنها ستحصن جزيرة قبرص حتى يمكن الأسطول البريطانى أن يكون فيها على قيد خطوات من قناة السويس . وسكان هذه الجزيرة ٣٥٠٫٠٠٠ منهم ٦٤٫٩٠٠ من الاتراك والباقى من اليونانيين

وبهذه المراكز الثلاثة جبل طارق ومالطة وقبرص كان البحر المتوسط بحيرة بريطانية الى وقت قريب . وكان طريقا مأمونا للهند . ولكنه ليس كذلك الآن . فان ايطاليا التى تستعمر جزءاً أخرى فى هذا البحر قد أصبحت بطائراتها وغواصاتها تخيف بريطانيا أو على الاقل تقلقها . وخاصة لانها تملك جزيرة صغيرة تدعى « بانتيلاريا » نعتقد أنه سيكون لها شأن عظيم فى الصراع القائم بريطانيا وايطاليا . فان هذه الجزيرة الصغيرة تقع بين صقلية وتونس ويمكن ايطاليا أن تجعلها قاعدة للغواصات والطائرات لاقفال البحر المتوسط من وسطه

مستعمرات ايطاليا فى البحر المتوسط

أنبأتنا التلغرافات أن موسولينى قد سافر الى طرابلس . وقد فسر هذا السفر بأنه مظاهرة ايطالية ضد بريطانيا التى قررت أن تنفق ١٥٠٠ مليون جنيه فى السنوات الخمس القادمة على زيادة قواتها البحرية والجوية

والمسابقة تحتد بين بريطانيا وايطاليا وكل منهما تنظر الى البحر المتوسط وهل يكون بحيرة بريطانية أم بحيرة ايطالية ؟ فان الانجليز يعدونه الطريق الى الهند واستراليا ولا يطيقون أن تكون السيادة عليه لايطاليا دونهم . ولكن ايطاليا تعده بحيرتها وتسميه « البحر الرومى » وهى مع قلة مواردها تقتر على نفسها لكى تزيد عدد غواصاتها وطائراتها اعتقاداً بأنها سوف تصطدم بالاسطول البريطانى وسوف يكون هذا الاصطدام حاسما فى تاريخ ايطاليا

ولايطاليا ـ كما لبريطانيا ـ مستعمرات فى البحر المتوسط . أكبرها وأهمها من حيث المساحة هو جزر الدوديكانيز التى تقع فى جنوب بحر ايجه وهى تبلغ ١٤ جزيرة أكبرها جزيرة رودس . ويبلغ سكانها أى سكان الجزر جميعها ١٣٢٠٠٠ منهم ٨٣ فى المائة يونانيون وسائر السكان أتراك . وهذه الجزر المحصنة هى خطر كبير على الاتراك اذ ليس بينها وبين ساحل آسيا الصغرى سوى ساعات . كما أنها خطر يقلق بريطانيا فى مصر وفلسطين ويطل على قناة السويس . وقد استولت ايطاليا على هذه الجزر سنة ١٩١٢ حين كانت تحارب الاتراك عقب غارتها على طرابلس . وقد أيدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٤ امتلاك ايطاليا لهذه الجزر

وتستعمر ايطاليا جزيرة أخرى فى البحر الادرياتى تدعى ساسينو . وهى جزيرة البانية ليس لها غير القيمة الحربية أى انها تستطيع أن تكون ملجأ للطائرات ومخبأ للغواصات فى حرب قادمة

وبكلمة أخرى نقول ان لايطاليا خمس عشرة جزيرة تقع فى شرقها يسكنها يونانيون وأتراك وألبان . وايطاليا تستعمرها لان لها مقاصد حربية ضد بريطانيا . وأيضا ضد تركيا

ولكن أهم من هذه الجزر جميعها هذه الجزيرة الصغيرة الايطالية بانتيلاريا التى تقوم بين جزيرة صقلية وساحل تونس وهى تبعد عن صقلية بنحو ٣٥ ميلا وعن تونس بنحو ٥٥ ميلا . وقد جعلتها ايطالية محطة للطائرات ومخبأ للغواصات . والمتأمل لهذه الجزيرة الصغيرة لا يسعه الا القول بأنها تقفل الطريق فى وجه الاسطول البريطانى اذا كانت مزودة بالطائرات والغواصات ولا فائدة لبريطانيا من جبل طارق وقناة السويس اذا كان طريقها سيقفل عند بانتيلاريا فى وسط هذا البحر

ومن العبث أن يقال ان جنون الفاشيين فى ايطاليا سيقف عند حد القناعة بطرابلس . فان موسولينى الذى الف درامة عن نابليون وكتابا عن مكيافيلى ينظر الى السياسة العالمية والى معنى البطولة نظراً ينطبق على مباديء القرون الوسطى أو على الاقل مبادىء القرن الثامن عشر

وهذه القوات التى يعبئها موسولينى فى البر والبحر والجو لا يمكن أن تكون بلا غرض . فان شباب ايطاليا بل كهولهم (الى سن ٥٥) معد للسلاح . وقواتها المادية تحت التعبئة ، وموسولينى يستجيب للحوادث استجابات عصبية فيها تفزز مخيف . فليس من البعيد أن يفتتح الفصل الثانى للامبراطورية الايطالية بالهجوم على مصر أو تونس أو تركيا . واذا ظن القارىء أن هذا الاحتمال بعيد لانه جنونى فان الرد على ذلك ان الحرب تقع على الرغم مما فيها من جنون

جميل صدقى الزهاوى

احتفل العراقيون بذكرى الزهاوى . وكان الاحتفال بذكراه فى بغداد كالاحتفال بذكرى حافظ فى القاهرة : قصائد كلها أكاذيب تلتقى فى اطراء حياتهما وأشعارهما وأدبهما . وقد رأينا فى صدد هذه الذكرى أن نكتب هذه الكلمة لعل فيها الماعا الى حقيقة الزهاوى . فقد زارنا سنة ١٩٢٤ حين كان بالقاهرة فكتبنا كلمة ننقل منها مايلى بعد أن حذفنا مالا يمكن نشره مما قلناه :

« ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤

« اليوم زارنى بمنزلى جميل صدقى الزهاوى هو وزوجته وتغديا معنا بالمنزل . وكان به شلل خفيف فى ساقه أو فى ساقيه فاذا مشى تفاجّ فى مشيته . وكانت ذراعه اليمنى تختلج أحيانا فيتألم منها . وعلى العموم يبدو من حركاته أنه متهدم وأنه لن يعيش كثيرا . وقد أسلمنى هذا الكتاب وقال انه لايأتمن أحدا فى العالم غيرى على طبعه ونشره . وشرط علىّ أن لا أذيعه الا بعد وفاته وقال انه لو قرأ أهل بغداد مافيه فانهم لاشك قاتلوه ، فهو لذلك يؤكد علىّ فى ألا أنشره الا بعد أن أثق تمام الثقة أنه قد مات . وقد قبلت هذه الأمانة وشكرته على ثقته ودعوت له بالعمر الطويل . وأخذنا بعد ذلك فى الحديث فذكر شوقى وحافظ الشاعرين وأسف لأنه لم يزره أحد منهما وذكر بيتا من نظمه عن أشعارهما خلاصته أن معانيهما ميتة وألفاظهما أكفان هذه المعانى . وهو على ضعفه ينشط ويخف ويسفر وجهه عند مايأخذ فى انتقاد الأديان وهو يشرح نظرية الدافعية التى يعارض بها نظرية نيوطن بحماسة تكاد تكون عنيفة . وذكر الأدب المصرى فانتقد طول العبارة فى الكتاب وميلهم الى اجادة الصياغة فى الأداء . وقال عن المنفلوطى انه «لاشىء» . وذكر الرصافى فقال انه كافر ولكنه يداري . وذكر الالوسى فقال انه متعصب وكان معه عضواً فى لجنة المعارف فى بغداد فاشتجر الخلاف بينهما عن تعليم البنات حتى كاد أحدهما يمسك بخناق الآخر ، الزهاوى يرغب فى تعليمهن والالوسى يرغب عنه ولكن الزهاوى فاز فى النهاية . وهو يحب الاتراك ويعجب بهم وبخاصة للانقلاب الأخير والغائهم الخلافة من بلادهم وقال انه لو جاءت الخلافة الى مصر لصارت على المصريين نكبة كبيرة . وهو لم يعقب وقال انه لايأسف على ذلك ولا زوجته أيضا وهى سيدة تركية قضى معها ٣٥ سنة نحيفة تتكلم العربية بتكلف ومكابدة . وكان أول سؤال سألته لزوجتى « هل لك أولاد » مما يدل على أنها تهتم اكثر من زوجها بمسألة النسل . وقد بدا من حديثهما أنهما يعيشان فى رفاهية فانهما اشتريا مدة الحرب من السجاد ماقيمته الف جنيه اكتست به جدران منزلهما زيادة على أرضه . والزهاوي يكثر من التدخين ولكنه لايحب القهوة »

* * *

والكتاب الذى ذكر هنا هو « نزغات ابليس » وهو مجموعة من الأشعار التى تتفق فى الروح مع عمر الخيام ولكنها فى أحيان كثيرة تزيد على الشك باعلان اليقين انكارا للعقائد الدينية . ولذلك لم نستطع نشر هذا الكتاب . ونحن ننقل هنا مايمكن نشره منه :

* * *

هل أنت الا واحد من القرود فى النسب
ألم تكن وأنت فى طور الجنين ذا ذنب
مشابها جنين حيو ان لو استطاع وثب

ألم يغط جسمك الشعر وبعده الزغب
انى من انكارك الأصل بقيت فى عجب

* * *

ما على كفرى عند خصومى سند
أنا مابحت لهم بالذى أعتقد

* * *

قالوا أتيت الكذب قلت بل الذى يصر على الأوهام للكذب أقرب
اذا كان من قد وافق الحق كاذبا فان الذى قد خالف الحق أكذب

* * *

قالوا اطردوا الزنديق من أوطانكم ماذا يخاف القوم من زنديق
قالوا اقتلوه انما هو مارق ماذا يضر المؤمنين مروقى

* * *

أيها المؤمنون مالى أراكم قد حنقتم وارين ورى الزناد
قد رأيتم رأيا رأيت سواه فكأنا كنا من الاضداد
اختلفنا كل اختلاف فما ان يتساوي اعتقادكم واعتقادى
أيها القوم ان علمى بما ارتبتم به فى الرسوخ كالاطواد
أى شىء يضركم من حيادى فاتركونى فيما أرى وحيادي
انما ترتقى الشعوب بعلم تقتنيه بالدرس لا باضطهاد
أيها العلم يا مناي فداء لك مالى من طارف وتلاد

* * *

ترى هل اذا متنا تظل نفوسنا تعيش بهذا الجو أم نحن كالعشب
نحس بنور الشمس حينا وبعده نحور حطاما لا نحس الى الترب

* * *

الدين ليس بمحتاج الى حجج اذا تمكن فى قلب بتلقين
وليس بمرتضيا فى دينه جدلا الا الذي هو فى شك من الدين

* * *

هذا بعض ما اخترناه من «النزغات» ولكننا لانستطيع أن نقول ان هذا الذى اخترناه هو مثال فيها لأننا تعمدنا اختيار ماىمكن نشره فقط . وفى «النزغات» كثير مما لا تجيز قوانيننا نشره

رضا بهلوى

احتفل الايرانيون أمس أول بعيد ميلاد ملكهم هذا الرجل العظيم رضا بهلوى . وهم بلا شك فرحون بهذا الاحتفال الذى يعبرون فيه عن عواطف صادقة عواطف الحب والولاء لملك مستنير قد أدرك قيمة الحضارة الحديثة ودفع بلاده فى طريقها

وحسب القارىء أن يقابل بين الحال الاجتماعية التى نعيش فيها أو التى تحاول بعض الهيئات أن تدفعنا اليها مع الحال الاجتماعية التى يحققها هذا الملك العظيم لبلاده . ففى الوقت الذي يطلب فيه الازهريون الفصل فى التعليم بين الجنسين فى الجامعة المصرية يقرر الشاه العقوبة على كل إمرأة تسير فى الشارع غير سافرة . بل هذه العقوبة تنزل أيضا بالعامل والفلاح إذا لم يتخذوا البنطلون بدلا من الجلباب الشرقى الفضفاض الذى كانت إيران تتخذه حين كانت لا تزال تعد نفسها أمة شرقية

لقد حتم الشاه على أبناء بلاده رجالا ونساء اتخاذ الملابس الأوربية حتى ولو كانوا فلاحين يعيشون فى الريف وراء المحراث. فالقبعة هى الآن العمرة المألوفة الاجباريه للنساء والرجال فى طهران بل لقد بالغ الشاه فى هذا الاتجاه نحو أوربا فالغى اسم « فارس » وسمى بلاده « ايران » وهى لفظة تتصل بالأصل « الآرى » لكى يثبت للعالم تنصله من الشرق وأن أمته غربية الاصل كما هى فى الواقع

فنحن فى مصر نفخر باننا شرقيون وعندنا حركات توصف بانها نهضات يراد منها تأكيد الحجاب للمرأة وفصل الجنسين فى حين يتنصل الشاه من الشرق ويسمى بلاده باسم يدل على أصلها الغربى ويعمم الملابس الاوربيه فى المدينة والقرية

وقد كانت تتولى الحكم فى ايران قبل نحو عشرين سنة أسرة أجنبيه . وكانت تساعد الايرانيين على النوم فى ظل التقاليد الشرقيه . فكانوا يعيشون فى فقر يمارسون الزراعه البدائيه لا يعرفون غير الصناعات اليدويه الصغيرة . وكانت روسيا وبريطانيا تتسابقان الى التسلط عليها . ورأى رضا بهلوى وهو ايرانى صميم هذه الحال الوضيعه لأمته فثار على الشاه الاجنبى السابق وطرده . وتولى هو الحكم . ثم اندفع ببلاده نحو النور — نور الحضارة العصريه

وقد اعتمد — كما فعل من قبل العظيم أتاتورك — على الجيش فاصلحه وقواه لكى يزيل مطامع روسيا وبريطانيا . ثم زاد قدرة البلاد الاقتصادية بدفعها فى غمار الصناعه الحديثة . ونحن الذين تعودنا رؤية السجاجيد « العجميه » مازلنا نجهل أنها تصنع الآن بالآلات الكبيرة وليس بالايدي. ومد شبكة من السكك الحديديه لنقل المحصولات . ومن عجائب القرن العشرين هذا الخط

الحديدى العظيم الذى يصل بين بحر قزوين فى الشمال والخليج الفارسى فى الجنوب . فانه عمل عظيم لرجل عظيم . وهذا بالطبع الى انشاء الآلاف من المدارس والكليات والجامعات والمؤسسات الثقافية المختلفة

ورجل ايران الحديثة رجل عصرى بكل معنى الكلمة على الرغم من أنه يقتعد عرش الاكاسرة حتى أنه ليأخذ من الاراء الاشتراكية بالقدر الذى يجد فيه الفائدة لبلاده . ولذلك جعل التجارة الخارجية - صادرات وواردات - فى يد الدولة فى كثير من المحصولات والمصنوعات . فالحكومة الايرانية هى انتى تصدر أو تورد الاشياء التاليه

الكبريت والسكر والاقمشة القطنية والحريرية وورق السجاير والحبوب ومستخرجات الاسماك والافيون والجلود والصوف والفواكه الجافة والسجاجيد والاتوموبيلات

وأنشأت الحكومة الايرانية لهذه الاحتكارات شركات كبيرة برءوس أموال ضخمة . وهى شركات مساهمة ولكن تملك الحكومة فيها كل الاسهم : خمسة أسداس الاسهم لوزارة المالية والسدس الباقى للبنك الزراعى الحكومى . وتشرف على كل احتكار لجنة اداريه مستقلة مسئولة أمام وزارة المالية . وبذلك زادت موارد الدولة لان الربح الذي كان يجنيه الافراد من تجارة الصادرات والواردات قد أصبحت تجبيه الدولة وحدها

والقارىء المصرى يعرف ان مثل هذه التجارة فى قطر كايران كان فى أيدي الاجانب كما هو الشأن فى مصر الآن بل كما هو الشأن فى جميع الاقطار الشرقية النائمة

وهذا الرأس النير الذى يفكر فى احتكار التجارة الخارجية الايرانية لكى يستخلصها من أيدى الاجانب ويزيد بها موارد الدولة معاً هو نفسه الرأس الذى يدعو أبناء أمته لاتخاذ القبعة . رأس ناضج مثقف يعرف أن النزعة التى تدعو إلى القبعة هى نفسها التى تدعو الى سائر الآراء العصرية

فلتهنأ ايران بملكها العظيم رضا بهلوى

حافظ والشعر العربى

يحتاج الانسان إلى دماغ من حجر لكى يقرأ هذه القصائد المملة التى قيلت فى ذكرى حافظ ابراهيم . وهى نفسها البرهان على أن الشعر فى مصر لا يزال نظما يجري وراء العرف وعلى أنه بعيد عن الابتداع وحرية الذهن والعاطفة . وذلك ان شعراءنا لا يزالون فى الطور الأول من النهضة وهو العناية الكبيرة بقواعد القدماء وأساليبهم

وقد خرج النثر عن هذا الطور بعض الشيء ولكن الشعر لا يزال مقيداً بالقدماء واذا كان

بعض شعرائنا قد ترك الناقة والصحراء والحداء باللفظ فانه لم يترك هذه الأشياء بالروح

وهذا التقيد بالقدماء واضح فى حافظ كما هو واضح فى جميع شعرائنا المتوفين والأحياء من شوقى إلى الجارم . وقل أن يجد الانسان شاعراً متحرراً من هذه القيود مثل ناجى أو أبو شادي وهما مع ذلك ليسا مطلقى الحرية فان قيود التقاليد لا تزال تغلهما . وهذه القيود لا تقتصر على الألفاظ بل تتجاوزها إلى الخيال نفسه . فان شعراءنا أقرب إلى روح الدولة العباسية منهم إلى روح الدولة المصرية فى القرن العشرين . بل ظهر عندنا شعراء — مثل البهاء زهير — كانوا أقرب إلى الروح المصرى من شوقى والعقاد وناجى وحافظ والجارم . مع أن البهاء قد مضى عليه أكثر من الف سنة

ومن منا لا يقرأ زجلا يكتبه أحد العامة من الشعراء أو أحد شعراء العامة فلا يجد فيه من حرية العاطفة وروح الشعب أكثر مما يجد فى شعرائنا « الفطاحل » ؟ ولسنا مع ذلك لا ننكر قلة المعانى الرائعة واللفتات الفنية فى الزجل ونحن هنا لا نقابل بين الشعر والزجل من حيث الروعة بل من حيث الروح أو النزعة المصرية ومن حيث حرية العاطفة

وعقبة الشعر فى مصر هى هذه التقاليد التى نتبعها فى الأسلوب اللفظى والخيالى والمجازى فاننا نلتزم القدماء ونجترهم كثيراً حتى يعودوا وقد اندغموا فى دمائنا ونسيج أذهاننا فنؤلف الشعر وكأننا نعيش فى بغداد أو حلب قبل الف سنة . والزجال — لجهله — مطلق حر من هذه التقاليد ولذلك يتكلم بروح العامة التى يمثلها

وهذا الانطلاق أو هذه الحرية التى نجدها فى الزجالين نجد مثلها ولكن مع التأنق الفنى والخيال السامى عند السوريين أو اللبنانيين إذا كانوا يعيشون فى قطر ناء عنا مثل برازيل أو أرجنتينا أو الولايات المتحدة فان هؤلاء الشعراء هم الرومانتيون فى الحركة الأدبية فى العالم العربى الآن . أى أنهم هم المستقلون المبتكرون الذين يمثلون فى عصرنا شيلى وبيرون عند الانجليز . فهم مستقلون فى خيالهم لا يبالون قواعد القدماء فى أسلوب النظم أو حتى فى اختيار اللفظ أو ابتكار الخيال . ولهذا الاستقلال الذى نشأ من بعدهم عنا وقلة مبالاتهم لقواعدنا المحترمة قد أتوا بما يشبه الاعجاز إذا قابلناه بما ينظمه شعراؤنا من القصائد الموثقة التى تقرظ بأنها متينة اللفظ بارعة المعانى . فان هؤلاء الشعراء ابتعدوا عنا فى رقعة الأرض فكان ابتعادهم منا فى روح الشعر أكبر وأبعد لأنهم مستقلون ونحن مقلدون

وهؤلاء الرومانتيون من السوريين كثيرون أذكر منهم الياس قنصل ورشيد الخورى . وحسب القارىء أن ينظر فى هذه القصيدة الصغيرة الحلوة التى وضعها رشيد الخوري عن سوريا . فانها زجل يمثل روح الشعب ولكنه زجل كتب باللغة العربية وحوى خيالات سامية ناضجة قال :

رأيت النهر هداراً طليقا وقد داس الشرائع والحقوقا
فكدت أضم للتيار نفسى كأنى قد لمحت به غريقا
لأن خيال من أهوى أمامى

رأيت النار مستعراً لظاها كنفسى حين جد بها جواها
فكدت إلى اللهيب أمد باعى لانقذ من سبي عقلى هواها
لان خيالها ابدا أمامى

رأيت نوادبا تذرى الجمانا وقد خضبت مدامعها البنانا
فلم أعجب لترجيع الشكالى ولم أحزن لانات الحزانى
لأن خيال والدتى أمامى

سمعت بنكبة البلجيك سمعاً وكيف غدت بها الاطفال صرعى
فلم أشفق على الابطال جيبا ولم أذرف على البلجيك دمعاً
لان خيال سوريا أمامى

وقد تنتقد هذه الابيات لخلوها من الاناقة اللفظية . ولكن يجب أن نذكر أن هؤلاء الشعراء الرومانتيين يحرثون أرضاً بكرا ويشقون طريقا جديدة فالمصاعب التى يصطدمون بها أكبر من المصاعب التى يلقاها شعراؤنا الذين يسيرون فى الطريق التى عبدها لهم ابن الرومى والمتنبي والطغرائى

وقد سار حافظ على هذه الطريق الممهدة ولم يخرج عن التقاليد ولا شذ عن القواعد العربية القديمة فى أسلوب اللفظ أو الخيال بل هو كان كذلك حتى فى النثر . وليس بيننا للاسف شاعر رومانتى يستطيع تحطيم الاغلال القديمة التى ترهق وتقيد الخيال وتحول دون الابتكار

وهذه الحركة الرومانتية التى فشت فى شعر السوريين فى القارة الامريكية قد فشت أيضا أو كادت عند بعض أدبائهم الذين مارسوا النثر مثل جبران خليل جبران . ونكاد نلمس هذه الحركة بحريتها واستقلالها عن القدماء فى توفيق الحكيم

سيرة المسيح فى اللغة العربية

فى اللغة العربية على ما أظن ترجمتان للسيد المسيح من قلمى أديبين أحدهما رينان الفرنسى والآخر بابينى الايطالى . وهذا بالطبع غير بضع ترجمات أخرى لرجال الدين عنيت جمعية نشر المعارف المسيحية بنشرها

وقد ظهر قبل أشهر جملة ترجمات موجزة ومسهبة لنبي الاسلام بأقلام أدباء معروفين . وقد كان لهذه الترجمات أحسن الوقع بين شباب مصر سواء منهم المسلم أم المسيحى . ونحب لو نجد حد المؤلفين — الاقباط ونعنى المدنيين لا الكنسيين — يقوم بتأليف كتاب حياة المسيح ينظر اليه النظرة المستقلة التى لا تتقيد بالقيود التى يعد رجل الدين نفسه مرتبطا بها من حيث مركزه الرسمى . فان مثل هذا الكتاب لا ينير شباب القبط وحدهم بل هو أيضا يكون بمثابة العرض التاريخى لحياة المسيح يدرسه الشاب المسلم كما يدرس أية شخصية تاريخية أخرى . فان القبطى الذى يقرأ كتاب الدكتور هيكل بك عن حياة محمد يسر بهذا العرض التاريخى النزيه ويزداد حبا لشخصية نبي الاسلام إذ هو لا يجد فى الكتاب ما يجرح عواطفه العقيدية

وهذا هو ما نحب أن نراه أيضا من أديب قبطى يتناول حياة المسيح لكى يخرج منها بقصة انسانية رائعة يرضاها القبطى والمسلم على السواء . وقد قام مئات من المدنيين — أى غير الدينيين — فى أوربا وأمريكا بتأليف مثل هذه الكتب التى أثارت جمهور الشباب وزادت حبهم لشخصية المسيح

ومثل هذا الكتاب يجب أن يبدأ بوصف تاريخى وجغرافى واقتصادى لليهود مع وصف العلاقات السياسية بين « يهودية » وبين الرومان ومصر واغريقيا . ثم شرح واف للفرق الدينية والأحزاب السياسية حتى ينجلي للقارىء ذلك الوسط الذى نشأ فيه يسوع . وهو وسط كانت تلط فيه العواطف الوطنية المتأججة بالنزعات الدينية المختلفة . والأسانيد لهذه الشروح كثيرة الآن هى تعد بالمئات . فلن يعجز المؤلف عن شرحها للقارىء فى خمسة أو ستة فصول تعتبر فرشا للصورة أي صورة المسيح الذى نجد فى الأناجيل الأربعة جميع التفاصيل التى نستطيع الوصول اليها عن حياته . وهى حياة حافلة بالسمو والمجد . فاذا انتهينا من ذلك أمكن وصف الحركة المسيحية على أيدى الرسل وشرح الطرق التى انتشرت بها فى القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى

وظنى أن مثل هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام تكاد تكون مستقلة

القسم الأول : ما سميناه فرش الصورة أي وصف الاختمار الذهنى اليهودي قبل ميلاد المسيح

القسم الثانى : هو حياة المسيح

القسم الثالث : هو وصف المسيحية الأولى واصطداماتها الكثيرة مع العقائد المحيطة فى أقطار البحر المتوسط

وكما قلنا ان مثل هذا الكتاب يجب أن يكتبه واحد من المدنيين وليس من الدينيين لأنه أمهر فى مخاطبة الشباب وأعرف بلغتهم وأقدر على فهم مشاكلهم

ولسنا ننكر هنا قيمة نظر الدينيين . فان رجل الأزهر الذى نشأ بين جدرانه يمكنه أن يؤلف

كتابا عن نبي الاسلام . ويكون للكتاب قيمته ولكن الشباب المصريين يميلون إلى أن يقرأوا كتابا عن محمد يؤلفه الدكتور هيكل أو طه حسين أو توفيق الحكيم أكثر مما يميلون الى قراءة كتاب يؤلفه أحد الأزهريين . وليس فى هذا ما يعيب الأزهريين

وكذلك الحال فى تاريخ المسيح ، فان الكاهن القبطى يمكنه أن يؤلف كتابا عن المسيح . ولكن جمهور الشباب يطلبون ترجمة « أدبية » ينظر فيها المؤلف إلى قيم أخرى غير القيم الاخلاقية التى ينظر اليها الدينيون

وبدهى أن هذه الترجمة الأدبية يجب أن تقوم على أساس الأناجيل ولكنها تكتب بأسلوب وعلى طريقة البحث الحديث الذى يستمرئه الشاب المصرى المتعلم مهما كان دينه. ومثل هذا الكتاب فضلا عما يجد من الارتياح عند القارىء القبطى سيكون بمثابة الوسيلة لتعريف المسلم أو اليهودي عن شخصية هذا الداعية العظيم للحب والسلام

ولست أنكر قيمة الترجمات التى وضعها رينان وبابينى ولودفيج ولكن كل واحد من هؤلاء نظر إلى المسيح بوجدان فرنسى أو ايطالى أو ألمانى . ولكننا نحن فى حاجة إلى أن ننظر اليه بوجدان مصرى وأن نبين قيمته فى مشاكلنا الحديثة عالمية ومصرية

الروح المدنى والروح الدينى

فى الشهر الماضى قامت جماعة من طلبة الحقوق تدعو الى تعليم الدين فى الجامعة والى الفصل بين تعليم الاناث وتعليم الذكور من الطلبة . وقد رحب بهذه الحركة العجيبة كل من وكيل وزارة المعارف العشماوى بك وعميد كلية الآداب السابق منصور فهمى بك وكذلك عدد كبير من رجال الازهر

وللمشتغل بالشئون السياسية أن يجد شبهة من المناوأة للحكومة الحاضرة فى هذه الحركة . فاننا قادمون على مؤتمر مونترو الذى سنطلب فيه الغاء الامتيازات . وبدهى أننا لن نحتج بحجة أقوى من اننا أمة متمدنة تعيش فى القرن العشرين وأننا نعرف مبادئه وأن لنا مؤسسات إدارية وثقافية وقضائية وبرلمانية لاتختلف مما يقابلها من المؤسسات الأوربية . فالقيام بهذه الحركة فى الوقت الحاضر يوهم — وإن خطأ — أن المقصود هو مناوأة الحكومة

ولكننا نحب أن نحسن الظن وأن نتوهم أن هذه الحركة بريئة من أى قصد خفى . وإذن نقول ان ماقاله دعاة هذه الحركة من أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام لايعنى بتاتا أن نحيل الجامعة المصرية الى جامعة أزهرية . فان عندنا فى المعاهد الازهرية المختلفة من الطلبة مايزيد عددهم خمسين ضعفا على

عدد الطلبة فى الجامعة المصرية . فمصر لاتشكو قلة فى تعليم الدين . ولكنها تشكو قلة — بل قلة ضارة — فى تعليم الطب والزراعة والصناعة والـ ١٢٨ علم التى يتعلمها الأوربيون والتى نجحوا بها فى سيادة هذه الكرة الارضية . وهذه العلوم مع ذلك ليس لمعظمها أسماء فى اللغة العربية

ولسنا بذلك نستصغر شأن الدين أو قيمته فى الاخلاق . ولكن يجب ألا تفوتنا عبر التاريخ بل التاريخ الحديث جدا . فان الأمم التى مزقتها الثورات العنيفة فى السنوات القريبة هى روسيا وتركيا وأسبانيا . وفى جميع هذه الأمم كانت الدولة دينية . وكان رجال الدين يسيطرون على شئون الدولة . فهل كسب الدين بهذه السيطرة ؟

الاجابة الواضحة على هذا السؤال هى النفى ، بل نزيد على النفى ونقول إن الثورة فى هذه الاقطار الثلاثة كانت على الدين خاصة كما كانت على سائر الانظمة عامة . بل تعزي الثورة الى هذه السيطرة بالذات . فان الروح المدنى الذي يبالغ اتاتورك فى تعميمه والالحاد الذى يسعى له زعماء روسيا وهدم الكنائس والديورة الذى جرى ومازال يجرى فى اسبانيا — كل ذلك ليس له من سبب سوى طغيان الروح الدينى على الحكومات الثلاث السابقة فى روسيا واسبانيا وتركيا . وكان يمكن الدين أن يعيش ويزكو لولا هذه السيطرة التى كانت تنتهى فى بعض الاحيان بما يقرب من الطغيان

ونحن فى مصر — كما يقول زكى أبو شادي — نحتاج الى تعميم الروح المدنى . ولا نحتاج الى هذا الروح المدنى للفائدة المرجوة منه فى الرقى العام فقط بل لخدمة الدين نفسه . فان الدين يفشو ويسود وتتقبله الضمائر والاذهان اذا كان منزها من السلطان الحكومى قد بعد رجاله البعد التام عن السياسة وما يلابسها أحيانا من مناورات ودسائس يحمل الدين تبعتها مع أنه بريء منها . ولعل أكثر الامم تدينا هم هؤلاء الامريكيون الذين يملأون بلادنا بمبشريهم ولا يفتأون يبحثون الدين كأنهم على وشك الحساب فى يوم القيامة ومع ذلك ليس للدولة عندهم دين . والروح المدنى يعم جميع مؤسساتهم الحكومية . فهم امريكيون فقط أمام الدولة ولكنهم فيما بينهم وبين أنفسهم مسيحيون أو مسلمون أو بوذيون أو يهود أو بهائيون . بل هذا الدين الجديد — البهائية — لا يعرف معبداً له أكبر من المعبد البهائى الذى بنى فى الولايات المتحدة

فاذا شاء الغيورون على الدين أن يخدموا الدين فليبعدوه عن السياسة أو عن المناقشات التى تتصل بسياسة الدولة ومناورات الاحزاب . ولن نخدم الدين بان نجعله يغمر جميع المؤسسات الحكومية أو بان نجعل سلطان رجال الدين يزداد ويتفشى

فهرست

مايو سنة ١٩٣٧

ص

٣ سير الحوادث

٦ المعنى الانسانى للبسنا القبعة لتوفيق الحكيم

٨ قيمتنا بين الأمم لرمسيس شحاتة

١٧ مصر والثقافة الأوربية للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

٣٢ الوسيلية والأدب العربى لسلامه موسى

٣٥ خليل مطران وشعره لروكس زايد العزيزى

٧٤ الشخصية لسلامه موسى

٦١ تطور الوطنية « «

٧٠ أخناتون يعلن أتون للآنسه ايريس حبيب المصرى

٧٦ الفراعنة فى روسيا

٨٠ الكتب الجديدة

٨٣ فى الحياة والعمل لسلامه موسى

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً

وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر

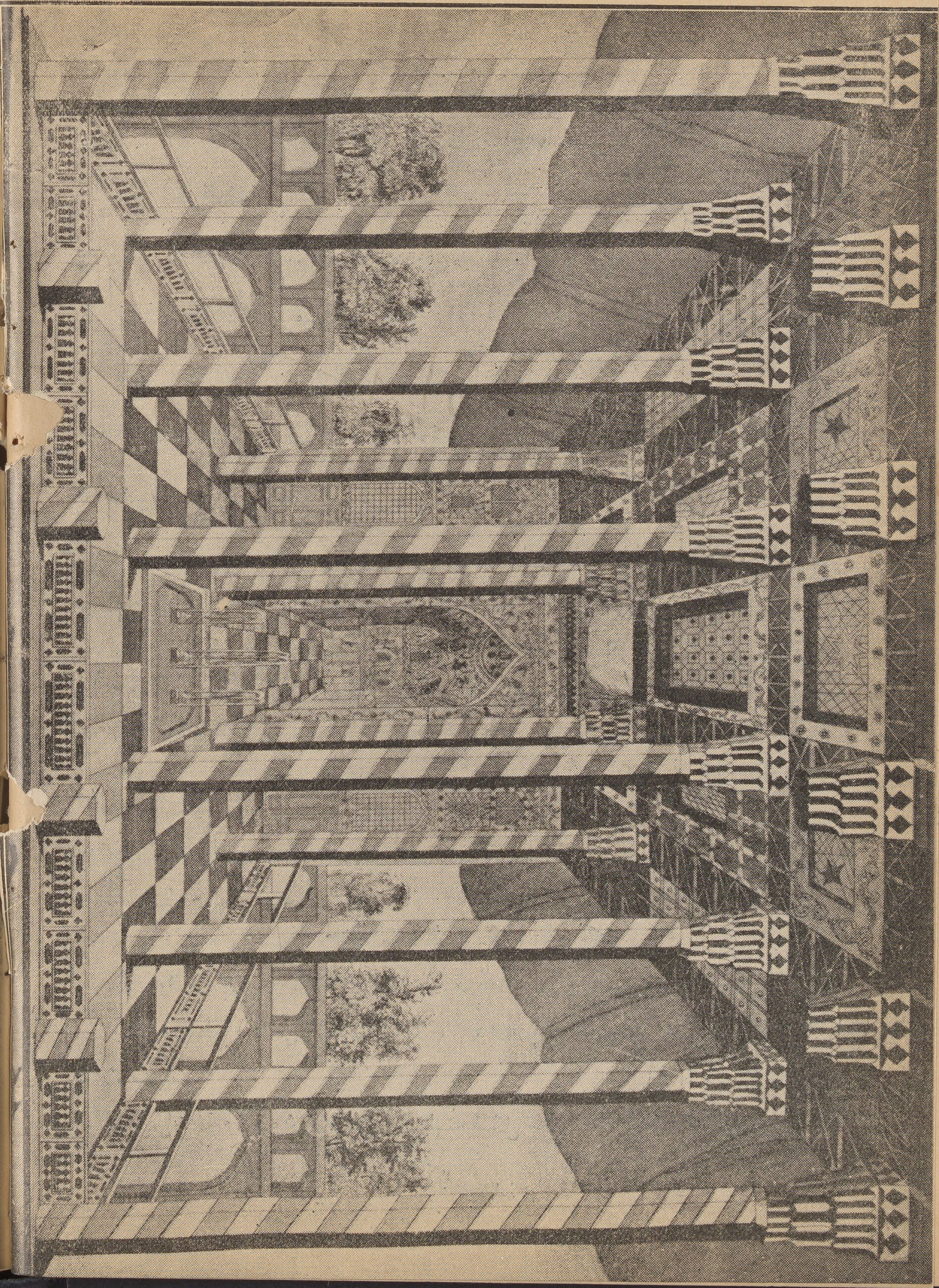

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الخامس
من
السنة السادسة

مايو ١٩٣٧

سير الحوادث

انعقد فى الشهر الماضى مؤتمر مونترو فى سويسرا بين المندوبين المصريين وبين مندوبى الدول الحاصلة على الامتيازات . وغرض المؤتمر الغاء الامتيازات

وقد دارت المفاوضات فى جو حسن من المجاملة والتواد وان كانت فرنسا قد وقفت وقفات معارضة من وقت لآخر بدعوى الدفاع عن مصالحها الثقافية والاقتصادية

وقد تم الى الآن جملة أشياء كلها مما يغتبط له كل مصرى كان يجد فى هذه الامتيازات جرحا للكرامة الوطنية منها :

١ — الغاء مبدأ الامتيازات

٢ — ان القوانين التى تصدرها الحكومة المصرية ستسرى على الاجانب والمصريين بالسواء دون الحاجة الى استشارة الدول الاجنبية

٣ — تبقى المحاكم المختلطة اثنتى عشرة سنة هى فترة الانتقال

٤ — ينتقل اختصاص المحاكم القنصلية (فيما عدا الأحوال الشخصية) الى المحاكم المختلطة مدة فترة الانتقال

٥ — لن تكون المحاكم المختلطة مدة الانتقال كما كانت فى الماضى . فقد عينت مناصب الكبيرة للاعضاء المصريين كما حدد عدد الدول الاجنبية التى لها حق التقاضى امام هذه المحاكم

وليس شك فى أن مصر قد بكل فازت ماطلبته وان الدول الكبرى اعترفت لها ليس بالاستقلال

باليمين : بهو فى قصر كسرى بالمدائن

بل بالكرامة التى يستتبعها الاستقلال والتى كانت الامتيازات تمسها أكبر المساس . ونجاح الوفد المصري فى الغاء الامتيازات يضاف الى نجاحه السابق فى معاهدة الاستقلال هو برهان آخر على أن الامة لم تثق بالوفد عبثا وانما وثقت به للكفاءة والامانة معا

حركة القبعة

تسير حركة القبعة سيرا بطيئا ولكنه مع ذلك مطمئن . فان الشعور الحاد السابق بأننا أمة شرقية قد أغارت عليها أمة غربية كان يجعلنا على الدوام نجد فى القبعة لونا من الضعف والتقليد . فكنا نلجأ الى شرقيتنا كأنها الوسيلة للدفاع . أما بعد المعاهدة التى اعترفت لنا بالاستقلال فاننا لم نعد فى حاجة الى الاستمساك بالعادات الشرقية وأصبح من السهل علينا أن نأخذ بالاراء العصرية

وشباب الأمة جميعهم يكرهون الطربوش . وقد ستغنى عنه عدد كبير يسيرون عارى الرءوس ولكنهم لايرغبون كل الرغبة فى القبعة لهذا الشعور الدى ذكرناه والذى بدأ يخف . أما السيدات والاوانس فيقبلن على القبعة بلا تردد أومناقشة . ودعاة الطربوش لايقولون أن سيداتنا وأوانسنا قد فقدن وطنيتهن لهذا السبب . ونحن نوافق الاستاذ زكى طليمات على أنه يجب على الحكومة أن تسمح للموظفين والطلبة بأن يتخذوا القبعة اذا شاءوا . وأقل ما فى هذا العمل أنه يتفق والحرية وخاصة لأنه ليس فى قوانيننا ماينص على أن الطربوش شعار قومى بل ليس هناك ما ينص على أنه عمرة رسمية

الانتساب للجامعة

أحسن الأستاذ عبد الحميد عبد الحق بك فى تقديم مشروع قانون لاعادة الانتساب الى كليات الجامعة المصرية . وقد كان هذا الانتساب قائما ولكنه الغى بلا سبب معقول . ولا يمكن الحكومة أن تتعلل بالتكاليف لانها فى أغلب الظن قد تربح من الانتساب ولا تخسر منه . وعندنا الآن عدد كبير من المتعلمين العاطلين أو الموظفين ومن مصلحة الأمة أن تفتح لهم باب الانتساب حتى يشغلوا فراغهم بما يفيدهم ويزيدهم ثقافة ونورا وخاصة فى تلك الكليات التى لا يحتاج المتعلم فيها الى مرانة يدوية على التجارب العلمية

وتحسن وزارة المعارف كثيرا اذا هى أجازت الانتساب الذى يشغل فراغ شبابنا ويملا نفوسهم طموحا شريفا

الرجعيون

لا نستطيع ان ننكر ان الظروف الحاضرة فى مصر تؤلم بعض الرجعيين دعاة « التقاليد » فقد

استياء بعضهم لاننا دافعنا عن الخمور دفاع الفكاهة فقط فى مناظرة مع الاستاذ غلوش رئيس جمعية منع الخمور — ومع ان المناظرة تبين حجج الدعاة الى المنع فان بعض الرجعيين ساءهم ان يروا دفاعا عن الاباحة كأنهم يعتقدون ان حجج القائلين بالاباحة أقوى من حجج القائلين بالمنع وان المناظرة تقرر النصر للاولين . والغريب انه قد غاب عن دعاة المنع ان فى مصر مليونا وربع مليون مسيحى لا يمنعهم دينهم من تناول الخمور . وانه ليس فى العالم كله دولة واحدة منعت الخمور غير الولايات المتحدة التى جربت المنع عشر سنوات ثم عادت الى الاباحة

وفى مصر حركة لتعميم القبعة . وحركة اخرى لالغاء الوقف وحركة ثالثة لعقد مؤتمر عالمى للجمال فى القاهرة . وكل هذا بلا شك يؤلم الرجعيين الذين يرون فيه مخالفة لما يسمونه « التقاليد »
ونحن نذكر هؤلاء الرجعيين بان التقاليد ليست كلها حسنة . فقد مضت علينا فترة من الزمن كان الحزب الوطنى يدعو فيها الى ان اسمى ما تطلبه مصر ان تكون قسما من السلطنة العثمانية
وكان هذا الخضوع المنشود من مصر لتركيا معدودا من التقاليد الحسنة التى كان يفرض علينا ان نتحمس لها كما يتحمس العبد لاختيار سيده ...

ايطاليا

الف المارشال دوبونو كتابا عن الحرب الايطالية فى الحبشة صرح فيه بان موسولينى كان ينوى الحرب قبل حادث والوال بعام كامل . ومن هنا يتضح نفاق ايطاليا أمام عصبة الامم سنة ١٩٣٤ وانها انما كانت تفاوض وتناقش بغية المطاولة فقط لكى تجد الوقت لارسال معداتها المهلكة للغدر بهذه الامة المسكينة

ويبدو مما تقوله الصحف الاوربية ان الدور الذي لعبته ايطاليا فى الحبشة تلعب دوراً شبيها به الآن فى اسبانيا حيث تنوى الاستيلاء على مراكز حربية قد تكون منها منفعة وفى التصادم القادم بينها وبين بريطانيا . وهو هذا التصادم الذي كررنا الاشارة اليه وقلنا أن طريق الاتومبيلات الجديدة فى طرابلس لم ينشأ الا من أجله

اسبانيا

كان القتال شديدا فى اسبانيا طول الشهر الماضى . وقد نجح الثائرون فى جبهة بلباو . وقد لا تمضى أيام حتى تسقط هذه المدينة وعندئذ يستطيع فرانكو أن يوجه كل قواته نحو مدريد .
وطوالع القتال تدل على انتصارات قادمة للثائرين . ولكن الحكوميين الذين يتراجعون نحو قطالونية يجدون فى هذا الاقليم الكبير موارد صناعية كبيرة تساعدهم على المقاومة

المعنى الانسانى للبسنا القبعة

بقلم الاستاذ توفيق الحكيم

ان الحجة الوحيدة القائمة ضد القبعة فى مصر هى كلمة « الشعار القومى » وأغلب المصريين مفتونون بهذه الكلمة . وأغلب المصريين ما زال يعتقد أن من المفاخر أن يتميز بلباس خاص شعب صغير لم يستكمل حضارته عن بقية شعوب الارض القويه المتحضرة . وقليل من المصريين من يرى من المساخر أن يتمسك رجل أو رجلان بلباس أحمر فاقع صارخ بين مئات والوف من الرجال المحترمين المتحدين فى زى معروف . لقد لاحظ بحق أحد المفكرين فى أثناء سياحة طويلة له فى آسيا وأفريقيا . أن الشعوب المنحطة هى أكثر تمسكا بتقاليد الزي وأكثرها حبا فى التمييز عن غيرها من الامم بأردية صارخة الالوان . وأرد أنا على هذا المفكر بقولى ان فكرة التمييز بشعار قومى خاص ليست فقط فكرة « بربرية » فى عصرنا الحاضر ولكنها تدل كذلك على ضعف الادراك فى أمة من الامم . فان من علامات الادراك الضعيف عدم اتساع أفقه للافكار الانسانية . ولاريب عندي الان أن خوفنا وترددنا فى مسألة

الاستاذ توفيق الحكيم

كمسألة الطربوش والقبعة وتمشدق الكثيرين بكلمة « القومية » سببه الوحيد أننا لم نزل فى حالة « عزلة ذهنية » لا أكثر ولا أقل. فنحن فى الواقع لم نتصل حتى الآن بالعالم المتحضر اتصالا يشعره بوجودنا ويشعرنا بأننا جزء منه . فنحن فى حقيقة الامر شعب صغير لا وجود له الآن على خريطة الفكر الانسانى المتحضر . انما نحن زراع وخدام وعبيد يعيشون على هامش الحضارة يخدمون المصالح

المالية الاجنبية التى قبضت على وادى النيل منذ عشرات من الاعوام . هذا كل دورنا الذى نلعبه حتى الآن . فنحن لم نقدم للعالم ما يدله على مساهمتنا فى التقدم الانسانى . لأن الفكرة الانسانية نفسها بعيدة عن ذهنيتنا . إنا لا نفكر الا فى انفسنا وفى حياتنا الصغيرة وما يحيط بها من عوائد بالية ومعتقدات قديمة وتقاليد عتيقة . ان العالم المتحضر لايهمه أن يعرف عنا شيئا . لانه ليس عندنا ما يستحق أن يعرفه العالم المتحضر . ولاننا لا نفكر مطلقا فى هذا العالم المتحضر . انما نحن نعيش كفصيلة من الدواجن وكفى . انى لا أقول أن لبسنا القبعة سيأتى بالا عاجيب وسيغير هذا الموقف . كلا مطلقا . انما أقول وأصر على القول أن مارأيته من انكار الناس لاقتراح لبس القبعة هذا الانكار العنيف وتكالب الناس حتى شباب الجيل الجديد مع الاسف الشديد ، على الاحتفاظ بما يسمونه « شعار قوميتهم » ، كل هذا أدهشنى وأحزننى ودلنى على أن عقليتنا فى ذاتها لم تزل تميل الى « العزلة الذهنية » وان جراثيم « البربرية » ما زالت متأصلة فى نفوسنا ، وأن أمامنا وقتا طويلا قبل أن نهضم الافكار الانسانية فى ذاتها ونصبح أهلا للانضمام الى هيئة الامم المنحصرة التى لاتتميز باختلاف الزي واللباس والتى اتجهت كلها الى وحدة الزى ايذانا بوحدة الانسانية

توفيق الحكيم

قيمتنا بين الامم

للأستاذ رمسيس شحاته

بأى مقياس نقيس حياة الأمم ونشاطها وقيمتها ؟ أو بعبارة أدق ما هو السبيل الى المفاضلة بين لأمم المختلفة والمقارنة بينها ؟ ربما يبدو لنا سؤال كهذا تافها عديم المعنى أو الاهمية ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أنه يضعنا أمام مشكلة صعبة . إنه وان سهل أن نعطى الاشياء قيمتها الحقة فليس أصعب من أن نقدر الامم ونزن قيمتها بميزان دقيق ولعل . أكبر داع لذلك هو تعدد المقاييس فوق نسبتها وتغيرها بتغير الاحوال والازمان

ومهما يكن من أمر مقاييس النشاط فى الامم وتعددها فهناك مقاييس ثلاثة تمتاز بأهميتها الكبري ونعتقد أنها تكون المقياس الشامل الصحيح لقيمة الامم

الاستاذ

رمسيس شحاته

وهذه المقاييس الثلاثة تتفق والحقيقة والواقع أشد اتفاق فوق أنها تكاد تكون مطلقة لا تخضع للظروف والأحوال. وأعنى بهذه المقاييس المقياس المادي والمقياس العقلى ثم المقياس الاخلاقى والمقياس المادي هو مقياس ثروة الامة الطبيعية من غلات ومحاصيل وهو يشمل الى ذلك

المقياس الصحى للامة وحاله أفرادها من القوة الجسمية والنشاط والقدرة على العمل. ولو تأملنا قليلا لوجدنا أن صحة الامة فى الواقع ثروة هائلة لها وهى أساس لكل ثروتها إن لم تكن بمفردها كل هذه الثروة

أما المقياس العقلى فهو مقياس التقدم الثقافى والعلمى وهو دليل النشاط العقلى والانتاج الذهنى. ورب معترض يعترض على فصل هذا المقياس عن المقياس المتقدم بحجة أن الانتاج العقلى كالانتاج الجسمى وان انتشار الثقافة والتعليم كانتشار الصحة. وعمومها بين أفراد الامم جزء من الثروة العامة. وهذا الاعتراض فى الواقع يتفق والحقيقة أشد اتفاق ولكن الداعى الذى يدعونا الى أفراد مقياس خاص للانتاج العقلى أو الصحة الذهنية ووضعه على قدم المساواة مع مقياس الثروة العامة هو أهمية الانتاج العقلى فى الوقت الحاضر. فقد أصبح للعمل الذهنى أكبر قيمة وابعد أثر فى تقدم الانسانية ونجاح الشعوب وقوتها وقدرتها على الحكم والسيطرة. بحيث أصبح من الضرورى ن نفرد له مقياساً خاصا

أما المقياس الثالث وهو المقياس الاخلاقى فهو مقياس الحالة المعنوية للشعب ومقدار اتصاله بالخير على الوجه الاعم وهو فى الواقع مقياس على قدر عظيم من الخطورة والاهمية وإن بدا الآن للكثيرين من المقاييس الثانوية. وليس هذا المقياس دلالة على تأصل روح الخير والمسالمة والروح الاجتماعية فى الوجه فحسب بل هو فوق ذلك مقياس مجموع ما لها من خواص خلقية من عزة وكرامة وعزيمة وجلد وصبر وشكيمة وقوة على الكفاح والمقاومة

ونعتقد أن هذه المقاييس مجتمعة تحدد لنا قيمة الامة وقدرتها على البقاء والحكم والنمو والتقدم. ولسنا ننكر ان هناك مقاييس أخرى يمكننا أن نقيس بها قيمة الامم مفاضلين فيما بينها ولكن هذه المقانيس كما لا يخفى ذلك ليس لها أهمية هذه المقاييس الثلاثة المتقدمة. ويكفى للدلالة على ذلك أن نتأمل أنفسنا. أن قيمتنا تتبع ثروتنا المادية وصحتنا ثم انتاجنا العقلى ونشاطنا الذهنى ثم حالتنا المعنوية وسجايانا الخلقية وحالتنا بالنسبة الى هذه الصفات مجتمعه تحدد بالضبط قيمتنا العامة وتبينها على أكمل وجه

وواضح أن المقاييس المتقدمة مما يسهل تطبيقه على الافراد بل الجماعات أيضا ولكن كيف السبيل الى تطبيقها على الامم ونحن نعرف أن التفاوت بين أفرادها على أشد ما يكون ؟ ونحن نعرف أيضاً أن الاخلاق بين الاشخاص تكاد تجعل من بينهم النقائض فى كل شىء ؟

فى الواقع أن هذا الاعتراض سطحى ظاهرى لا يتناول حقيقة المسألة وبواطنها لان أفراد الامة الواحدة مهما اختلفوا ومهما تباينوا ما زالت الغالبية من بينهم محتفظة بطابع مشترك عام هو

الطابع الوطنى والطابع العقلى . والطابع الاخلاقى . ودراسة هذه الغالبية متوافرة فى كل الدول وفى كل الامم وهى فى مصر أغلبية ساحقة يمثلها الفلاحون

لعل معترضا يقول أنه من الغبن أن تقاس قيمة مصر بقيمة فلاحيها لانهم جهلاء وأمثال هذا المعترض يحسن بهم أن يتذكروا أنه من الاسراف أن تقاس قيمة مصر بقيمة بعض رجالاتها المعدودين بل نحن نظن أنه من الخير أن نربط قيمة مصر بقيمة فلاحيها . فالغالبية بين هؤلاء افضل من الغالبية بين الطبقات الاخري وإن كانت حالة الفلاحين من الجهل والضعف والتأخر مما يستدعى الشفقة ويستدر الدموع

ويتضح مما تقدم أننا نقصد بما يلى دراسة تلك الاغلبية الساحقة التى تتكون منها الامة المصرية رجاء أن نستخلص من هذه الدراسة ما قد يكون لنا من قيمة بين الامم . وسوف لا نخجل أو نتردد لحظة فى ذكر معايبنا والاشارة اليها كلما وجدنا لذلك سبيلا كما أننا سوف لا نبخل على أنفسنا بذكر ما قد يكون لنا من قيمة وما هو عزاء لنا فى تأخرنا وتقهقرنا الحالى

ولا يدفعنا الى ذلك كراهية هذه الامة أو محاولة النيل من كرامتها اوالحط من قيمتها فا نا نعتقد اعتقادا لا يزعزعه مزعزع ان أمتنا أمة عريقة فى المجد وان كياننا كشعب يفضل كيان أى الشعوب الاخري . فالامة المصرية أشبه ما تكون بروح جبار عبقرى قد حكم عليه أن يبقى فى حد عليل محطم . وأقرب ما تكون من رجل شريف نبيل موهوب بدا فى أثواب بالية وغطى بخرق ممزقة تأنف منها النفس

ولكننا من الناحية الاخرى لسنا ولا نود أن نكون من اولئك المتهورين الذين يدفعهم الطيش الى الصاق افضل السجايا بأنفسهم أو من اولئك الذين يدفعهم الغرور الى ادعاء الكرم والنبل والعظمة كما أننا لسنا من اولئك الذين يدفعهم التملق والمداهنة الى التغرير بالامة والدفع بها الى الهاوية

وعلى ذلك خير للمتخرصين ان ينصرفوا عن تخرصهم وسخيف ادعائاتهم . اننا لا نرمى الى غاية معينة او هدف خاص وكل ما نطمع فيه هو هداية الرأى العام وايقافه على حقيقة ما يواجهه من المشاكل والصعوبات ومقدار ضعف الامة ومبلغ تأخرها ومواطن الضعف فيها عله ينهض بها ويبادر بأصلاح عيوبها

• • •

والان دعنا أيها القارىء الكريم نتأمل حالة الفلاح المصرى المادية ولا اخالنى بحاجه الى

لفت نظرك الى الفقر المدقع والعوز الشديد الذى تقاسيه الاغلبية الساحقة من الفلاحين لقد اظهرت الازمة الاقتصادية ذلك بشكل يثير العجب والاشفاق ولولا اننا أمة زراعية مازال فى اغنيائها بقية من الكرم والشفقة لهددت المجاعات كيان الامة. أننا قد سلمنا من المجاعة ووقعنا فيما هو شر من المجاعة ونقصد به توطن الامراض الخبيثة وظهورها بشكل يدعو ان الرعب والاسف خصوصا مرض السل الذى تضاعفت نسبة الوفيات به اضعافا مضاعفة عما كان قبل

اننا أمة قد عضها الفقر بنابه وأنزل بالاغلبية الساحقة فيها الوانا من العذاب والاذلال وها هو يكاد يقضى القضاء الاخير ان لم نتدارك الامر. اننا أمة فقيرة معوزة ولسنا بحاجة للتدليل على ذلك فأن اعوزتك الحجة او نقصك البرهان اليقين تأمل قرانا وما هى عليه من قذارة وردائه تشمئز منها النفس. تأمل فلاحينا لكى تري سيماء المرض على وجوههم وعلامات الحاجة والفقر بادية عليهم فى اسمالهم البالية ونعالهم الممزقة

والادهى والامر إننا مشرفون على افلاس محقق هو افلاس الزراعة كما نمارسها. اننا نسير سيرا حثيثا نحو النهاية وقد عصب الجهل عيوننا. لقد افلست الزراعة على الطرق البدائية التى نعرفها واكتسحتها الصناعة اكتساحا. ان المنتجات الصناعية وأخصها فيما يتعلق بنا الحرير الاصطناعى (الريون) تكتسح المحاصيل الزراعية اكتساحا ولو تأملنا الاحصاءات الاخيرة لهالنا ذلك التقهقر الذريع الذى أصاب القطن وهو عماد ثروتنا الزراعية وهل هناك أدل على ذلك من انحطاط أثمانه الذى عانينا من اجله الامرين فى هذه الايام

هذه هى ثروتنا الاقتصادية وهى كما يرى القارىء لاشىء. انها خيال آخذ فى الاضمحلال والزوال

أما ثروتنا من حيث الصحة والنشاط الجسمى فلست أطمع من جمهور القراء أن يحيط بها ولكنى أكلك أيها القاريء الى رجال الصحة. سلهم عن حالتنا الصحية وعن مقدار العمى بيننا، اننا أمة يصح لنا أن نسميها أمة عمياء. فنسبة العمى بيننا هى اكبر نسبة فى العالم: نحن اكثر عمى من مجاهل افريقيا وبلاد العالم المتأخرة قاطبة. وليس العمى هو داؤنا الوحيد فنحن مرضى ومرضى بأخبث الامراض. سل رجال الصحة عن مبلغ انتشار البلهارسيا والانكلستوما وسلهم عن عدد الوفيات السنوى بهذه الامراض المتوطنة لتعلم مبلغ تأخرنا من الناحية الصحية. وليست هذه الأوبئة المتوطنة هى كل ماهناك من عوامل الفناء ومعاول الهدم التى سلطت على كياننا ففى استطاعتك الان أن تضيف اليها السل والبلاجرا وهما من افتك ما عرفت الانسانية من الامراض خصوصا الاول منهما:

لا أخالك أيها القارى الا متأكدا اننا أمة مريضة ولكنى أظن أنك تعتقد أن ذلك ناتج عن

جهل فلاحينا وهذا فى الواقع يتفق والحقيقة كثيرا. الجهل ليس هو السبب الوحيد انما السبب الاهم هو الفقر . . هو الفقر الذى يضطر الفلاح الى شرب الماء العكر الملوث بالبلهارسيا والانكلستوما وهو الفقر الذي يضطره الى الاقتصار على الذرة كطعام اساسى له وبذلك يمهد الجسم للاصابة بالبلاجرا ثم هو الفقر الذى يحرمه الاغذية النافعة والذى يضطره الى العمل الشاق المضنى مهيئا بذلك من الاجسام القوية النضرة مرتعا خصبا للسل . ان للجهل يدا فى بليتنا ولكن للفقر أيدى كثيرة

نحن أمة مفلسة لان الزراعة وشيكة الافلاس ونحن أمة محققة الافلاس من الناحية الصحية لانتشار الاوبئة وتوطنها بيننا . نحن الى كل ما تقدم أمه من محرومة الثروة المعدنية معدمه فى المناجم ومصادر الثروة ان كانت موجودة لم تستغل بعد والمستغل منها فى أيدى الاجانب

هذا مقياس من مقاييس حياتنا ونشاطنا ولا شك ان القارىء قد لمس بيديه برهان فقرنا من الناحية المادية ولعله قد اشفق على الامة المصرية العريقة فى المجد والنبل أن يكون هذا حالها ولعله قد هلع وطار شغاف قلبه لذلك الخطر المقبل . وجدير بنا جميعا أن يكون هذا حالنا

أما حياتنا العقلية فالى القارىء طرف منها . ان فلاحينا أشبه ما يكونون بالحيوانات العجمى جهلا وتأخرا فهم أميون ونحن غالبا ما نسىء تقدير الامية وادراك عقلية الاميين . وربما ان كان لنا عذر فى ذلك . وفى شيوع الامية وكثرة الاميون ما يجعل ذلك يبدو لنا عاديا . ولكنا لو تأملنا الامى وقد حرم من كل ثقافة الا تلك الخرافات المضحكة الشائعة فى قرانا لوجدنا أنه فى حالة ركود وخمول وكسل ذهنى ليس له حد وهذا الركود الذهنى يجعله عاجزا عن تصريف شئونه والسير بها نحو التقدم فوق أنه مدعاة للتعصب وتصلب الرأى عن جهل وحماقة مما دفع بالفلاحين الى الهزؤ والسخرية بما يقدم لهم من نصائح . وهذا الجهل الشائع مما سهل على ذوى الضمائر الميتة من الاجانب التغرير بهم وسلب اموالهم على نشر السموم والاوبئة القاتلة بينهم

لسنا نعرف أمه تكاد تفلت ثروتها من أيدى أبنائها الى أيدى الاجانب أو تكاد تنتقل أملاكها الى أيدى المموليين منهم أو الرأسماليين ممن لا يتورعون عن اغتصاب الأرباح الباهظة والفوائد الفاحشة ، كما هو الحال فى مصر . وماذلك الا لانتشار الجهل بين أفراد الأمة . لو كان المصريون على غير ما كانوا عليه من جهل لما تمكن الرباويون من الأجانب من الاستيلاء على مصادر الثروة . ولانشأوا شركات التعاون التى لا تنتشر الآن الا بشق الأنفس . لو لم يكن الفلاحون جهلة لما سهل على موردى الكوكئين والهروئين من الأجانب تصريف بضائعهم وسمومهم . لو لم يكن الفلاحون

كالحيوانات العجمى ولما أمكن أن يصبروا على الذل والضيم أو ماهم عليه من فقر وعوز مع أنهم اليد العاملة فى مصر . وربما كانت هذه هى الحسنة الوحيدة لما هم عليه من جهل وتأخر من الناحية العقلية

ولعل القارىء يظن أننا اذا كنا قد سلمنا بأننا فقراء ومرضى فذلك لأن المرض والفقر خارجان الى حد ما عن ارادتنا ولعله لايود بأن يسلم اننا جهله كأمة ظنا منه أن المدارس والمتخرجين منها وكذلك الجامعة وأبنائها تكفى لأن تهىء لنا مركزا بين الامم . ومن الحق انه لاالمدارس ولا الجامعة تستطيع ذلك . وهل من دليل على ذلك أكبر من حاجتنا المستمرة الى اصلاح مناهج التعليم فى مدارسنا وهل من دليل على ذلك اكثر من ذلك الجيش الهائل من العاطلين ممن يسمونهم الشباب المثقف . اننى أترك الحكم للقارىء وأغلب ظنى أنه متفق معى على أن المدارس التى انشأناها لازالت فى حاجة قصوى الى الاصلاح وانها لاتكفى لأن تدفع عنا وصمة الجهل فنحن جهلاء مادام فلاحونا جهلاء وليس ينفعنا أن يتعلم لفيف من أبنائنا تلك القشور الزائفة .

أما الجامعة فحديثها طويل . لاشك أن هذه هى المؤسسة الوحيدة التى يحق لنا أن نفخر بها وان نفخر بوجودها ولكن يجدر بنا أن لايدفعنا ذلك الى الغرور . ان الجامعة المصرية مازالت من أقل جامعات العالم انتاجا أو قل أنها أقلها مساهمة فى التقدم العلمى على الاطلاق ومازالت مهمة القائمين بها اعداد الموظفين للحكومة أما اعداد الباحثين العلميين فانه على مايظهر لم يدرج بعد فى قائمة أعمالها . والا نخبرونا ماذا انتجت الجامعة وبأى سهم اشتركت فى التقدم العلمى العام هل نستطيع أن نضعها على قدم المساواة مع جامعات العالم المعدودة ؟

نحن جهلة الى أن يتعلم فلاحونا القراءة والكتابة والى أن يقبلوا على تربية أنفسهم وتثقيفها ولو عن طريق الجرائد والمجلات . ونحن جهلة الى أن تنتج مدارسنا شبابا عاملا قادرا على الكفاح والمجالدة والمنافسة . ونحن جهلة الى أن تساهم الجامعة بسهم وافر فى تقدم العلوم والفنون فى العالم

أما المقياس الثالث وهو مقياس الاخلاق بما يتبعها من مميزات أخلاقية للأمة كالصبر والعزة القومية والقوة على الجلد والكفاح فهو عزاؤنا الوحيد فى هذا النقص الذريع الذى نعانيه فى كل من المقياسين الأولين

ان الفلاح ساذج كريم النفس وهو تقى شديد التمسك بمبادئه الاخلاقية وبمثله العليا تؤيد ذلك محاولاته فى التقشف والزهد والقناعة ويشهد به تمسكه الشديد بتقاليد بلاده

أما عن صبره وجلده وعزيمته وهدوئه واتزانه واخلاصه فكلنا يملك بدل الدليل أدلة عدة متنوعة . وتشاطره فى ذلك الفلاحات واذا أعوزنا الدليل على تلك المثابرة الفذة والعزيمة القوية والجلد الخارق فما أسهل من أن نجد الدليل الساطع عليها فى ذلك الفلاح الذى يعمل ليل نهار فى

سقى من جزء الأرض بالشادوف وهو يتكلف فى ذلك مشقة عظيمة كثيرا ما تبدولنا خارقة فريدة رجاء أجر زهيد أو محصول قليل

ولو كان الفلاحون على شىء من الدهاء والمكر والخداع والتأفف والتذمر لما ظل حالهم على شىء مما هم عليه الآن ولحات اكبر الكوارث بنظامنا الاجتماعى

انه من نعم الله علينا أن تكون هذه حال فلاحينا الاخلاقية وان نكون هـذه قواهم المعنوية ولكنه جدير بنا أن نتذكر فى كل وقت أن سعة النفس البشرية محدودة وان حال الفلاح الاخلاقية والمعنوية لابد أن تتغير يوما ما ان لم نقيها شر المؤثرات المفسدة التى تتنازعها والتى تهدد كياننا. ليس من الحكمة أبدا أن نطمئن الى ذلك الاعتقاد السائد بطيبة فلاحينا ومسالمتهم والا انقلب ذلك وبالا علينا

• • •

هذه قيمتنا بين الامم . نحن أمة شديدة الجهل الى الحد الذى يقضى فيه الجهل على كل المميزات العقلية للشعوب ونحن أيضا أمة فقيرة معدمة قد انشب المرض أظافره ومخالبه فينا بحيث أصبح يهدد كياننا كأمة تطمع فى المجد والتقدم وتتطلع الى العالم بعين الحسد والحسرة. ولعل القارىء يعتقد أنه رغم البقية الباقية من خلق قويم وروح معنوية لابأس بها فنحن أمة سقضى عليها بالتدهور والزوال والتلاشى . وهذا هو الرأى الذي غالبا ما وصل اليه الباحثون وتحطمت عنده آمالهم القومية وأمانيهم الوطنية ولكنا مع ذلك نعتقد اعتقاداً لايزعزعه مزعزع ولا يتطرق اليه الشك بأننا أمة قد خلقت للمجد والرقى واننا كشعب نستطيع المعجزات وأن لنا من المزايا ما يجعلنا فى مقدمة الشعوب قاطبه غنى وثروة وصحة وعلما وخلقا . وهل من دليل على ذلك اكبر من تلك الحضارة الفذة والمدنية الشاملة التى خلقناها من لاشىء وكنا أول من وصل اليها . ولو لم تكن أمة جبارة لقوض كياننا ذلك الذل الطويل الذى استمر قرونا عدة ولقضت علينا تلك النوازل والبلايا المتعاقبة التى حلت بنا ولو لم تكن على قدر عظيم من الحيوية والقدرة على المقاومة والكفاح لما صمدنا الى فعل تلك المعاول الهادمة التى سلطت على كياننا طوال تلك الاجيال المتعاقبة

وانه لمما يحزن قلوبنا أن نرى الغالبية الكبرى من الامة المصرية على ذلك الفقر المدقع وذلك الخوار والضعف الصحى ولكنه عزاء لنا أن نعرف أن هذا الفقر ليس أصيلا . اذا كانت الزراعة قد أفلست واوشكت على الزوال فان العلم الحديث جدير باحيائها . ان الفدان الواحد فى المانيا ينتج عشرة اضعاف الفدان من اجود الاراضى المصرية فما هو المانع الذى يمنعنا عن ممارسه الزراعة على الطرق الحديثة ونحن اذ نقبل على ذلك وهو من السهل الميسور نؤجل الكارثة الى حين. ومن يدرى فقد يكون ذلك

مانعا من حلولها الى الابد . وفوق ذلك ففى استطاعتنا اصطناع الصناعة والاقبال عليها ثم احلال اليد العاملة المصرية محل اليد العاملة الاجنبية فى مختلف المرافق والنواحى . وهناك مصادر كثيرة للثروة لم تستغل بعد وفى استغلالها منقذ لنا من الافلاس المقبل

أما ثروتنا الصحية فمن السهل الميسور ضمانها واصلاحها وذلك بتحسين الحالة الصحية فى قرانا وتوفير أسباب الوقاية والعلاج للفلاحين أما الادعاء بأن الأمراض التى توطنت بيننا قد أصبحت بحيث يستحيل التغلب عليها فادعاء باطل لا يقوم على أساس فهذه الامراض عارضة وقتية لم نخلقها نحن كما أنه لم يكتب لها الخلود بل هى فى تطور وتغير دائم

ومن نعم الله علينا ذلك الجو الصافى وتلك الشمس المشرقة التى لا تغيب عن سمائنا يوما واحدا وها يوفر ان لنا أسباب الصحة والقوة والعافية

أننا لم نفلس بعد الافلاس النهائى من الناحية المادية وفى استطاعتنا وان كنا نتقدم نحو ذلك بخطى واسعة أن نحول دون وقوع الكارثه وهذا أمر ميسور لا يحتاج منا الا التنبه والحذر ثم العمل والاصلاح

أما حياتنا العقلية الآن وحالتنا الراهنة فليست أمرا محتوم استمراره وليس لزاما علينا أن نظل على ما نحن عليه من جهل وتأخر ففى استطاعتنا أن نتعلم بحيث تزول الامية زوالا نهائيا. ان فلاحينا ليسوا كالعجماوات لقصور فى عقولهم ونقص فى قواهم الذهنية وقدرتهم على الفهم انما لجهلهم المطبق ولذيوع العقائد الفاسدة بينهم . وهم اذا تعلموا كانوا أكثر الناس ذكاءا وتوقدا وانتاجا . وآية ذلك البينة هو ذلك التقدم الذى أصابته عقلية الفلاحين بمجرد الاحتكاك بوسط أكثر ثقافة وعلما . ومن حسن الحظ أن الفلاحين اضحوا يعرفون ذلك حق المعرفة فهم يدركون ان السبب فى تأخرهم ما يلاقونه من ذل وعذاب هو جهلهم ولذلك رأيناهم يقبلون على تعليم أبناءهم ليوفروا لهم بذلك مستقبلا أسعد كما أصبحوا على أشد ما يكونون تلهفا للعلم والمعرفة والثقافه

ان المصرى ذكى بطبعه واذا استقامت له الصحة وتوافرت له أسباب العمل والانتاج والتعلم أقبل عليها بشغف لم تلبث أن تظهر نتائجه من ثمار يانعة . لسنا جهلة متعصبين لأننا كذلك حسب تكويننا الطبيعى ولكن لعدم ثقافتنا وقلة معارفنا وأميتنا . وفى الواقع أننا نستطيع ان نعد الامية عدو الشعب الاول ولا شك ان زوالها هو فى الواقع اول واهم واكبر ما يمكن ان نحقق من نجاح وتقدم . كم نتمنى ان تزول الامية من بيننا . لا شك ان اسعد ايام حياتنا كأى امة عاملة نشيطة سوف يكون ذلك اليوم الذى يستطيع قادة الرأى فينا التحدث الى سواد الشعب على

صفحات الجرائد والمجلات والكتب فيجدون اذنا صاغية وقلوبا متلهفة للعلم متشوقة للمعرفة ومن نعم الله الجزيلة علينا ان تتوافر لنا اسباب محو الأمية فى اقصر وقت فى سنين معدودة لو صح العزاء على ذلك

إن التعليم الالزامى لا يجب أن يتناول الأطفال فقط بل يجب أن يتعداهم الى الرجال أيضا . وليس يضيرنا أن نسخر المتعلمين منا فى تلقين الفلاحين مبادىء القراءة والكتابة بل لست أحسب ذلك سخرة انما هو شرف لنا وعمل يجب أن نقوم به ونحن على أشد ما نكون من الاغتباط والسرور ولست أظن الشباب الناهض متأخرا عن أداء ذلك لو وجهت اليه الدعوة وأحسن توجيه مجهوداته

اننا مهما أطلنا فى الكلام عن مضار الجهل فكل ما يمكن أن نقوله قليل ليس الا جزءا يسيرا مما للجهل والأمية من مضار وخيمة بالغة ولعل فيما تقدم اشارة الى ما يجب أن نصرف من مجهود وما يجب أن نوليها من عناية

واذا اصلح حال الفلاح من الناحية العقلية فاضمن كفيل باصلاح المدارس والجامعة وابلاغها ما نتمناه من تقدم وازدهار ونجاح

وابعد مما تقدم هو أننا أمة متأخرة بين الأمم من حيث الثروات المختلفة فانها مقبلة على افلاس محقق تجرى نحوه بخطوات واسعة ويدفعنا الآخرون اليه دفعا قويا ونحن فوق ذلك أمة على أشد ما نكون من التأخر من الناحية العقلية أمة جاهلة بكل معنى الكلمة جاهلة الى الحد الذى يفسد فيه الجهل جل شئوننا بحيث يتهدد كياننا نفسه .

ولكننا الى ما تقدم أمة من عنصر قوى كريم مليء بالعزم مفعم بالقوة والارادة توافرت لها كل أسباب النجاح والتقدم وقد تهيأت له ظروف النبوغ والظهور والازدهار وعلى قدر ما يتحقق افلاسنا وضياعنا وانحلالنا لو أننا أهملنا أمرنا على نحو ما فعلنا الى الآن يتحقق فوزنا وتقدمنا بل تفوقنا على شعوب العالم قاطبة لو أننا صممنا على العمل والنشاط والاصلاح

اننا حيارى نتساءل هل سيقدر علينا أن نظل نياما الى أن تفنى وتضيع البقية الباقية مما لنا من كرامة وقيمة بين الأمم . أم سننهض الى العمل والاصلاح مشمرين عن ساعد الجد والاجتهاد نافضين عن عقولنا تراب الجهل وعن عيوننا غشاوة الغباء والتأخر ؟

ن مستقبلنا مربوط ومتوقف على مقدار ادراكنا لانحطاطنا الحالى ومقدار نشاطنا فى العمل والاصلاح . وجدير بنا أن نتأمل حالنا رجاء ادراك حقيقة ما وصلنا اليه من تأخر وضعف حتى نسعى فى انقاذ أنفسنا والنهوض بامتنا وتحقيق ما نتوق اليه من رغبات وطنية وأمانى قومية

رمسيس شحاته

مصر والثقافة الاوربية

بقلم الدكتور اسماعيل احمد أدهم

من مناظـرة مع الاسـتاذ فليكس فارس

\- ١ -

يجرى تيار الحياة فى نهر الزمان بما يلابسها من العوامل والمؤثرات ، وتمضى الحياة على سننها غير ملوية على شىء ، وتعلو صيحة الجماعات وصرخة الأفراد هنا وهناك ، وتبدو أشبـه بالأمواج التى تعلو مجري النهر صاخبة ، الا أنها سرعان ما تغيب فى لججها حيث يحتويها ماؤها الصاخب . ولم تكن البشرية بتاريخها الطويل إلا تيارا من تيارات الحيـاة مضى فى نهر الزمان جريا على نواميس الحياة وسننها ، حتى انك لا يمكنك أن تخلص من دراستك للجماعات الانسانية التى خرجت من جذع الرئيسات ماضية فى سلسـلة من التطورات انتهت بجماعات اليوم ، بنتيجة يطمئن اليهـا العلم ويرتاح اليها العقل وتسكن اليها النفس إلا إذا استوحيت المجتمع الانسانى فى تيار الحياة قانونها وسننها ونحن رجال العلم ننساق مدفوعين الى هذه الوجهة من النظر تحت وحى اعتقادنا بوحدة العالم وانسجامه وبساطته ، فلو لم تكن للعالم وحدته وانسجامه ، ولو لم يكن هنـاك شىء من طبيعة الاتصال بين ذواتنا المفـكرة الشاعرة وبين طبيعة الأشياء لما كان للعلم وجود وما قامت للفلسفة قائمة

بهذه الكلمات الوجيزة البليغة فى دلالتها أقدم مبحثى ، وهى شديدة الآصرة بموضوعنا الذى هو عندي نتيجة لسنيني من الدراسة ، وما خرجت به خلاصة للنتائج التى انتهيت اليها من دراستى للحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر والشرق العربى فى فترة من الزمن امتدت معى من أيام الدراسة حتى عهد التخصص الجامعى ولازمتنى حتى قدر لى أن أقوم من أجلها من وطنى تركيا توفرا على الدراسة .

\- ٢ -

للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولا على وحى مشاعرهم ، وللغرب منطقة الذى يستنير به أفراده نزولا على فطرتهم ، ولكل شعب فى العـالم تراثه التقليدى الذى خرج به من ماضيه والذي يحف به فى حاضره والذى تكمن فيه مقدمات مستقبله ــ تلك التى نطلق عليها اصطلاح «روح الامة» وهو الذى يربط ماضى جماعة من الجماعات بحاضرها ويمضى فى الزمان بها الى مستقبلها . ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعا استوحى روح الشرق عصورا متطاولة وخرج ككل أمة بثقـافة تقليدية

كونها على مدى تاريخه الطويل ـ وان وقفت مصر الآن من سير الزمن تطل على حاضر فقدت فيه عناصرها الحيوية فى ثقافتها التقليدية ، تلك الثقافة التى كونتها بما ورثته عن أسلافها الفراعنة من أصول الفن الفرعونى القديم ومظاهر الحياة المعاشية والعادات والاخلاق والصور الاساسية التى تتشكل تبعا لها العقيدة . ويكفينا للتثبت من هذه الحقيقة أن نلقى نظرة على الملايين العديدة التى تنزل ريف مصر والتى تنتشر على ضفاف النيل من وادى حلفا حتى البحر الأبيض المتوسط فى حياتها المعاشية التى يرتكز عليها المجتمع المصرى ، وان نرجع بعصرنا الى الماضى بعدئذ مستمدين من الصور التى نقشت على الآثار والهياكل التى انبثت على جنبات وادي النيل فى مصر ، ومن الكتابات التى خطت على أوراق البردي والتى صورت حياة المصريين على العهد الفرعونى لنخرج بصورة تمثل وحدة الحياة المعاشية فى مصر من عصور الفراعنة الى يومنا وذلك راجع الى أن الحياة المعاشية صورة من احتياجات البيئة التى يعيش فيها الانسان ، والبيئة واحتياجاتها لاتزال على وتيرتهما الاولى ولم تتغاير كثيرا ولا قليلا فى مصر ، وفى هذا يكمن سر محافظة الشعب المصرى . هذا الى جانب ذلك يقوم منطق التفكير وأسلوب الصياغة ـ اللغة ـ والدين مما اكتسبته مصر من غزاة العرب وكان ركنا من أركان الثقافة التقليدية لهذا البلد . ولقد اختلطت هاتان الثقافتان ـ الفرعونية من جانب والعربية من جانب آخر ـ فكان من ذلك مانعبر عنه بالثقافة التقليدية لمصر

ـ ٣ ـ

هذه الثقافة التى هى مزيج من العربية المتكيفة حسب الفرعونية والفرعونية الآخذة بأسباب العربيه ، هى قرارة الذهنية المصرية التى عكفت عليها اكثر من عشرة قرون نتيجة لعوامل أولية اقترنت والمجتمع المصرى منذ ذلك الوقت ، ولايمكن أن تتقطع أوصال هذه الذهنية من حيث هى تنزل عند حكم البيئة التى احتضنت الثقافة التقليدية نتيجة لتلاؤمها وتجانسها ، وهى مظهر لغرائز الشعب المصرى وخصائص عصره وقد انصبت فى المحيط الذي يحيا به . اذن فكل ماهنالك من سبيل هو تلقيح الذهنية المصرية بعناصر أجنبية تبعث فيها النشاط وتدفعها الى آفاق تتكيف وحالات هذا العصر ، تلقيحا يقترن معه تنقيه الذهنية المصرية من آثار العقلية العربية أو قل الشرقية واذن يكون موضوع كلمتى هو : هل من الخير لمصر أن تلقح ثقافتها التقليديه بعناصر من الثقافة الغربية لتساير مجري الحياة ، أم تمضى مصر فى أخذها عن الثقافة الشرقية ؟

وقبل كل شيء يجب أن نعرف خصائص كل من الثقافتين . والسبيل الى ذلك موقوف على تحليل كل الى عناصره الاوليه . ثم ننظر بعد ذلك هل يمكن لمصر بالعقلية الشرقية ان تساير احتياجات هذا العصر وان تحيا بمنطقها فى هذه الحياة . فاذا لم يمكن ذلك فلنا إذن أن ننظر فى الثقافة الغربية ومقدار مافيها من المرونة لمسايرة سنن الحياة ونأخذ بجانبها الانسانى . وقبل المضى فى هذ البحث

لنا أن نتساءل بداءة ذى بدء ماذا نعنى بلفظة الثقافة الشرقية ؟

نعنى بذلك ثقافة الشرق بأسره بمعنى آسيا كلها ، إن كان ذلك مانعنيه فستكون الثقافة الشرقية شيئا من ثقافات مصبوبه فى قوالب شتى ، فمن جانب تقوم الثقافة الهندية وهى تباين الثقافة اليابانيه فى خصائصها ، ومن جانب آخر نرى ثقافة فارسية وهى مصبوبة فى قالب غير الذى صبت فيه الثقافة العربية . إذن فنحن ازاء مجموع تباينت عناصره واختلفت وحداته وان كانت قرارته واحدة .

لقد كان الباعث الوحيد الذى أقام ثقافة الشرق ككل ثقافة أخرى اعتبارات طبيعية واجتماعية انفردت الجماعات الأولى التى نزلت الشرق أن تأخذ بها ، ولم تتقوم ثقافة الشرق - ككل ثقافة - بفعل البيئة فحسب ، ولم يحدث بفعل خصائص الجماعات الحيوية وحدها ، انما كانت أثرا تكييف لمجموعة من العوامل الكونية تكيفا تابعته مظاهر حياة هذه الجماعات من الوجهتين المعاشية والعقلية وتأثرت هذه المظاهر بما عرض لمحيطها من الفواعل الاجتماعية والطبيعية ، وتباينت بتباين الظروف التى تركت أثرا ثابتا فى البيئة . وهكذا وجدت لجماعات الشرق شخصية ثابتة مصبوبة فى قوالب شتى ، جماعها يكافىء الحالات المتباينة التى يتضمنها المحيط اجتماعيا وطبيعيا .

ولاشك الآن أن مفهوم الثقافة الشرقية قد وضح ودائرته قد تبينت وأضحى المقصود منه قالبا مخصوصا يتفق وثقافة المصريين .

ولاشك أن القالب المقصود فى هذه المناظرة هو الثقافة العربية . وثقافة العرب قريبة من ثقافة المصريين التقليدية نسبيا حيث الثقافة العربية عنصر أساسى فى ثقافة المصريين التقليدية .

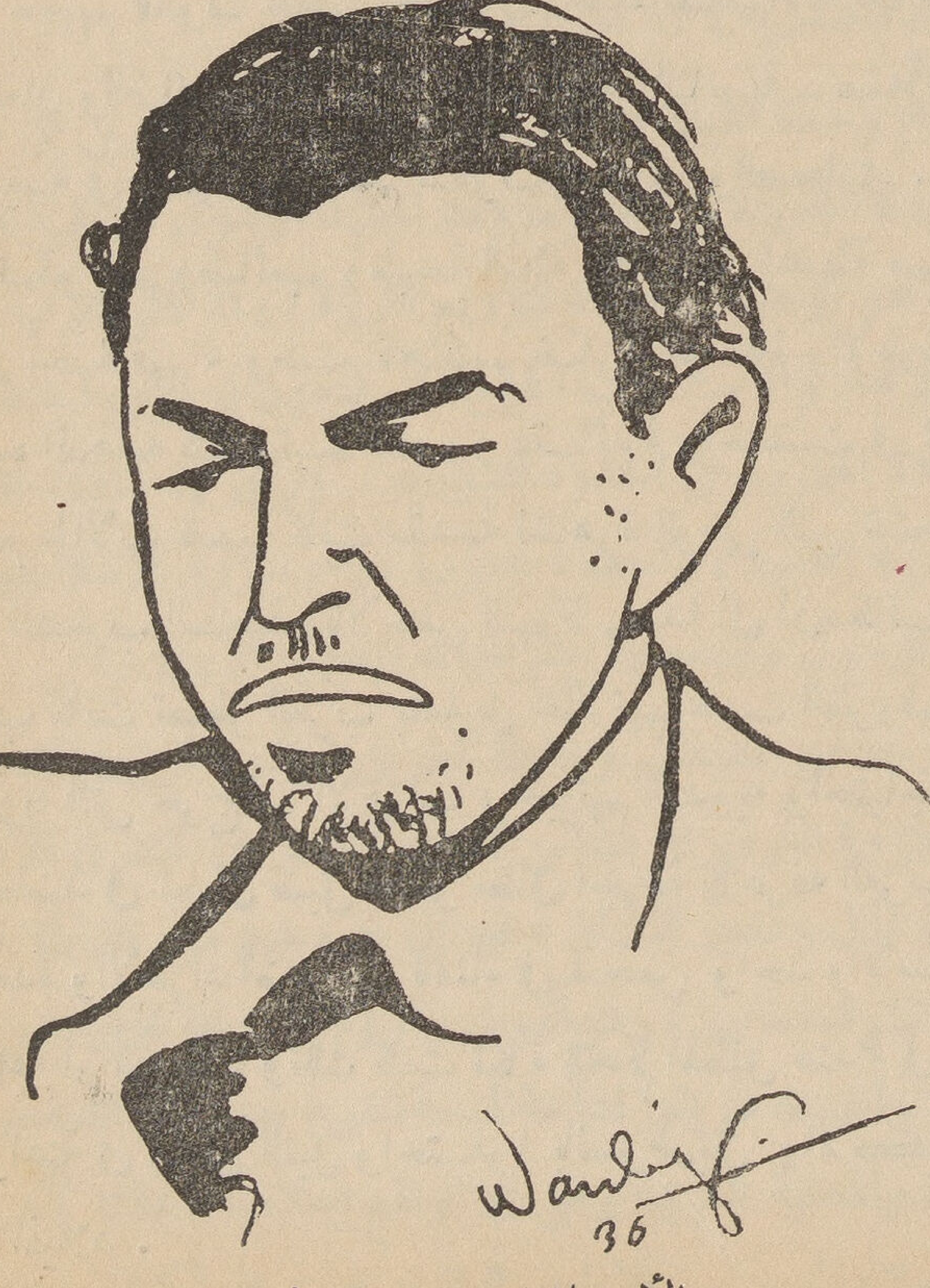

الأستاذ اسماعيل احمد أدهم

- ٤ -

لاريب عندى كاحد العلماء فى أن خصائص كل ثقافة لايمكن تخليصها عن العوامل التى كونت طبيعة العنصر الذى يعرف الثقافة منسوبة اليه . وهذه العوامل والمؤثرات تؤثر فى العنصر وعلى تمادى الزمن تجعل له روحا ثابتة تميزها عن

غيرها من العناصر . ودراسة هذه الروح الثابتة التى تظهر فى جميع مظاهر ذلك العنصر خاصة أيام بصورة معينة من الحياة المعاشية ومزودة العنصر بصفات عقلية وادمية معينة ، لاغنية للباحث عنه لأن الثقافة شيء يتبع وجود الجماعة الانسانية ويتـأثر بالعوامل والمؤثرات التى تتـكيف تبعا لها الجماعة الانسانية ، وينعكس على محيط الجماعة بخصائص مستمدة من غرائز العنصر وطبيعة الجماعة

فاذا نظرنا فى ضوء هذه الفكرة للثقافة العربية ، فأول شيء سنلمسه فى هذه الثقافة انها ذاتية وتلك تكأة للفردية ، وذلك راجع لاعتبـارات طبيعية واجتماعية ، فلقد استقرت أصول الجماعات العربية فى شبه جزيرة العرب فى الألف السادس قبل الميلاد فى حالة بدائية آخذة بالحياة البدوية . والبداوة لأهل البادية بداية الحياة الاجتماعية ، لأن فيها تتجلى روح القبيلة التى بها تحتفظ الجماعات البدوية ببقائها وتصون كيانها فى الصحراء . ولقد انقسرت هذه الجماعات على التأثر بقوي عناصر الطبيعة فى برارى شبه جزيرة العرب وقفارها ، وذلك فى المعركة التى دخلتها مع عنـاصر الطبيعة فخلصت من ذلك بحماسة شعورية أصبحت رسيسة فى نفوس العرب ، تلك حماسة التواكل والايمان بالقضاء وبقوة عليا هى صورة من عقيدة التوحيد والتنزيه انتهت اليها تحت عوامل التهذيب . كما وان سعيهم للقوت جعلهم يخلصون بحياة اقتصـادية تقوم على أساس من التنقل يعضـده السيف والطعان والنزال ، حتى ان تلك الصفة الثانوية ـ صفة الطعان والقتال ـ أصبحت أولية عندهم ورسيسة فى خطرتهم كمعظم شعوب البرارى والصحاري . خذ الى جانب ذلك عملهم على المـكافأة بين تـكوينهم وطبائعهم وطبيعة البيئة الخارجية المحيطة بهم دفعهم الى توجيه ذاتى أحـدثت كل صور أخـلاقهم ، وطبـع ذهنيتهم بفكرة الوحدة والاطراد التى تتمثل فى البيئة التى تكتنفهم ، وهذه الذهنية كانت تـكأة لصور عقـائدهم واحتضنت فى ثنايا فطرتهم وتضاعيفها حساسية خيالية ترجع لحالات نفسية كانت مقدمة لظاهرة الوحى التى تفتحت عنها فطرة العرب وشاركهم فى ذلك بقية الشعوب السامية وبالأخص اليهود . هذا الى أن مطالب الجماعة وحاجاتها فى قفار شبه جزيرة العرب كانت تضطر العرب بتعديل حالاتهم حسب الظروف الطارئة ، وتلك كانت دعامة للصفات البدوية التى خرج بها الاعراب ، لخياتهم البدوية واحتياجاتهم المعاشية التى كانت تدفعهم للتعاون والتعاضد فى نطاق ضيق ، هو نطاق الجماعة كما عرفه العرب ـ وهو القبيلة ـ وتأثر أخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد اضطرتهم للفناء فى شخص واحد والاستسـلام له ، هـذا هو الرئيس الروحى للجماعة أو القبيلة ، وتلك كانت تكأة للحكم المطلق عندهم فى حالاتهم الاجتماعية والمدنية لما اتصلوا بالفراعنة فى وادى النيل واحتـكوا بالسومريين والاكديين فيما بين النهرين فى الألف الثـانى قبل الميلاد .

هذه الفطرة للعرب وهذه الخصائص لهم هى الطبيعة والغزيرة تكيفت تبعا له وللحالات العارضة

والظروف الطارئة التي تركت أثرا ثابتا في بيئتهم الثقافة العربية . وهي ثقافة لا تتفق ومطاليب هذه الحياة الدنيا ، حيث تنزع بما انبثت في تضاعيفها من وراثة الى عالم الغيب فتخرج بصور من الغيبيات تقيم عليها حياتها العقلية والمعاشية ، ولا رابط يربطها بهذه الحياة .

ـ ٥ ـ

بهذه الذهنية خرج العرب للحياة من فلوات شبه جزيرة العرب بعد أن دانوا لسلطان الاسلام الدنيوي ، والأخروي ، والذي هو صورة سامية من غرائزهم وفطرتهم تكيفت حسب العوامل التي انصبت في بيئتهم . ولم يستطع العرب منذ ظهر الاسلام حتى أواخر القرن الثاني أن يتخلصوا من تأثير الدين الاسلامي لحظة من لحظات حياتهم ، فخضعوا لروحه المدنية والدينية . وكان الاسلام يقرر توحيد العرب ـ وسيرة الرسول أوضح مثال لهذه الحقيقة ـ غير أن توحيد العرب في وحدة اجتماعية كانت ضربة لخصائص العنصر العربي وكبتا لطبيعته التي لا تعرف غير التفرق والوحدة ـ سلطانا ـ على نفسه ، وغير القتال والطعان والسلب والنهب طبيعة له (انظر لصاحب هذا المقال الرسالة الأولى من مصادر التاريخ الاسلامي . الاسكندرية ٩٣٦ ص ٣٣ — ٣٤) .

أتى الاسلام وأقام وحدة الدولة مقام وحدة القبيلة ووجد العرب أنفسهم غير قادرين على غزو بعضهم البعض وهم في أحضان هذه العقيدة الجديدة ، وخصوصاً وقد اجتهد الرسول أن يقيد حرية الغزو بينهم . ولما كان الغزو عند العرب هو الوسيلة الوحيدة لتوزيع الثروة ، ولما كان العرب من طبيعتهم يميلون الى الغزو ومايتبعه من الأمجاد والأسلاب الحربية ، ويودون لو يدبروا منصرفا لقوتهم ، لذلك اجبروا على أن يغزوا البلاد المجاورة على الحدود السورية . ورأى محمد بثاقب نظره أن يصرف هذه القوى في زيادة شوكة دينه الجديد ، واخضاع جنوب بطاح سوريا للاسلا ، والا لحطم هذا الشعب ـ العرب ـ كل مابناه الرسول وشيده ولرجع لحياته البدوية الأولى .

وهكذا قدر للعرب تحت ظروف خارجة عن طبيعتهم وجدت الطريق لبيئتهم أن يضطروا للخروج سوجات صاخبة من قلب شبه جزيرة العرب على مدائن كسرى وقيصر في الشرق الأدنى وانهمك العرب بالفتوح وانشغلوا بجمع المال وتمصير البلدان ، غير أن خروجهم من فلوات شبه جزيرة العرب أيقظت في الشعوب التي دانت لسلطانهم ، ومن الفرس والروم على وجه خاص حيويتها الكامنة اذ نفضت عن نفسها غبار الجمود وأخذت طريقها لساحة المدنية لتقوم بعملها في اقامة صرح الحضارة التي عرفت تجاوزا باسم الحضارة والمدنية العربية وهي في الواقع اسلامية ، ذلك لأن الشعوب التي أسلمت ودانت لسلطان الاسلام الديني من الاعاجم هم الذين قامت على أكتافهم صرح المدنية الاسلامية ، ذلك لأنهم أقدر على التفكير من العرب وأعرق في الثقافة والحضارة ، ولهم

الظروف المواتية لتأسيس الحضارات ، والمراد بالظروف هنا حالة البلاد الاقتصادية والأدبية ومزايا العنصر وغرائزه وملكاته وما أوتى من نشاط ومقدرة على الابداع ، وتأثير مناخه وموارده الطبيعية والاقتصادية واختباراته التقليدية وخبرته المكتسبة وذوقه الفنى ونظامه السياسى والاقتصادى وصفات المجتمع الى آخر ماهنا لك مما لا ينبغى اغفاله كعوامل تتقوم بها الحضارات .

— ٦ —

خرج العرب من فلوات شبه الجزيرة وولدوا فى عالم الشرق الأدنى النشاط ، ولم يتعد دورهم هذا فى تاريخ القرون الوسطى من الوجهة الابداعية ، فلقد كان العالم الشرقى يغلى فى ذاك الحين بمختلف القواعل ، فلقد انبثت النساطرة فى عالم الشرق الأدنى يبشرون بمعتقداتهم داعين للمسيحية مصبوبة فى قالب شرقى بحت مستعينين على آرائهم بما انتزعوه من الفلسفة اليونانية من أفكار ، وهكذا قدر للشرق الأدنى Near East أن يعرف فلسفة اليونان عن طريق النساطرة مشوبة باللاهوت الدينى ، وكانت تلك الحركة النواة التى قامت عليها الفلسفة اليونانية خارج حدود الامبراطورية البيزنطية فى آسيا . وفى مدينة الاسكندرية على شاطىء البحر الأبيض المتوسط قامت مدارس على انقاض المدرسة القديمة التى اشتهرت فى تاريخ الفلسفة القديمة باسم مدرسة الاسكندريه غير ان الصلة لم تكن قد انفصمت بين تعاليم المدرسة القديمة والمدارس الحديثة ، لهذا تأثر فلاسفة الاسكندرية المتأخرون بتعاليم اسلافهم الذين عرفوا باسم الافلوطونيين — نسبة لافلوطين الفيلسوف السكندري المعروف — غير انهم بجانب تأثرهم بمدرسة الاسكندرية القديمة أخذوا عن اليونان ومفكريهم وأعلامهم الشىء الكثير ، فكانت مدارس الاسكندرية منبعا للكثير من الأبحاث العلمية فى الطب والفيزيقا والكيمياء ، والفلسفة فى المنطق والميتا فيزيقا .

بيد أن هذه الحركة الزخمة فى الاسكندرية بضروب شتى من البحث وأساليبه كانت تنزع بما انبث فى تضاعيف المحيط من نزعة للرجوع الى عالم الغيب نتيجة لاستقواء عجلة التفكير الشرقى لهذا فسد جو مدرسة الاسكندرية . فلما خرج العرب واحتكوا بمدرستها فى مصر وبمدارس النساطرة فى الجزيرة وشمالى سوريا ورثوا النزعة التى تدفع العقل للغيبيات ، ولقد ساعد على هذه الوراثة طبيعة العرب وفطرتهم التى ترجع لعالم الغيب دون عالم الشهادة ، وحمل العرب هذه النزعة وأورثوها الشعوب التى دانت لسلطانهم ، لهذا قامت المدنية الاسلامية حاملة فى طيات ثقافتها صورا من التفكير الغيبي والنزعات التى ترجع العالم الغيب ، على اعتقاد بامكان ادراكه عن طريق الطلاسم والتنجيم .

ولنا أن نصل من هذا كله مسرعين لغرضنا فالعرب ما انتهوا من فتوحاتهم حتى كان تأثير

الاسلام قد ذهب ، وهذه مسئلة لها مقوماتها فى البيولوجيا الحديثة التى تبين أن خضوع الفرد للعوامل الداخلية أبعد غورا فى تكوينه وتأثره من انفعاله بالوسط الذي يحيا فيه ، أو العوامل التى تعرض له فى بيئته الخارجية ، فما تأثير العوامل الخارجية الا كتأثير الاستنبات فى أزراع الأنواع الوحشية ، فانها مهما ارتقت تحت تأثير الايلاف Domestication فسرعان ماترجع لصفات أصولها الأولي اذا تركت للطبيعة غير محمية بعنايه الانسـان ، ولا شك أن تأثر العرب بالروح الذى فرضه الاسلام عليهم لم يتعد تأثر الأنواع الوحشية من نبات بأصول الاستنبات ، فلما ضعفت قوة التأثير وانتهوا بفتوحاتهم عنـد الحد الذي عنده تنتهى حيويتهم حتى توجهت فطرتهم الأولى الى سيرها الطبيعى وافلتوا من الحالة التى فرضها الاسلام الى ماتوحيه غرائزهم وطبائعهم وانقلبوا يتنازعون ويعيشون حياة الجاهلية متكيفين بالحالات الجديدة التى دلفوا اليها . وهكذا يصبح عنـدنا حقيقة لايتسرب اليها عوامل الشك فى أن الاسلام لم يقو على القضـاء على عصبية العرب حيث احتفظت قبائل العرب بها خارج شبه الجزيرة العربية بل وهذه العصبية تشكلت تبعا لـكثير من الظروف التى لابست العرب فى تاريخهم .

اذا صح هذا كله ولا اخاله إلا صحيحا وقفنا على مسئلة هامة يحبوها النقـد الحديث بنتائجه ويدعمها باسسه ، وهى أن العرب لم يغير الاسلام منهم غير الظاهر

— ٧ —

هذه المقدمات المستفيضة بليغة فى دلالتها على حقيقة الطبيعة العربية وقرارة الذهنيـة والثقافة العربية . ولهذا لم ينجب العرب على مدى تاريخهم الطويل عالما واحدا أو فيلسوفا . وفى هذا تكمن الأسباب التى جعلت الذهنية العربية بعيدة عن منطق العلم والفلسفة ، وأقول منطق العلم والفلسفة لأن العرب عرفوا صورا من العلم والفلسفة ولـكن لم تكن نتيجة لقريحة عـلمية أو فلسفية . واذا عرفنا هذه المقدمات ومقوماتها العلمية أمكننا أن نعرف السر فى أن آداب العرب كانت خـلوا من الروح الفنية التى تلقى نوراً شعريا على دائرة غنية من الفكر . ويمكننا أن نلخص كل آثار العربى فى أنها عبارة عن هتاف عميق من نفسه نحو الوحدة المتجلية حوله ، والشعر والموسيقى العربية أوضح مثال لهذه الحقيقة . والى هذه الأسباب ترد الأسباب التى قعدت بالآداب العربية عن التصوير لأن التصوير يستلزم التجرد عن الذاتية والعرض للظواهر الموضوعية فى طبيعتها الموضوعية ، و أين هذا من طبيعة العقل العربى القائمة على الذاتية .

— ٨ —

لنا أن نتساءل بعد هذا هل يمثل هذه الذهنية يمكن لمصران تحيا ، وهل تصلح أن تـكون

موضوعا لتلقيح الثقافة المصرية التقليدية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تدفعنا للنظر لقرارة الذهنية الغربية أولا . . ، وأول مايمكنك أن تلمسه فى ذهنية الغرب أنها موضوعية وتلك قرارة الذهنية الغربية ، وهى تكأة للحالات الضمانية والتعاونية وهى تعود لاعتبارات طبيعية واجتماعية خلص منها الغرب بثقافته .

لقد أخذت الموجات الانسانية تعلو من سهوب اسيا الوسطى بجموع الاريين وترمى موجات صاخبة على براري أوربا ، ثم لاتلبث الموجة كثيرا حتى تنحسر لتتلوها اخرى . تلك وقائع حدثت فى فترة امتدت على الزمن اكثر من ثلاثين قرن ، من الألف الثانى قبل الميلاد الى الالف الأول بعده .

فى هذه الفترة تمكن الغربى أن يحلص بعقلية جديدة وبذهنية انسانية ، كانت للظروف والبيئة بجانب حيوية العنصر الآرى يد كبرى فى تكوينها ، فلقد امتدت الموجة الارية الأولى فى التاريخ - على ماوصل اليه علمنا - على أوربا حول الى ١٨٥٠ ق وانتهت هذه الموجة بقيام شعب أغريقية القديمة بمدنيته التى أثارت تلك الانسانيـة وبددت سحب الذهنية الأسيوية الغيبيه التى ألقت على العقل الانسانى ظلالا كثيفه .

أتت أصول الاغريق الي أرض هيلاس - فى أربعة مجاميع - الأيوليون والدوريون والأخيون والأيونيون . ونزل الأيوليون والدوريون فى الشمال والأخيون والأيونيون فى المورة - البلوبونيز - ولكن حدث فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ان أغار أهل تساليا على شمالى اليونان فهاجر الأيوليون الى آسيا الصغرى واحتلوا لسبوس - اكبر جزر الشاطىء الأسيوى ، واحتلوا شطئان أسيا الصغري من الدردنيل - هلسبونتس - الى خليج سيروس وعرفت هذه المنطقة باسم أيوليا . أما الدوريون فهبطوا البيلوبونيز واخضعوا الأجنين ، وهددوا الأيونيين فاضطر بعضهم للصعود الى - أتيكا - فى شمال البلوبونيز من جهة الشرق ، وبعضهم نزل أسيا الصغرى من سيروس الى نهر ميندروس واحتل جزيرتى خيوس - روساموس - وعرفت هذه المنطقة باسم ايونية

فى هذه المناطق من الأرض فى شمال شرقى البحر الأبيض المتوسط قامت الحضارة الهيلينية وفيها انتظمت الحياة الانسانية لأول مرة فى تاريخ الانسانية على أساس انسانى ، وكانت هـذه المناطق مهدا لصفاء الذهن حيث البيئة صافية فخرج العلم والفلسفة منها صافيين . ولم تكن الثقافة اليونانية وحياة الهيلينيين المعاشية خالصة من آثار التلقيح من ثقافات الشرق وحضاراتها ، غير أن هذا التأثر تافه قليل ، هذا الى أنه عرضى لاحق للظواهر ، حتى أن نفرا من أعلام الباحثين فى العصور الاخيرة أمثال العلامة « ريتر » الالمانى والفيلسوف « رينان » الفرنسى والعلامة «زيللر» مؤرخ فلسفة الالمانى المشهور ذهبوا الى الاستقلال الثقافة اليونانية عن غيرها من الثقـافات ، وليس لنا أن نذهب بعيدا مع هؤلاء أو مع القائلين بتأثر الثقافة اليونانية عن غيرها من الثقـافات ، فما لا شك

فيه أن فى ساحة العقليات لم يتأثر شعب هيـلاس بمن قبلهم فهم بحق أول رواد الفكر الانسانى ، أما فى ساحة الحياة المعاشية فقد كان التأثر تافها . وكان لهذا الاستقلال النسبى أثره فى أن تقوم الثقافة والحضاوة اليونانية صافية من آثار الشرق التى يمكن أن تؤثر على صفاء العقلية .

— ٩ —

نشأ اليونان فى بيئة متقلبة ليس لها اطراد فى الخارج وخلصوا بحـكم هذه البيئة بعقلية تمتاز الى جانب توثب خيالهـا بحدة تصورها ، وخرجوا بكفاءة ذهنية استقرت على المنطق والاستدلال فأصبحت رسيسة فى فطرتهم والنزعة المنقبة والنهج العقلى والتحليلى . ولقد كان لمجهودهم فى سبيل السعى للقوت أثره فى تركيز حياتهم الاقتصادية على أساس من التعاون والتعاضد استلزمته بيئتهم وطبيعة بلادهم خذ الى جانب ذلك عملهم على التكافؤ بين تـكوينهم وطبائعهم والبيئة الخارجية جعلهم يخلصون بتوجيه ذاتى Tropism صبغ ذاتهم بأخلاق مثالية ونزعات انسانية فى النطاق الهيلينى وطبع ذهنيتهم بالعمق وخيالهم بالزخامة Dynamic ومطالب الحيـاة الاجتماعية دفعتهم للتعاون والتعاضد فى نطاق المجتمع الهيلينى وكانت الوطنية الاغريقية التى أثبتت جلالتها وارتـكازها على الفطرة فى الحروب التى قامت بين الفرس وشعب اغريقية والتى انقـذت الغرب والانسانية من العقلية الاسيوية التى لو قدر لها التحكم فى ربوع بلاد الهيلين لتغير مجرى التاريخ ولـكنا الآن فى عصور البربرية الاسيوية ولما قامت مدنية روما ولا حضارة المسلمين ولا أثر من جيلنا الحاضر .

ولقد أعقبت الحضارة الاغريقية حضارة رومانية بربرية ، غير أنها ورثت تراث الهيلينيين الثقافى والمدنى ، وحضارة اليونان ومدنيتهم أرقى ما وصل اليه الانسـان من جهة عقلية من حيث الرقى والذكاء والقدرة على التحليل فى التاريخ ، ذلك انها وان كانت بدائية الا أن طابعهـا انسانى عقلى ، فلقد نجح اليونان فى تخليص العقل من آثار الميثولوجيا وتحريره من ربقة العقائد ، ونظروا الى العالم بذهن خالص حر لم تفسـده عقيدة ولا تقليد فنجحوا بما انبث فى فطرتهم من كـفـاءة القياس والاستدلال أن يخلصوا باقامة الحياة الانسانية على ما تقتضى الحياة من حاجات ووضعوا عن طريق المنطق الانسانى نظاما للحقوق البشرية يوافق الحياة ومطالبها ، فعرفوا للمرأة مقامها فى المجتمع وللفرد حقوقه فى نطاق الجماعة . وجملة القول كانت العقلية اليونانية عقلية انسانية صرفت كل همها لصالح الانسان . لم ينزل بمقرراتها وحى ولم تهبط من السماء ، انما كانت وفق مطاليب الحياة وفهم طبيعة الانسان .

— ١٠ —

قامت المدنية الرومانية على ميراث الاغريق ، غير أن المسيحيه سرعان ماغزت روما وهبت عليها حاملة

معها نزعات المنطق الآسيوى والروح الشرقية ، الا أن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وامتصتها ومثلتها حسب الطبيعة الغربية . وكان ذلك خلافا للمنطق الغربى ، ولو لم تكن ديانة المسيحية روحية محضة قابلة للكثير من التفاسير مرنة بطبيعتها غير عاملة فى طياتها نظاماً للحياة الاجتماعيه ونظما وشرائع كما هو الحال فى الاسلام لقام نضال عنيف بين منطق الغرب العقلى الانسانى واصوله مجتمعة وبين منطق الشرق الغيبي وروح النسك السامية وشرائع الشرقيين . ومن يدري فلربما كان مصير أوربا أن تصبح فى الحالة التى نلمسها فى مسلمى البلقان وشرقى أوربا . يقول الاستاذ هابل أدم بك أحد كبار علماء الاجتماع فى تركيا ما ترجمته .

«ان مسلمى بوسنة (مقاطعة من يوغو سولافيا الآن) ومسيحييها خير مثال يمكن أن نقدمه لنؤيد به فكرتنا فى أن الشرق كاد يلتهم الغرب بمنطقه وروحه. فمسلمو البوسنة قد انتحلوا حياة العرب الاجتماعية فى قلب أوربا ، فما الذى كان ينجي الغرب فى مثل هذا لو قدر للمنطق الآسيوى أن يتحكم فيها ؟ » . انتهى ملخصاً من كتابه مصطفى كمال كتابى . استامبول ١٩٢٦ جهان كمنجان س).

لقد كانت روحانية المسيحية سببا فى نجاة الغرب ، وتلك مسألة خارجة عن نطاق بحثنا الا أنها بليغة فى الدلالة على المنطق الشرقى وآثاره والهوة السحيقة بين روح الشرق ومنطق الغرب .

نضب معين حيوية روما لعوامل داخلية وهاجمها الهمج من الجرمان والصقلب أو السلاف والهون وسقطت امبراطورية الرومان الشرقية . على مقربة من الشرق فتأثرت بروح النسك الآسيوية وبنزعات المنطق الغيبي الشرقى . ودانت الامبراطورية بدين المسيح وتمكنت المسيحية من الاستقرار فيها حاملة معها الكثير من أساليب المنطق الغيبى ، وقام صراع بين منطق الشرق والغرب حتى ناصر أحد الأباطرة المنطق الشرقى بتحريمه تدريس الفلسفة واغلاقه لمدارسها ـ وكانت الفلسفة الى ذلك الوقت هيلينية صرفة ـ لتقوم عوضا عنها منطق الشرق الغيبي ممثلا فى اللاهوت المسيحى وغيبيات النصرانيـة .

فى ذلك الوقت كانت بلدان الشرق فى سبات عميق تقتلها المجادلات اللاهوتية فى حقيقة الثالوث وسرى المسيح والمناقشات من حول ناسوت ولاهوت السيد المسيح . ولما أغلقت مدارس الفلسفة فى انحاء الامبراطورية الرومانية لم يجد الفلاسفة سبيلا غير المهاجرة فنزلوا شمالى العراق وهبطوا فارس وكانوا النواة الاولى التى تمخضت عن حركة الترجمة والنقل عن اليونانية للسريانية ثم العربية وكانت حركتهم البذرة التى تمخضت عن مدنية القرون الوسطى فى الشرق .

أما أوربا نفسها فقد كانت رازئة تحت ظـلام حالك نتيجة لهبوط الهمج أوربا ـ غـير ان هؤلاء ما أخذوا باسباب التحضر والتمدن حتى كان صفاء ذهنيتهم يرسل أشعة مضيئة تنفذ من أغوار عقلية القرون الوسطى المظلمـة ، وهذه الثغرات التى أرسلت منها العقلية الأثرية الجديدة اشعتها

تألفت وقتا بشخص روجر بيكون أول من وضع الأسلوب التجريبي فى البحث وأخذ به فى ظلمات القرون الوسطى . ومن الواضح للباحثين فى تاريخ القرون الوسطى على ضوء البحوث الأخيرة التى قام بها الأستاذان «دل» و«بيرين» فى انجلتره والأستاذ «بيرنين» البلجيكى أن نزول الهمج فى أوربا واسقاطهم للدولة الرومانية الغربية لم يغير الكثير من الحياة المعاشية فى أوربا فهنا لك رابطة بين الرومان وبين هؤلاء الهمج من حيث النظم الاجتماعية والاقتصادية . فلقد كانت نتائج بحوث الباحثين فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرون الوسطى اكتشاف حقائق مهمة فى أن أوربا فى القرون الوسطى احتفظت بكثير من الشعوب التى عاشت فى كنف القيصرية الرومانية ونظمها الادارية وعاداتها ، وان الهمج لم يحدثوا من أثر تعدى قضاءهم على التجارة الواسعة النطاق وعلى الادارة العامة ، وقامت بدل ذلك بيوتات تجارية صغيرة تستطيع كفاية أهلها بمنتجاتها ، فكانت بذلك مقدمة للعهد الاقطاعى . وهكذا قدر لهؤلاء الهمج ان يركزوا الحياة الاقتصادية فى المعمل الصغير وبذلك وضعوا النواة لعهد الانتاج الصناعى .

— ١١ —

امتدت موجة العرب عن طريق الاندلس على الغرب ، غير أن الغربيين كانوا قد استيقظوا من سباتهم وأخذت الشعوب الهمجية التى نزلت أوربا تتحضر وتتمدن فوقفوا فى وجه العرب وأوقفوا مد الموجة العربية عندما تفاقم أمرها واجتازت سفوح البرينيه وأخذت تمتد حتى ضفاف نهر اللوار . وكان نجاح شارل مارتل البطل الكبير فى ايقاف جحافل العرب وصده لهم سببا فى أن تأخذ الموجة العربية فى الانحسار ولم يمض قرنان أو اكثر حتى انحسرت الموجة العربية عن اسبانيا كلها واستقرت فى المغرب .

وكان نزول العرب الاندلس وإقامة دويلات لهم فى اسبانيا سببا فى أن تزهر حركة أدبية فلسفية نظرا لوجود العقل الغربى وراء العرب وذهنيتهم الشرقية ، فقام أمثال ابن الطفيل وابن رشد وغيرهما من أعلام المغرب والاندلس ، غير أن الجو الشرقى الذى خلقه العرب بكيانهم الاجتماعى قضى على الآثار التى كان يمكن أن تنتج عن تعاليم فيلسوف مثل ابن رشد يجرى فى عروقه الدم الاسبانى . وفى ذلك الوقت كانت العقلية الغربية رازحة تحت كاهل اللاهوت الكنسى الذى قام فى روما باقامة كرسى البابابوية التى جعلت نفسها رقيبة على النفوس والعقول ، غير ان الوقت كان قد تقدم والعقلية الجرمانية لم تكن تر فى تسلط البابا وروما ظلا شرقيا بعيدة عن الفطرة الاوربية فعملت على تقطيع أوصال البابوية والكنيسة الرومانية عندها : وكان الصراع شديدا بين البابا ممثلا روح الشرق ومنطقه الغيبى وبين دعاة الاصلاح الدينى من الألمان الذين يمثلون منطق الغرب . وفى هذا الوقت ، الذى كان فترة صراع قوى شق لوثر طريقه ثلوجود دوعى للاصلاح الدينى فكانت دعوته

مقدمة لعهدين عهد الاصلاح الدينى وعصر الاحياء الفكري

— ١٢ —

تحررت العقول من تحكم العقلية البابا وية وانطلقت عجلات الفكر الغربى تعمل من جديد مستوحيه فطرتها وأخيلتها فى طبيعتها ، فنظرت للماضى فلم تجد غير تراث الهيلينين ، ولكن هنالك المسلمين وقد عملوا الثقافة الاغريقية وتركوا تراثا عظيما فى العلوم والفلسفة ، فاذن لا بد من دراسة التراثين الاغريقى والاسلامى . ولقد أوضح البحث لهم أن صفاء العقلية الأغريقية لم يعرفها العرب ولا المسلمون حيث اخذوا ثقافة لاغريق عن طريق النساطرة ومدرسة الاسكندرية مشوبة باللاهوت المسيحى وبغيبيات النسطورية . أما تراث المدنية الاسلامية فحقا ان المسلمين أضافوا الشىء الكثير على تراث اليونان فى الطب والفلك والرياضيات والفيزيقا والفلسفة لكنها لم تكن نتيجة لذهنية خالصة علمية أو فلسفية الا فى القليل بل كانت للظروف يد كبرى فى ايجادها . وما كشف الغربيون هذه الحقيقة حتى أخذوا فى الرجوع إلى التراث الهيلينى نفسه ، وكانوا قد مضوا فى الترجمة عن العرب ، وبدأ عصر الاحياء والنهضة بالترجمة والنقل عن الاغارقة ونشرت لمؤلفاتهم التراجم اللاتينية . وكان للطباعة يد طولى فى قيام الذهنية الغربية الحديثة فى فترة قصيرة لم تتجاوز الأربعة القرون على تراث الهيلينين الذى مكنت المنطق الاغريقى بين ظهرانى ابناء الغرب .

واقترنت هذه الحركة بأن شك نفر من رجالات القرن السادس عشر فى صلاح الطريقة الغيبيه التى ورثوها عن الشرق واخذوا يحاولون ان ينظموا العالم بعدة سنن تنظم من حدوث حوادثها — تلك هى سنن الطبيعة — واستنادا على هذا المنهج الاستقرائى والتجريبى نجح الغرب فى اقامه عقلية علمية .

فالثقافة الغربيــة تقوم على أساس من فطرتها تستمدها من عنصريتها الآرية وطبيعتها وبيئتها كونتها على مدى الدهور والاعوام فى أجيال لا تعيها الذكريات .

— ١٣ —

ان كيان كل جماعة ، تتأثر بفواعل عديدة يتفاعل مع بعضها البعض فتكون محيط الحياة الانسانية . وهذه الفواعل تظهر فى أقوى مظاهرها من طريق « مركز الجذب الاجتماعى » — وهو الميل العام فى المجتمع نحو شىء بعينه — ، ومركز الجذب الاجتماعى فى عصرنا هذا هو ثقافة الغرب ومنطقه ولا يتنازع اثنان على هذه الحقيقة ، يثبت من هذه الحقيقة ان كل الشعوب الشرقية أما اخذت أو آخذة بمنطق الغرب منجذبة لها بحكم محيط الحياة الانسانية . لقد ساعدت على قوة « مركز الجذب الاجتماعى » فى هذا العصر المدنية الصناعية التى ربطت مقدرات الشعوب ببعض وشبكتها بمجموعة من الصلات لا يروى لها التاريخ الانسانى مثلا .

ومصر كمجتمع انسانى مضطرة بطبيعة تكوينها و كنانها أن تنجذب نحو « الغرب وثقافتـه » وتتأثر بها شاءت أو لم تشأ فان لقوة الجذب الاجتماعى طاقة على جذب مصر للثقافة الغربية . فاذا عرفنا هذه الحقيقة فانه يكون السؤال الذى يتكيف مع هذه المقدمات : هل من الخير لمصر أن تعمل على تقوية ميلها نحو « مركز الجذب العام » فى عصرنا وهو « ثقافة الغرب » ؟ وإذا كان ذلك خيرا لمصر فهل من الخير لها أن تعمل على تقطيع أوصال « الثقافة العربيه » بين ظهرانيها ؟ وان كان هذا خيرا لها فهل تنتحل « ثقافة الغرب » انتحالا أم ترجع لفطرتها وطبيعتها لتكيفها حسب احتياجات هذا الجيل ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة واضحة السبيل ولا تحتاج لجهد كبير ، فيكفى ان تقوم الحياة فى العالم على أساس غربى لتأخذ مصر بهـا ، هذا الى أن منطق الغرب جرب واختبر فأسفر اختباره عن نجاحة . ففى طريقه اعترف لأمريكا بحق الحياة ، وتحضرت اليابان بان اتبعت وسائل واسباب العقلية الغربية ، وكذلك ممالك البلقان ، فانها فى الماضى لما كانت تنزل عند حكم آل عثمان ، مرتبطة مقاديرها بمقادير العثمانيين كانت فى انحطاط حيث كانت الأستانة تجذبهم للحياة والمنطق الشرقى ، فلما انفصلوا وأخذوا بمنطق الغرب تحضروا . وهذه تركيا اعترف لها بحق الحياة منذ أخذت بمنطق الغرب . ولرب معترض يقول لا يكفى أن تقوم الحيـاة على اساس غربى حتى نأخـذ بهـا فى هذا العصر ، انما يجب ان نأخذ بالصالح . ولربما كان هـذا فى الشرقى ومنطقه ! والاجابة على هذا جلية فى أن الصالح ما ساير سنن الحياة ونزل عند تيارها ومنطق الحياة الغربى انسانى ينزل عند سنن الحياة حيث هى تقوم على ما تقتضى الحياة من حاجات وما تعترض من نظم للمجتمع توافق الحياة ومطالبها فالعقلية الغربية عقلية انسانية همها صالح الأنسان عن معرفة السنن التى تتحكم فى كيانه والعمل للتكافؤ بين المقدر للانسان و بين ما ينفعه وما هو فى صالحه بينما العقليـة الشرقية عقلية لاهوتية منصرفة للغيب مؤمنة بالقضاء والقدر فأين هذه الذهنية من عقلية الغرب الارتقائية .

والاجابة على الشق الثانى من السؤال يرتبط بالسؤال الاخير ارتباطاً وثيقا لأنه لا يمكن ان يقوم مجتمع ناهض له كيانة واستقلاله إذا لم يستوح فطرته وطبيعة ، فاذا صح هذا فالسؤال يتبين ودائرته تضيق والمقصود يتضح فى هل «الثقافة العربية» تتفق مع الفطرة والطبيعة المصرية ؟

— ١٤ —

ان الاجابة واضحة فى أن المصريين عنصر غير سامى ـ عنصر يتفق ود لية الدموى مع شعوب البحر الأبيض المتوسط ، فلقد اتضح من مباحث الدكتور محمد شرف وغيره ان المصريين لهم وحدة دموية واحدة هى ١٠٧ وان صلتهم الدمويه بالعرب بعيدة وان الفتح العربى

لم يؤثر على دماء المصريين ، وهذا ان اثبت شيئا فذلك ان المصريين عنصر مستقل عن العرب له أخيلته وثقافته ومناطه المستقل عن أخيلة وثقافة ومنطق العرب وهذه المقدمة تؤدى الى نتيجة منطقية لا مرد منها وهى العمل على التخلص من العقلية العربية ان كان لها ظل فى مصر . ولا شك فى أن ظل الثقافة العربية فى مصر غير يسير فاللغة والعقيدة قد تكيفت على غرار عربى ومتى عملت مصر على تقطيع أوصال العقلية العربية بثورة كبيرة تتصل بمشاعر المصريين قبل عقولهم حتى تتمزق أوصال العقلية العربية كان للمصريين كيان مستقل تكفيه حسب احتياجات الجيل وتلقحه بآثار المنطق الغربى فتدلف الى الحياة الصحيحة على أساس من المنطق الانسانى الذي عرفه الغرب .

لقد وضح السبيل والحياة فى له منطقه الصرف فان كانت مصر تريد أن تحيا فالطريقة بينه ممهدة السبيل . ولينظر أبناء مصر لفطرتهم وليرجعوا بطبيعتهم – وهى فرعونية – وليدرسوا السنن التى تتحكم فى وجودهم وفى كيان المجتمع المصري وليعملوا على تغيير المقدر بما يتفق وصالح مصر وفائدة كيانها ، فالعلم والثقافة الغربية يجهز ان ابناء مصر بمحراث قوى يشق لهم سبل الحياة .

اعملوا يا أبناء مصر على التحرر من الكابوس العربى واعملوا للرجوع لطبيعتكم الفرعونية ولقحوا ثقافتكم التقليدية بأسباب الذهنية الغربية ، فتتغاير تلك الى صورة تتفق والعصر الجديد الذى دلف اليه العالم المتمدن .

— ١٥ —

ان للذهنية الغربية قرارة واحدة وان تكيفت حسب أحوال كل عنصر وطبيعة فهى تأخذ شكلا فى المانيا غير الذى تأخذه فى فرنسا وتنصب فى قالب فى روسيا غير الذى تنصب فيه فى انجلترا ولكن للغرب شخصية ثابتة كما للشرق شخصية ثابتة وكل جماعها يكافىء الحالات المتباينة التى يتضمنها محيط كل اجتماعيا وطبيعيا . فاذا وضح هذا فتكون دائرة تلقيح الثقافة المصرية قد تبينت بقرارة الذهنية العربية لا القوالب الشتى التى تنصب فيها الذهنية الغربية . أقول هذا لاجلاء غامض قد يستغله دعاة العربية فى هذا القطر المسكين الذي ينتفض جزعا على مستقبله من دعاة العربيه Pan Aeabism ولم يدفعنى الى هذا إلا رغبة فى العلم ونزعتى الانسانية الى أن أقف موقف المرشد فى بلد فقد مرشديه وضل سبيله بين مختلف الدعوات .

ان العربيه والاتحاد العربى يا أبناء مصر لم يجدكم فى ماضيكم خيرا ولن يجديكم فى حاضركم ولا فى مستقبلكم ، فانفضوا غبار الجمود والحياة بينة الطريق ممهدة لكم فادلفوا اليها بأقدامكم .

اتركوا اللغة العربية الفصحى فلكم فى العامية لغة قومية ، نظموها وضعوا لها قواعدها تحرروا من ربقة اللغة العربيه واستعبادها لكم . وانى شخصيا لم أعرف العامية الا منذ أعوام

قلائل حيث عرفت العربية من الكتب وعلى أيدى الأساتذة المستشرقين وفى فترات قليلة ترددت فيها على مصر ولكن منذ حططت رحالى فى مصر لدراسة حياتها الاجتماعية والأدبية وقفت على ثروة جديدة هى اللغة المصرية وهى العربية العامية خطئا والعربية التى تكيفت ومحيط مصر فى الواقع ، فهذه هى اغتكم وهى أولى بعنايتكم من احياء لغة بدولا يربطكم بهم صلة ولارابط .

واختتم كلمتى بعبارة وجيزة لكنها بليغه فى دلالتها

منطق الغرب قائم على العقل والذهن

وروح الشرق على العاطفة فحسب

والأول ينتهى بكم الى الحياة الانسانية فى صميمها

والثانى يذهب بكم الى الآخرة ولكن فى هذه الحياة !

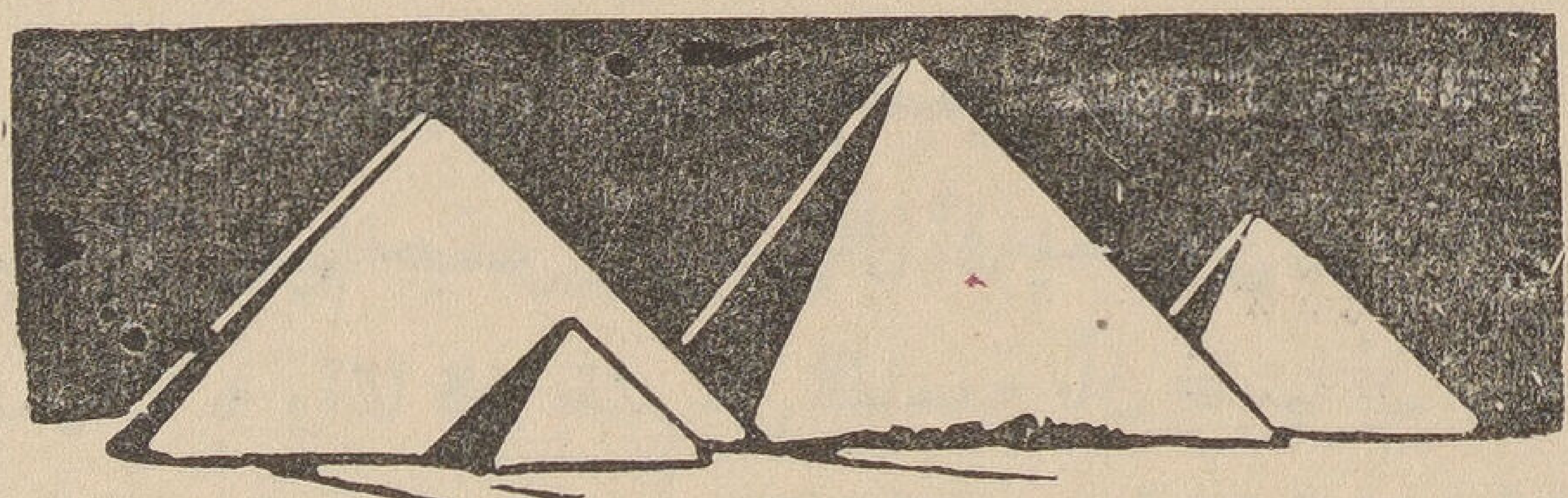

الوسيلية والأدب العربي

بقلم سلامه موسى

لو كنت وزيرا للمعارف لامرت بترجمة كتاب «الفلسفة العملية» أو «الوسيلية» لوليم جيمس فان هذه الفلسفة هي أجد الفلسفات وهي لذلك اكثرها انطباقا على الاجتماع الحاضر . واذا كانت الفلسفة هي المفتاح الذى تفهم به الحقائق ومغزاها ازاء الحياة الانسانية فان هذه الفلسفة لوسيلية لا تنير الذهن فقط بل تبعث على النشاط الاجتماعي المفيد .

وقد اطلقنا اسم الوسيلية على هذه الفلسفة لانها تعبر عن الغاية التى قصد اليها مؤلفها . فانه يرى أن الحقائق انهى الا وسائل نستخدمها للاهتداء بها فى العيش : فليست قيمتها انها صحيحة فى ذاتها بل انها تخدمنا ولو كانت هذه الخدمة مقصورة على عصر ما . فالجاذبية التى قال بها نيوطن كانت صحيحة ما دامت قد خدمتنا فى فهم الطبيعيات وما دامت قد أثمرت الآلات التى وفرت لنا الصناعات الكبرى . والنسبية التى تناقضها والتى يقول بها اينشتين صحيحة الآن لأنها مفتاح الطبيعيات الجديدة .

وقل مثل ذلك فى سائر الحقائق . فان تعدد الالهة عند الامم القديمة كان من الحقائق الصحيحة لأنها خدمتهم فى حدود اجتماعهم وكانت لهم كالمفتاح الذى يفتح لهم باب الاخلاق السامية . وكذلك التوحيد الذى يناقض التعدد هو الان حقيقة تخدم اجتماعنا وتدعونا الى الاخاء والبر والتعاطف الانسانى. أى ان تعدد الالهة كان وسيلة العيش الحسن قبل ستة آلاف سنة . وأن التوحيد الان هو وسيلة العيش الحسن . فكلاهما حقيقة تتفق والعصر الذى يعيش فيه .

وبكلمة أخري تقول أن وليم جيمس كان لا يبالى أن يسأل عن الحقائق هل هى صحيحة فى ذاتها لها وجود مطلق لا شأن لنا به وانما كان يقنع من الفلسفة بأن غايتها أن تستخدم الحقائق كوسائل للعيش البار فقط . فاذا كان هناك فرض فى الفلسفة أو الكيمياء أو الطب او الطبيعيات يخدمنا ويفتح لنا أبواب النشاط الذهنى أو الاجتماعى أو غير ذلك فهذا الغرض حقيقة . وان لم يؤد الى هذه الخدمة فهو ليس من الحقائق .

وهذا بالطبع لا ينفى أن يكون للحقائق وجودا فى ذواتها . وانما يجب ألا تتجه هممنا الى ذلك لأن هذا عناء لا يثمر . ومهمة الحقائق أن تخدمنا بحيث تفتح لنا الطريق الى زيادة التوسع الذهنى او الثقافى او الصناعى او الاجتماعى الخ .

ومن هذا النظر يرى القارىء ان الحقائق لا تقاس بماضيها بل بحاضرها ومستقبلها وقيمتها

الاجتماعية . وهل هى تدعو الى الركود أم النشاط . والى الخير أم الشر . أى ان الحقائق وسائل للعيش فقط .

« ٥ »

وليست قيمة هذه الفلسفة الوسيلية فى النظر الى الحقائق فقط بل هى أيضا فى النظر الى الطرق التى تتخذ للبحث والدرس وامتحان العقائد والعادات والعرف . فاننا حين نستضىء بالوسيلة لا نسأل هل الديانة الهندوكية صحيحة أم كاذبة بل نسأل هل هذه الديانة تحترم الهندوكيين وتجعلهم يرتقون عاما بعد عام اوقرنا بعد قرن؟ اى اننا لا نسأل ما هو ماضى الهندوكية بل ما هو مستقبلها

وعلى هذا الاعتبار يمكننا ان نسأل عن الادب العربى الان كما يدرس فى كليات الازهر والجامعة المصرية ودار العلوم وكما يمارسه المؤلفون مثل طه حسين والعقاد واحمد امين وزكى مبارك الخ فنقول هل هذا الادب وسيلة من وسائل الرقى للامة المصرية وهل هو يفتح لنا ابوابا للتوسع الذهنى او النشاط الاجتماعى او الثقافى ؟

لقد الف العقاد كتابا عن ابن الرومى وألف طه حسين كتابا عن المتنبي والف احمد امين كتابا عن الفرق الاسلاميه . ووضعت الانسة سهير القلماوي كتابا عن ادب الخوارج كما وضع زكى مبارك كتابا عن أثر التصوف فى التاريخ والادب . ففى ضوء الوسيليه هل يمكننا ان نقول فى هذه الكتب او واحد منها انه تبعثنا قراءته على التوسع الذهنى او النشاط الاجتماعى او الثقافى ؟

لا نظن ان من بين هؤلاء الكتاب من يعتقد ان الادب يدرس لذاته وان له قيمة اصيلة فيه مجردة عن العلاقة الانسانية . كما لا نظن الا انهم جميعا يؤلفون لجمهور قاريء من الامة المصرية أو الامم عربية . فما هى العلاقة التى تصل بين هذا الجمهور وبين هذه الموضوعات التى تناولها هؤلاء المؤلفون .

انى اعقل ان المستشرقين يؤلفون مثل هذه الكتب لكى يقرأها مستشرقون مثلهم . وعندئذ يعود هذا الادب اخصائيا يكتب ويقرأ كأنه من المواد الخامة التى يأخذها الاديب اذاشاء ويستخدمها او يستخدم بعضها للعبرة التاريخية او اللذه الفنية . أما الجمهور الذى لا يمكنه ان ينظر الى الادب الا من ناحيته الوسيلية فلا يمكنه أن يقرأ هذه المؤلفات

ان الخوارج فى التاريخ الاسلامى يشبهون المانويين فى التاريخ المسيحى . بل ربما كانت آثار المانوية فى تطور المسيحية فى اوربا (ومصر) اكبر من آثار الخوارج فى الاسلام . ولكننى لا أعقل أن اديبا فى اوربا يخرج كتابا عن تاريخ المانوية يناقش فيه مذاهبهم ويعالج أدبهم كما ناقش أحمد امين مذاهب الفرق الاسلامية أو كما عالجت سهير القلماوى أدب الخوارج . وكذلك ابن

لرومى او المتنبي لا يتصل بحياتنا وليست له قيمة «وسيلية» لنا اكثر من قيمة الشاعر الايطالى بترارك للانجليز . ويمكننى أن اعقل كتابا او كتبا تؤلف فى الانجليزية عن المانوية والمانويين وعن بترارك ولكننى عندئذ أجزم بأن مؤلفها ليس من أدباء الانجليز وانما هو من مؤرخيهم بل من مؤرخيهم الاخصائيين

• • •

هذا الانغماس فى الادب العربى الذى تدعو اليه كلية الاداب فى الجامعة ودار العلوم وكليات الازهر قد قطع الصلة بين ادبائنا وبين همومنا القومية . فأديبنا الآن يهتم بدرس ابن الرومى أو لمتنبي أو احد الخوارج أو الصوفيين اكثر مما يهتم بدرس مصر الماضية أو الحاضرة . ولذلك من الاصح أن نسمى هؤلاء الادباء مستشرقين بدلا من ان نسميهم أدباء . وهذا الاستشراق الذى نزعوا اليه هو ضرب من الاخصاء وهو اخصاء مفيد فى ناحيته التاريخيه — ولكنه مثل كل اخصاء يبعث على التحديد بدلا من التوسع وعلى الكبرياء بدلا من التواضع

ومن هنا هذه المجانة التى ينظر بها هؤلاء الادباء واضرابهم الى مسائلنا الاجتماعيه الحادة فانهم لا يبالونها بتاتا كانهم لا يعيشون فى مصر ولا يحبون المصريين . ففى مصر نحو عشرة ملايين فلاح رجالا ونساء وأطفالا يعيشون على الذرة والبصل ويكاد لا يخلو جسم واحد منهم من ديدان البلهارسيا ويسكنون فى مساكن ليس بها مراحيض ومع ذلك لا يجدون فى واحد من هؤلاء الادباء من يعطف عليهم أو يدرس حالهم . لا بل أن درس الخوارج أهم عندهم من درس هؤلاء الفلاحين

وكلمة أخرى أختم بها هذه الغضبة وهو أن هؤلاء الادباء لو كانوا يعيشون فى تركيا وألفوا مثل هذه الكتب لما وسع أتاتورك كمال الا أن يطردهم من بلاده باعتبارهم رجعيين يؤذون البلاد ويؤخرون تطورها ودفعها نحو الطريق التى تصبح فيها عضوا صالحا من الاسرة الاوربية المهذبة المتمدنة

خليل مطران وشعره

للاستاذ روكس زايد العزيزي

جسم ضاو نحيل ، ووجه واضح القسمات ، وجبهة عريضة وحاجبان منفرجان وعينان فيهما هدوء وثورة . وأنف طويل ، ضخم لو كان قطعة من المرمر لسهل جعله تمثالا ، ولو كان قطعة من الماس لثارت من أجل الحصول عليها حرب كونية . وذقن مغموز ، يدل على الطموح ، وشفتان تنطبقان وتتهدل سفلاهما لتدل على ميل صاحبها للصرامة وعدم الاكتراث . وصدغان صقيلان يدلان على افراط فى تقدير الحب ، وصمت غامض يشير الى أن صاحبه خلق للسياسة وغموضها

هذا هو هيكل مطران ، أتناوله اليوم بالنقد وليس مطران بذي مكانة غامضة ، فنضطر للتعريف به . فمطران يتمتع بشهرة تكاد تكون عالمية . يعرفه أدباء العرب ، ويذكره المستشرقون وهم يذكرون ألمع شعرائنا ، وأدبائنا . ولخليل مطران اسم من ألمع الاسماء فى شرقنا العربى . — شاعر القطرين — ولست أبالى بعد هذ الذي رأيت من عظمة خليل مطران فى عالم الادب . أن أتناوله بالنقد — خالى الذهن من كل ما يدور حول اسمه من هالات التعظيم ، وطفاوات المدح . ولست أخشى أن أجازف هذه المجازفة الخطرة ، وليس لى ما اعتمد عليه فى دراسه الخليل سوى ديوانه ، وبعض النتف عن تاريخ حياته ، — قد يكون الصواب حليفى ، وقد يكون الخطأ أليفى فى هذه الالمامة ، ولكنى أريد أن تعلم أنى مخلص الاخلاص كله فى ما أقول :

ماذا سجل خليل مطران على نفسه فى مقدمة ديوانه

سجل مطران على نفسه ، — فى مقدمة ديوانه — ما يلى

ا — انه ينظم شعره لامور أربعة :

ء — ترضيه نفسه .

ب — تربية قومه .

ج — تصوير نفسه .

د — مجازاة الزمن .

وأول ما يتبادر الى ذهنك وانت تلمس الديوان ، هذه الاسئلة :

هل أرضى الخليل نفسه فى شعره ؟ هل ربى قومه ؟ هل صور نفسه ؟ أكان شعره صورة حية ناطقة بازمات نفسه وهدآتها ؟ . وهل أثرت أشعاره فى قومه فجعلتهم أسمى مما كانوا ؟ وهل جارى الخليل زمنه ؟ ! ..

تمر هذه الاسئلة بذهنك ، واذا بها فجيعة ما بعدها من فجيعة . عندما تفتح الصفحة الاولى من ديوان الخليل ، فتواجهك فيها جيف استجداء لا تهفو اليها النفس ، ولا يستسيغ التأمل بها الحس فتقف حائرا فى الخليل ، وأخلاق الخليل . وتطرح على نفسك أسئلة لا عدد لها ، ولا جواب لها غالبا : ما هذا الرجل ؟ أهو رجل فوق البشر ؟ يحاول أن يصور الناس فيصور نفسه ، فيرى الناس ذلك منه ملقاً وتدجيلا ؟ ! أم رجل يستجدي الناس ، وجيوبهم لفقره ؟ وقديما كان الفقر آفة العلم ، والحلم ، والاخلاق ! أم رجل يحاول أن يكون فوق ما هو ، فتبدو مقاتل ضعفه لكل ذي عينين ؟ أم هو نائر يتشاعر ، فيهذي ، ويتمرد على نفسه فيتشاعر فى كل عرس ، وينظم فى كل جنازة ؟ أم هو شاعر موهوب ، يريد أن يتخلص من ضعف الشاعر ، فيرتطم مفلسا ، ويبدو غريبا ؟ أم شاعر جنت عليه الصحافة التى أحرفها ، فجعلته يتخذ الشعر حرفة ، كأن لا علاقة بين عواطفه والحوادث ؟ ! فهو ينظم الشعر لان الاحوال تتطلب ذلك منه كما يكتب الصحفى المقال الذى تتطلبه المناسبة ، لقاء أجريتنا وله ، وان كان يعاكس رأيه ، ويخالف مذهبه السياسى ! . . . .

لك أن تتصور الخليل واحدا من هؤلاء . ولك أن تتخيله مزيجا من هذه العناصر ، فانك لواجد فيه هذا المزيج المضطرب عندما تأتى على ديوانه قراءة ودرسا ! . . . .

الملق والاستجداء فى ديوان الخليل

هو ذا ديوان الخليل بين يديك ، فى الصفحة الاولى ، نموذج من الملق ، له رائحة تؤذى النفس « الى فخر رجال الزمن ؟ ! وبقيه أبدال الوطن ، صاحب العطوفة ، محمد شا كرباشا ، ونجله الكريم ، بغة الذكاء والعلوم « ؟ ! » محمد بك كنج ! . . . فى الصفحة ذاتها تجد ما يصدم الحس . « تحلية الديوان ، باسم الصفى الحميم ، الوفى ، عنوان كتاب المجيد ؟ » مثال النباهة والجد « ؟ » على بك المترلاوى . . .

وتقرأ فى صفحة ١ ، قصيدته فى ذمة الله ، رثاء الأميرة كاملة هانم ، كريمة صاحب الدولة الأمير حسين باشا كامل . فتشاهد ما يضحك ، ويؤلم فى الوقت نفسه . يضحك لأن مثل هذا القول لايقال فى رثاء بشر . ويؤلم لان قولا مثله يصدر عن رجل له من المنزلة فى عالم الأدب ما لشاعر القطرين .

من الملأ الأسمى على ذلك القبر ملائك حراس الفضيلة ، والطهر !

سجود على باب الضريح الذى ثوت ... به مصطفاة الله . كاملة البر ! . . .

وتنتقل الى ص ٦٠ فتسمع أغرب من ذلك فى مولد الكريمة الأولى للمرحوم نقولا توما .

يابنت أكرم والد ! ... واعف ربات الخدور !
وصفات أمك مثلت ... بك ، فاغتديت بلا نظير

لا أريد أن أعلق على هذا القول . فهو يعلق على نفسه . والقارىء الذى له أقل المام بالتحليل النفسى ، يدري ما وراء من دوافع ، واغراض نفسية مكبوتة . فان كان الشاعر يعطف على والدة الطفلة فله عذره ولسنا والحمد لله ممن يريدون ان يحولوا قلوب البشر قطعاً من المرمر ، ولكننا نريدهم ان يقفوا فى عواطفهم عند حد مقرر — لان للعواطف منطقاً يخالف منطق العقل : والا فلست ادرى والله أى منطق يجيز للمطران ان يجعل تلك المرأة أعف ربات الخدور ، نقول هذا وان كنا لا نشك لحظة فى سمو الخليل ، وعفافه . اجل لا نشك لحظة فى عذرية حبه . وقد يعذره القارىء يوم يعرف رأيه فى المرأة ، وفى الحب ، فافتح الديوان واقرأ فى الصفحة ال ٨٩ آية من تملقة للجهال فى قصيدته الاسرة المباركة .

فريدته وهى شمس الحمى ... تقر عيونكم الناظرة
تغذى النفوس بأقوالها ... وتشرب آدابها الطاهرة

وتمر يدك بالديوان فتقرأ فى صه ١٣٢ز قصيدة وسام الشفقة . فتجد القصيدة هزيلة . ولكن الاميره الكسندره لا بد لها من قصيدة فمن لهذا الموقف غير الخليل ، شاعر القطرين ، اليست الاميرة بقادرة على ان تقوم له بالدعاية ، فما باله لايقايضها المديح مقايضة؟ وماله لا يتقرب اليها بالفاظ موزونة لا تكلفه عاطفة ولا جهداً . انها تملك عناصر القوة الثلاثة . المال . والجمال . والجاه فليعفر الخليل وجهه بتراب قدميها ! ولينظم هذه القصيدة وليجعل خلالها تتحول وساما : وليجعل نجوم السماء تتساقط وتضحى جواهر لترصع ذاك الوسام . وليخسف هذا الكون وءا على الخليل اذا كانت الاميرة راضيه عنه ان يضمحل الوجود وتتساقط زهر نجومه

ولا اريد ان احيلك على قصيدته الى هذا الهمام عمر بك سلطان . انها آية فى الاستجداء واذا قرأت ما قاله فى تعزية محمد بك الشريعى ، صه ٢٨٢ فانك سائل نفسك فوراً : ماذا ابقى الرجل لمديح أم المسيح ، وهو الكاثوليكى القح ؟ وماذا أبقى للزهراء لو كان مسلماً ؟ فاسمع :

ضت عمرها لا يعرف الظن خدرها ... الى ان يكون الخير فيه فيهتدى
مليكة احسان ، ملاك طهارة ... سماء عفاف ، شمس بر وسؤدد

لا يعنيني ان تكون تلك المرحومة كما وصفها الخليل ، نزلت من سماء السموات منزهة من كل ما يشين ، اجـل ان ذلك لا يهمني ، ولكن الذى يهمني من الامر هو ان الخليل ليس، جاهـلا لعلم النفس فيجوز له ان يتغفل الناس ويتغفل نفسه الى هذا الحد

ويعذر الخليل قارئيه اذا قالوا ان الملق له حظ غير مبخوس فى ديوانه . فالهلال والنجمه ، ونعمة الزهر ، وعيد العمر ، كلها ملق واستجداء للعواطف . ولكن ملق الخليل من طراز غير هذ الطراز المبتذل الرخيص . انه ملق للاميرات والامراء . والباشوات . والبكوات ، والنابهين ، والاذكياء !..

تملق يلبس مطارف من روعة الشعر ، وجلاله . والغريب أن الخليل مع كل ملقه الذى رأيت ، يريد ان يوهم الناس ويخدع نفسه ، فيقول ان المديح والاطراء ليس من شيمه . ص ٢٦٣

«مالى ولا بيك أطرئه ، فما هى شيمتى ، وأبوك لا يعنيه ما يروى الورى عنه و من الأخبار .

أرأيت مايقول الخليل ، أن الرجل المسكين قد خلق واللطف فيه سجية ، فاستغل أصدقاؤه ومريدوه لطفه هذا استغلالا شنيعاً ، فاستحال مع الأيام لطفه ملقاً . وليست هذه أولى جنايات اللطف فى الشرق ! . . .

مطران والوطنية

قضى مطران شطراً من عمره صحفيا . وانخرط فى معمعة السياسة كاتباً . وعلمته السياسة أن يكون لبقاً ، يطعن طعناته من وراء الستار ، ويبوح بمكنونات نفسه من خلف حجاب من الرمز ، والايماء . ورأى مايعانى قومه من ذلة ، وصغار . وما تجيش به نفوسهم من عواطف ، وما يطمح اليه من حرية ، واستقلال ، وشاهد الى جانب ذلك أشلاء المنقوم عليهم يثقلها الحديد . وتطرح فى أعماق البسفور . ورأى قلم المراقبة التركية ينهال على الصحف فتقفر حقولها ، وتغل عناقها ، و تطيح رؤوس كتابها عند اللزوم ، فعلمته الحوادث أن يكون ناقما يكظم نقمته . وثائراً يجتر ثورته . وبائسا ينفجر يأسه بركانا من السخط ، مصب حممه على عبد الحميد ، ولكنه أجنح الى التاريخ يتخذ له من رجالاته أبطالا يصب عليهم جام غضبه . فهو يوم يبعث لقصيدته «شيخ أثينا» الى صديقه محمد بك أبى نصر ، انما ينفث فى كل بيت من أبياتها روحه المتألمة لذل قومه . الثائرة على جمودهم الساخطة على استكانتهم . وهو انما يكتبها بدمه . فينذر ما يشاء له الانذار ، يستهل القصيدة ببيت يحرز القلوب الجامدة ، ويثير الهمم الفاترة .

ياعبرة الدهر ! جاوزت المدى فينا ! . . . حتى ليأنف أن ننعاه ماضينا ! . . .

ويندفع مع عواطفه فيعديك بحماسته . وينقل اليك ثورة نفسه . وتراه بطلا يهزأ بالدهر وكوارثه وأحداثه ، ويطلب منها المزيد ، لعلها تكون منبهة لهذه الأمة الخاملة الذليلة ! . . .

فزد مصائبنا ، حتى تنبهنا ، تكن حياة لنا ، من حيث ترونا ! . .

واذ رأي قومه يتعثرون باثواب الذل ، ويتخذون من الصوم و الصلاة ملهاة لهم عن ذلهم الحاضر ، آملين نعيم المستقبل يهتف قائلا ! . . .

وليرجع الصوم لاأجر يصاحبه للصائمين ، على الذل المصلينا .

وعندما يشاهد هذه البهم السائمة . تلهو بأعيادها ، عن نكباتها وآلامها ، وتحترب على اخرتها قد اضاعت دنياها ، ينقم على الاعياد ، ويسخط على المعيدين

ولا يعد عيد قربان ، أينفعنا ذبح النعاج ؟ واعدانا [تضحينا] !

ويوم رأى ظلم عبد الحميد واتباعه لا يقف عند حد . ورأى قومه على ذلهم صابرين ، كأن الله لم يخلق لطاعته فى هذه الارض غيرهم من البشر ؛ وشاهد قلوبهم عادت لا تحس ولا تشعر كانها قطع من المرمر ، وابصر نفوسهم تتحول قذارة دفرة ، وشاهد ان مثل هذه الامة كالكبش المذبوح لايؤلمها السلخ ، عمد الى الطغاة يهددهم ويتوعدهم

انا لنصبر ، حتى تستتم بنا تأديب ظلمك ! او نقصى مذليا

واذا شاهد تخاذل الشرقيين ، واتفاقهم على ان لايتفقوا قال :

صرنا حيارى ، سكاري من تخاذلنا واسعفتهم يدانا ق تلاشينا

تالله اما غلبونا حيث باسلنا قضى قتيلا ، ونالوا من نواحينا

لكنهم غلبونا ، حين ملكهم ازمة الارض شادينا وراضينا

فما هم باعادينا ، خلائقنا - هى التى اصبحت - اعدى اعادينا

واذا ابصر احرار العرب يقتلون . وشاهد عبد الحميد لا يرعى فيهم الا ولاذمه ، وشاهد اعراضا تباح بسبب الجواسيس من العرب . يعمد الى قصيدة مقتل بزرجمهر ، تلك القصيدة الخالدة . التى لا تبلى الأيام جدتها . مر فى روعة خيالها ، وسمو تصورها ، ودقة تصويرها ، وجلال معانيها ، القصيدة التى تحكم للخليل بالشاعرية ولو لم يكن له سواها ! . . .

هم حمكوه فاستبد تحكما . وهم أرادوا أن يصول فصالا !

لكن خفض الأكثرين جناحهم ، رفع الملوك وسود الأبطال ،

واذا رأيت الموج يسفل بعضه ، ألفيت تاليه طغى وتعالى ،

ويوجه كلامه للعرب على طريقته الصحفية . مستعبرا الفرس وهو يقصد قومه

يأمة الفرس « ؟ » الاسود على العدى ! ماذا أحالك فى السلام سخالا ؟ !

كنتم كبارا فى الحروب أعزة . واليوم ، بتم صاغرين ضئالا ! . . .
عباء كسرى ! مانحيه نفوسكم ! ورقابكم ، والعرض ، والأموالا

أى أنتم أيها الاخوة المسلمون ، الذين تتخذون هذا الطاغية الها تعبدونه من دون الله ، تعظمونه خليفة وتقدسونه سلطانا ، وتمنحونه طاعتكم ، وحبكم ، وهو لا ينى يفتك برقابكم وأعراضكم وأموالكم هلا انتبهتم لهذا الوحش !

تستقبلون نعاله بوجوهكم ، وتعفرون أذلة اوثالا !

وكان يلتفت الى عبد الحميد مخاطبه بقوله

شر العيال عليهم وأعقهم لهم يزجمهم عليه عيالا ! .
ان يؤتهم فضلا يمن . وان يرم ثأراً يبدهم بالعدو قتالا !
واذا قضى يوما قضاء عادلا ضرب الأنام بعدله الأمثالا ! . .

وعندما يرى استبداد الملك وأنوثة الرعية يقول :

فلانت كسرى وما ترى تحريمه كان الحرام وما تحل حلالا ! ...

هو تقريع هائل . لو كان فى الأمة من يشعر أو يحس . وهى بطولة لا ننساها للخليل لو انه جهر برأيه وتعرض من أجله لنكبة ! . .

واذا رأى قصر عبدالحميد يعج بالجوارى العاريات ، وشاهد ذاك الرجل يشبع وحشيته بضروب الفجور ، وشاهد الفتيات لا يأنفن من ارواء نذالاته هتف بلسان ابنة بزرجمهر معاتبا الرجال الذين يتحملون هذه المخازى ، وجعلهم كلهم نساء ، لا يأنفون من رؤية العار والخنا .

ما كانت الحسناء ترفع سترها لو أن فى هذى الجموع رجالا ! ...

وتمر الايام بهذا الرجل فتكسبه اسقامه ومصائبه صلابة وعزما ، فاذا به كالمتنبي تتكسر النصال فى قلبه فتصبح درعا يدرأ عنه السهام السامة

ثباتي من السقم المقيم أفدته وصبرى ، مما أكسبتنى المتاعب

مطران والوصف والخيال

ليس الخيال مقصورا على الشاعر ، فالكاتب الذى ضاقت آفاق خياله ، تأتى كتابته سمجة مملولة . اذن فالخيال للشاعر والكاتب بمنزلة الجناحين للطائر ، فبالخيال يحلق الشاعر والكاتب إلى سماء التصور وبه يتصلان بمثل الالهام العليا ، بينما غيرهما فى حضيض من المادة لاصقون

ونحن عند ما نطالع اشعار المطران نرى حظه من الخيال ، حظا غير مبخوس . فهو واسع الخيال . بعيد التصور وانك لتطالع بعض اشعاره وكأنك تلمس ما يصف فيها لمسا . فاليك

هذه القطعة :

وليل به طفنا الجزيرة كلما ... تذكرته لا تدمع العين ، بل تدمى ! ...
كأن غبارا أحدثته جيادنا ... كسا الكوكب الدرى - من كدر - سقما
تسير مع النيل المبارك ضاحكا — ... لنا عن شبيه النصل فى كبد الظلما
ويرنو الينا عن بعيد بعينه — ... سراج رقيب . ثم يغمضها لؤما .
وتبدى لنا الأغصان شبه تحية ، ... وتستقبل الأرواح أوجهنا لثما
كأن لنا الدنيا وما فى سمائها . ... وما دونها ملكا . وان لنا الحكما

قوله فى قصيدة اشتباه ايضا :

مزاج رقيق ، وجسم نحيف . ... وقلب رفيق ، وظل خفيف
ولفظ لعوب ، ولحظ وثوب ، ... وعقل رصين ، ورأى حصيف .
كذاك خلقت . فكنت كما ... يشاء الصبى ، والضمير العفيف .
وليلة بدر صفا جوها ، ... وباح بسر الكون الخفيف
والقت بسمع ظلال الرياض ... لنجوى قلوب بهن تطيف .
لوح وتخفى كأن الاشعة آنا ... مرآة وآنا سجوف
فيلقى شعاع عليها نصيفا ... وينزع آخر عنها النصيف ،

أما قصيدة القسم ففيها وصف رائع وتحليل لاخلاق المرأة : وفى الاثر الباقى يصف نفساً حزينة هدمت جسم صاحبها السقام . وابلاه داء الغرام العقام :

يا قلب مات بك الغرام ! ... فعلى لقيتك السلام !
ما تنفع الكأس التى ، ... بقيت وقد فنى المدام .

وترى جمال الوصف، وسمو الخيال فى قوله

الله ! فى صدر وهى . ... وتقوست منه العظام !
خاو كجوف الغار تملأه ... المخاوف ، والظلام
سراجا حائلا ، ... فيه ينير ، بلا ابتسام !
روح تضىء على ضريح ... فى صميم القلب قام !

وما أروع هذين البيتين وصفا وخيالا !

رى مثل سهدى فى الكوكب ... احل به مثل ما حل بى ؟
يهيم هيامى من وجده ، ... ويهرب من مهده مهربى !

مطران والحب والمرأة ووحيهما له !

لا اخالنى مغاليا اذا قلت « ان الحب والمرأة هما اللذان امليا اروع اشعار مطران »

فمطران على عفة لسانه ، وسمو اخلاقه ، رجل مئناث ، يعيش للمرأة ، ويراها سر الوجود . وكيف لا يراها الخليل كذلك وهى ينبوع الحب ومعينه . والحب فى رأى الخليل روح هذا الوجود : اليس الهوى، روح هذا الوجود ، كما شاءت الحكمة القادرة ؟

والذى يراه دارس اسفار الخليل ان مطران قد اصيب بفجيعة غرامية فى طور من أطوار حياته حيث لا تسمح له تقاليدنا الشرقية بان يبوح به فرمسه فى اقصى طيات قلبه . وظل يعالج أتونه بين حناياضلوعه ، والأيام لا تزيده إلا حدة واستعارا الى ان تحول قطعا من الشعر الرائع الذى ينم على الخليل المتكتم الصامت ، ويدل على ان قلبه قد انصهر وعلى ان هذا الشاعر ذاق من لوعات الغرام ولذاته ما أوحى له بهذه القصيدة المنسوبة وقائعها لغيره « حكاية عاشقين» والحقيقة انها ترجمة حاله :

أحبك حتى لاسرور ولا منى ، ولا شمس ، الا ان أراك ، ولا نجما
أحبك حتى ينكر الحب رسله : جميلا، وقيسا ، والأولى استشهدوا قدما !
ولو لم تكن فى الموت سلوى اخافها ، لاحببت ـ حتى ـ الموت فيك، ولاذما !

واليك قوله الذى يدل صراحة على المجزرة الغرامية التى روعت قلبه فايقظته من الغرام قد حالت بينه وبين لذة الحياة : وها هو ذا ينادينا قائلا :

احباى ! انى مذ افقت من الهوي شقى . فكونوا ـ الدهر ـ فيه سكاري !
اذيبوا القلوب الداميات تصبباً ! ولاشوا النفوس الذاكيات شراراً !

وانك لتتخيل الخليل وقد أفاق من هواه كثر اسيلوس اليونانى يوم شفاء كريتون من جنونه فهو يود الرجوع الى أيام نعيمة المفقود

ما المرأة التى هى مصدر الحب ، وينبوعه ، فيراها الخليل كل مافى هذا الوجود فاسمع :

ت فى الحياة . وكاذب غير الهوي للمائت الملحود !
اما العظائم ، والعلى ، فمشاغل . خلقت من التفكير والتسهيد
لا تملأ القلب الخلى . ودأبها ، نهك القوى فى شقوة ، وسعود
ولعل غاية كل طالب رفعة ارضاء ذات سلاسل ، وعقود !

ويري الخليل فوق هذا ان الحب ضرورة لازمة ، ولا سيما لاصحاب النفوس الكبير

والحقيقة انه ضرورى للشعراء والفنانين ولكن هؤلاء يتخذون المرأة والحب وسيلة للانتاج ليس غير

والحب هو الذى يكسب الشاعر رقة العاطفة ، ودقة الاحساس ، وهو الذي يكشف له نواحى الضعف الانسانى ويجعله يتمنى تمنيات تعد من أروع الشعر ، ويجعله ينقم على الفقر ، مع ان الفقر على حد تعبير الافرنج « خطيبة الشاعر » والحب الذى جعل الخليل يرى فى الحمامة الهاتفة صورة لقلبه الذى افناه مر الدقائق ونبض الثوانى !

وليلة بت فيها | وقد جفانى رقادى !
تفنى الدقائق قلبي | وريا ، كورى الزناد
من الصبابة مهدى ، | ومن سقامى وسادي !
راعت حشاي بنوح ، | حمامة فى ارتياد !..

ولوعات الهوى هى التى جعلت الخليل يرى مثل سهده فى الكوكب . ومع كل تعظيم الخليل فليس مهد حبه فاسقا . ولا غرامه داعرا . ولكنه مثالى النزعة فاسمع :

وكم عرضت لى غانيات فعفتها . | وصنت ضميري ، واللسان المشببا .
وغال فؤادى البين الا بقية ، | قضى الحب ان احيا بها فاعذبا !

ويقول على ذمته انه كان موحداً فى حبه :

وأقسمت ما اشركت فيك ولم يكن | لى فى الهوى سوى التوحيد

والحب هو الذى أرانا نقمة الخليل على الطب والأطباء يوم رأى اخفاق الطب فى معالجة من يحب :

قد كذب الطب ، والطبيب ، الا ! | انهما علتان للبشر !..
مشعوذ طائف بشعوذة ، | احسر فى عقله ، وفى البصر !..
يحمل بلورة ليدرك ما | ندركه من مجرد النظر .

تلك هى بعض نعم المرأة والحب على الخليل ، وتلك هى بعض نقمها أيضا ! ...

آراء مطران الاجتماعية

قدمنا ان الخليل سامى النفس ، رضى الخلق ، متسامح . ولعل تسامحه هو الذى جنى عليه وصيره متملقا وهو يحاول ارضاء البشر كافة . وها نحن نعرض لآرائه الاجتماعية :

ا ـ رأيه فى الدين .

تعجب إذا رأيت مطران شديد السخط على رجال الدين ، ولكن عجبك يزول اذا علمت ان حادثة جرت له مع أحد رجال الدين جعلته ينقم عليهم ويطلب تجريدهم من السلطة ولا سيما تلك التى تخولهم السيطرة على الزواج وأخذ سخطه يمتد الى ان طلب الاستغناء عن رجال الدين البتة وهذه خلاصة الدين فى اعتقاده واعتقاد كل عاقل :

صدقوا رأس التقى الفعل فان كان قولا ، فهو زور . وافتآت
هكذا القوم وما تقواهم فقر يتلونها ، أو دعوات !

واسمع تقريعه لرجال الدين :

رسل المسيح ! الشاربين دعاءه ! الآكلين بلا تقى احشاءه !
المولمين عليه ، كل نهار ! . . .

أى القسوس اتى البنات فزوجا ؟ بعضا لبعض بالنشيد لينتجا ؟
فى « صيغة » نسلا من الاخيار ؟ !

والعدل يقضى بالخراج لقيصرا والصفح عن كل يسىء من الوري
هذه ديانته بلا انكار !

واذا شاهد دجل بعض رجال الدين ثار ثائره . وقال :

افذ بحكم ذاك المسيح لفدية ؟ ام تلك مأساة تعاد لكدية ؟
أم ذاك مصطبح ، ورشف عقار .

وينقم يوم يرى تحكم رجال الدين فى ضمائر البشر . وينادي بطرحه على خلاف عادته طالبا الغاء سلطة رجال الدين . ملحقا بهدم ما أقاموا من مراتب أو مناصب .

القى مبادئها وكلا خولا تعليمها ونفى الرياسة والعلى !
منها . ونزهها عن الاسرار ! . .

واذا شاهد من رجال الدين كزازة النفس ، وعدم التسامح قال

وارادكم لتعلموا وتبشروا وارادكم لتسامحوا ولتغفروا
ودعا الصغار اليه باستئثار !

ويوم يشاهد قصورهم كقلاع القرون الوسطى حصينة ، وبطونهم تكتظ بطيبات الحياة ، والمؤمنون ساغبون ، لاغبون ، يوجه اليهم أمر النقد واقذعه

ونذرتم لله بطنا مشبعا ويدا اذا مدت فكيما تجمعا
وعقيدة للشجب والانذار ! . .

وزهدتم فى غير ما ترضونه ورغبتم عن كل ما تأبونه
الاعلى قدر من الاظهار !

واذا رأي طائفيتهم وما فيهامن حماقة صارخة قال

وقسمتم دين المسيح مذاهبا تستكثرون مراتبا ومناصبا !
فأضيع بين تشتت الأفكار !

ويحتقر سلطة رجال الدين التى لا تقوم على الحب ، بل على التسلط المتزمت فيقول :

وجعلتم الكهنوت جيشاً غالبا وأقمتموه على الضمير مراقبا
وقتلتم حرية المختار

لا تنقضوا بيتاً لدي تكوينه وحذار من يتم الصغير بدينه
وحذار من بأس الهضيم حذار

هذى المذاهب كلها دين الهدى كأشعة للشمس افترقن الى هدى
والملتقى فى مصدر الأنوار

فانت تري أن خلاصة رأيه فى الدين انه يرى الدين عملا صالحا لا أقوالا مزخرفة وصلوات موزونة وادعية مبهمة ، وأسرارا غامضة تهم علماء الدين ولا تفيد ضمير البشرية قليلا ولا كثيراً

ويري أن سلطة رجال الدين وتدخلهم فى كل أمر من أمور حياة البشر ليس لها من دين المسيح ما يؤيدها وهو الذى نقم على السلطة وأسس دينه على التسامح والعطف هو ناقم على تدخل رجال الدين فى الزواج . ناقم على الطائفية . بل يذهب الى مدى أبعد ، وهو ان كل المذاهب فى نظره تنتهى الى غاية واحدة . وتتلاشى فى مصدرها الازلى وهو الله . وعلى كل ما فى آرائه هذه من حدة لابد لنا من التأمل فى الدوافع النفسية التى أوحت له هذه الآراء . فلقد رأى كاهنا كاثوليكيا يحاول باسم السلطة الدينية أن ينقض زواجا ابرم وانتج غلاما ، كاد يقضى عليه بأنه نفيل لو نجح ذلك الكاهن فى مسعاه . ونذكر أن مطران قد تذرع بكل أساليب البلاغة ، والمنطق والبيان لكى تحول بين هذا الكاهن وبين تحطيم سمعة تلك العائلة فأصر واستمر على إصراره فأوحت هذه الخشونة لمطران قصيدته الرائعة وآراءه التى رأيتها مسطورة فى ابياته ! ...

ب ـ رأيه فى المدنية

ما رأيه فى المدنية فما أظنه يسر انصارها . يري هذه المدنية رقا انسانيا يسعى اليه البشر طائعون فهذه المدنية التى بيعت فيها الأعراض بالأساور والحلى ، وهذه المدنية التى عودت بعض الأزواج أن يتاجروا بأعراض نسائهم وبأعراض ابنائهم وبناتهم فانه ليحتقرها ويحتقر زمنها . فاسمع قوله :

لك الخزي، من عصر يفاخر ما خلا وقد عود الاطفال فيه التسولا!
وسيمت به الابكار سوما محللا وباعت نساء ولدها واشترت حلى
والقى رجال بالبنوة فى الوحل

فتحترف الازواج بغى نسـاءها وتحترف الزوجات خلع حيائها
وولد خلت آباؤها عن ابائها يتاجر فى اعراضها وبهائها
وتنمو على خلق المفاسد والختل

كذا أدبت ليلى فطيما وعالها ذووها ليضحوا بعد حين عيالها
فتطعمهم من خزيها ما جنى لها وتكسوهم مما تعرى جمالها
وتحمل مافى العيش عنهم من الثقل

تصيد لهى عشاقها باحتيالها وتبتز منها أمها فضل مالها
فتنفقه فى روحها ودلالها وتقنى الحلى معتاضة عن جمالها
بأوسمة للقبح فى الشيب والعطل

ج ـ رأيه فى الزعامه

أما رأيه فى الزعامة . فيراها تظاهرا بالعطف على الضعفاء . ليلقوا بقيادهم الى زعيم يخدعهم . ولا يرعى فيهم عهدا

أيها الجهال كل منهم قائد تؤثر عنه الخدعات

د ـ رأيه فى العلاقات الجنسيه

ويرى أن علاقة الجنسين يجب أن تكون بريئة من اللمس والتقبيل

لئن جاز مس البكر أو ساغ لثمها بلا حرج مادام يؤمن ثلمها
فلم زهرة الروض التى هى رسمها اذا بذلت جفت ولو حين كمها
ولم تستعد زهوا وطيبا من الطل

ويرى انه لابد من معاقبة أولئك الذين يغررون بالفتيات ويسطون على أعراضهن

أيهتك عرض البكر وهو مخاتل ويسرق ما تحنيه زلا حامل
ويروي ابنه المسكين والعدل غافل فواخجلتا زان ولص وقاتل
ويكرم بين الناس اكرام ذي فضل . . .

مطران والرثاء وعاطفه الوفاء

لخليل مطران براعة فى الرثاء ، وهو وفى لاصدقائه ، وله عاطفة رقيقة تصدق وصفه لنفسه :

والذى درعه فؤاد رقيق فجريح أن يقتحم أو يقاحم ! ...

وانت اذا نظرت الى هذه الابيات وما فيها من روعة علمت أن الرجل يكاد يكون ممتازا فى الرثاء !

أنا فى الروض ساهر وهو نائم . بات فى قرة الدجى وهو ناعم !
كلما جئته - وقلبى باك - رق دمعى كمائه ، فهو باسم !
يا لعزمى من الاسى ولحلمى ! أسعدانى ! اعلى الرزايا الغواشم؟...
الامان ! الامان ! القيت سيفى وطويت اللواء تسليم راغم ! ...

ولله هذا البيت ما أبلغ تصويره

ان من سيفه شباب نضير ، فعيوب الشباب فيه مثالم ! ...

وتلمس وفاءه فى رثائه لسليم برقش

ويزيدنى أنس المجالس وحشة اذ لا أراك محدثا ونديما .

وانه ليمدحه أشرف المدح ، واعفه وابعده عن الاسفاف والاستجداء فى قوله :

وتحيل اكثر ما تحيل مجاهدا ، وتلين أكثر ما تلين رحيما !
وتصيب يسرك غير مهتم به ، وتقر عينك أن يكون عميما !
ولقد تكون من القناعة فى غنى ، وتكون فى نزق الشباب حكيما

أما رثاؤه للمرحوم ابراهيم اليازجى فآية فى صدق العاطفة ! ...

مطران والتحليل النفسى

للمطران فوق ما تقدم حظ من التحليل النفسى ، فها هو ذا يصور نفسية المومس عند ما ترى ذات البعل تتمتع باحترام الناس وعطفهم . يوم ترى طفل ذات مبعل تنهال عليه القبل وينعم بعواطف الناس وطفلها محروم من كل ذلك .

يتمزق قلبها حزناً ، فالخليل يصور نفسها ، ويقابل بين سرور الزوجة بقرب الولادة وحزن ، يقابل بين سرور تلك باهلال مولودها وحزن تلك بقوله :

تجف دمائى ما تفكرت أننى ، على وشك وضع والشقاء يحفنى
ولم أر حولى من معين ومحسن وكم أطلب الرزق العصى فأنثنى
وقد ناء بى عن قصده ثقل الحمل !

ألا لم هذا الطفل يحيا ولا أبا له أليشقى شقوتى ويعذبا ؟
كفى قلب أحنى الوالدات تحوبا وحاشاه أن يأتى فرياً إذا أبى
حياة الأسى والجوع للولد النغل
أتغنيك عن مهد بقية أضلعى ؟ ويغنيك عن شدو نواح تفجعى
وهل تتغذى من فؤادى المقطع وتشرب ماء من سواكب أدمعى
وهل تتردى العار للستر يا نجلى ؟ !

وتذهب فى قراءة هذه القصيدة الرائعة فترى الرجل يغوص وراء أدق خلجات النفس يصورها ويحللها !

مطران والقصه

قد يكون مطران قصاصاً ، قبل أن يولد شاعراً ، فالذى يرى قصصه الشعرية يحكم معنا أن الرجل خلق للقصة ، ولكن الأيام لم توائمه فاحترف الشعر حرفة . فهذه القصص تثبت قولنا :

ء — شهيد المروءة والغرام
ب — حكاية عاشقين
ج — الجنين الشهيد !

إنها تصرخ بأن الرجل قد ولد قصاصاً ومؤرخاً قبل أن يكون شاعراً . ولكنه تتبع الشعر فنبغ فيه نبوغاً يحسد عليه فشعر مطران يرتفع أحياناً فيسمو إلى ذروة الخيال والفن ، ويهبط أحياناً فيأتى فسلا مرذولا

مطروقات مطران

فاذا رأيت هذه الأبيات آمنت أن فى شعر مطران سخافات مبتذلة فاسمع :

قضى أبوك وقبلا مات والده وقبله مات أجيال وأجيال

فمثل هذا القول المطروق لا يرفع من قيمة مطران ، ولا يعلى منزلته . ولعل قول العامة « هذا كأس على كل الناس » خير من قول المطران هذا !

وقوله :

يا من أضاعوا ودادى ردوا على فؤادى

لا يختلف فى معناه عن قول العامة فى الرثاء :

ردوا اقليبى لا تحلوه ردوا اقليبى لا تروحو

يالله اشفقوا عا دموع عينى !

وانك لا تري فرقا بين قوله وقول العامة بتة :

فبكيناه من أسى والبكا للاسى دوا

قالت العامية

ريت البكا ما كان يمه وان كان للقلب الجريح علاج

واليك قوله هذا ولى الامل أنك سوف تقابل بينه وبين قول العامة الذى يليه :

كلنا يطلب الردى حيثما سعده التوى

. . . .

من غاب سعده قل وعده ما راحته فى غير لحده !

يايمة يا ميمتى ! ...

منافسة الخليل لشوقى وحافظ

لعل من حظ الادب العربى أن يوجد هؤلاء النوابغ الثلاثة فى عصر واحد ، وفى بلد واحد فلقد كان الواحد منهم يمدح رفيقه وهو يضمر له الحقد والمنافسة ، وكان ميلهم الى الشهرة عظيما وكل كان يحاول أن يكون المقدم. فيحتالون على الشهرة باستحثاث قرائحهم وكلهم يريد أن يأتى بالاعجاز فى شعره وبيانه ! وكلهم يحاول أن يأتى وصفه رائقا وأسلوبه جذابا وتصويره فذا ، فكان صراعهم الصامت هذا يشبه صراعا بين غوانٍ يتزاحمن على قلب رجل واحد ولقد فاق الخليل منافسيه بالوصف والتصوير ، والوصف من صفات الناثر ، وهو الى النثر أقرب منه الى الشعر ، وهذا مايؤيد قولنا أن الرجل ولد قصاصا قبل أن يولد شاعرا . وأن الصحافة قد جنت على شاعريته

وانت عند ماتقرأ نثر شوقى ، وحافظ . ونثر الخليل واجد معى ان الخليل يبذهما فى النثر . ويكاد ينخفض عنهما فى رصانة اللغة ودقة الاستعارة على أساليب العرب . ولعل ذلك عائد الى انه أغرم بأدب الغرب وحاول الانفلات من جمود اللغة العربية . فقوله هذا ما أظنه يرضى الذوق العربى .

ياعيونا تسقى العيون الرحيقا ! ...

وعهدنا بالعيون لا تسقى ولا تشرب ، الا فى استعارة متكلفة بعيدة .

وقوله : ولا عين الا بالحداد كحيل .

وكل ما يعرف أن الحداد يلبس لبسا ولا يكتحل به ، وقد غاب عن الناظم الفاضل ان الا كتحال والكحل من علامات المسرة والجمال ، ولاسيما عند العرب الذين ينظم لهم ديوانه !..

راى الخليل أن شوقى نال شهرة من أجل هذا البيت :

انما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا ،

فأخذ هذا البيت وحرفه وأجاد فيه أكثر من شوقى و ولكنه لم يشتهر شهرة بيت شوقى :

ممالك تبنى بالصوارم والقنا وتهدمها أوزارها والمعايب .

وسمع حافظا يروع الناس بمطلع قصيدته فى رثاء مصطفى كامل باشا

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا

فجاء الخليل فى حفلة اربعين مصطفى يلف هذا البيت لفاً ، ويهضمه هضما يكاد يخفى الاصل الذي نقل عنه فاسمعه :

اعلى مكانتك الاله وشرفا فانعم بطيب جواره يامسطفى

حرص الخليل على ضخامة ديوانه

الخليل حريص على أن يجعل ديوانه ضخما ، حريص على أن يجعله ٣٠٣ ثلاثمائة وثلاث صفحات وتلك نقيصه لو تخلص منها ونزه ديوانه من الملق والاستجداء لجاء شعره كسلاسل الذهب ، ولكن كيف يرضى هؤلاء الذين يريدون أن يروا أسماءهم مطبوعة فى الديوان ؟ كيف يظهر لنفسه ولشوقى ولحافظ انه طويل النفس الشعرى ان هو اكتفى بديوان صغير الحجم مختار القصائد سائغ الشعر . لا نقول هذا تشجيعا للخليل على ابادة منتجات قريحته ولكنا نريد أن نقول : انه ما دام قد عمد الى أشعار صباه فالقاها فى النار غير مشفق على ما تضم من عواطف حارة واحساسات جامحة فما احراه بالقاء هذا الملق فى اعماق الجحيم . ولكن الخليل حريص على ضخامة الديوان فليعذر

هل مثل الخليل عصره ؟ هل أدب قومه ؟ وهل أثر شعره فى جيله ؟

إذا كان الخليل يقصد بتصوير عصره وتمثيله ذكر مشكلاته ، وذكر حلولها ، وتصوير أبرز حوادثه، ليقف قارىء أشعاره فى الأيام المقبلة على كل ما يهمه من أمر أهل عصر الخليل ، فلا أكذب الله ولا أتملق الخيال انه قد أفلس إفلاساً ما بعده من إفلاس . وإذا كان يقصد تمثيل عصره كالعورة التى ذكرها فى بيته هذا :

« وشيمة هذا العصر مين وريبة فلا عجب أن يتعب الصادق البر »

فقد أجاد تمثيله ، فلم يرد أن يحمل سلم الطرحة على عرضه فى طريق الحياة الضيق الوعر ، فراغ كما يروغ أهل العصر ، وكذب عليهم بما يكذبون على نفوسهم ، ومدحهم بما يغضب الله والضمير ويرضيهم . فكان شعره مثالا لمدجل عصره لا صورة لروح العصر . وإلا فأين كل ما يجيش به العصر من أحداث ،وثورات نفسية ، ؟ اللهم انها مفقودة فى ديوان الخليل .

أما تربية قومه فانك لا تظلم الخليل إذا قلت أنه لا يصلح لهذه المهمة ، أجل انك لا تظلمه ، فان كان عن ظلم ، فالخليل هو الذى يظلم نفسه . فهل من التربية القومية أن تقول للجيل الناشيء :

أحباى إنى مذ أفقت من الهوى شقى . فكونوا الدهر فيه سكارى
أذيبوا القلوب الداميات تصبباً ، ولاشوا النفوس الذاكيات شرارا !

وهل يصلح لتربية قومه من يجعل المرأة هى كل ما فى الحياة ، وهل هدم الشرق إلا عبادة اللذة ؟

أنت الحقيقة فى الحياة وكاذب غير الهوي للمائت الملحود !

إذاً فلقد رأيت معى أن الخليل شديد الافلاس فى تمثيل عصره . مخفق إلى أبعد حدود الاخفاق فى تربية قومه ! فهو يصلح أن يصور نفسه لو استطاع ذلك . وسترى أيضاً أنه لم يصور نفسه ولم يرضها إلا بمقدار .

شخصية الخليل فى ديوانه

هنا الحيرة . وهنا اليقظة المروعة المؤلمة ، التى تمض القلب ، وترمضه . شخصية الخليل حائرة مضطربة غامضة فى ديوانه . انه لا يصور نفسه تصويراً خالياً من زخرفة التملق ، فاذا كان الخليل يتملق أصدقاءه ويداجيهم فما ظنك به مع نفسه أن يدللها ويربت على كتفيها ، يدور حول نفسه فيرسمها رسماً رمزياً حتى لتكاد تقول أن الخليل لا شخصية له . ما كنت أحاسب الخليل على هفوته تلك لو لم يسجلها على نفسه بين يدى ديوانه . ولقد كان تصوير الخليل لنفسه باهتاً وباهتاً جداً لا تكاد تراه بالمجهر . فالخليل فى ديوانه لا يغضب لنفسه فاذا غضب فانما يغضب للفضيلة ويغضب للمصلحة العامة ، وهذا منتهى ما يصل اليه السمو الانسانى فهذا قوله :

فيم احتباسك للقلم ؟ والأرض قد خضبت بدم ! ..
سدد قويم سنانه فى صدر من لم يستقم

ليس للخليل خصوم ولا أعداء ، فالذي يترتب على هذا أنه إنما يكون رجلا أسمى من الناس أو أنه رجل جبان . وأنا لا أشك فى سمو الخليل ، ولكن هل ولد الخليل سامياً مقدساً ، هل طهره الله فى بطن أمه كيوحنا المعمدان ؟ هذا ما أشك فيه ، لأنه لم ينزل به انجيل ولا قرآن ، وشكى — قاتله الله — من هذا النوع الملحف الحاد . الذى لا يقبل من البراهين إلا أن يضع يديه فى موضع المسامير والحربة ! . . . .

فالخليل إذا اجتاز دوراً خضع فيه لنزوات الشباب كلها . ولكنه اجتاز العقبات ووقف صخرة من الأخلاق :

ولم أر شيئاً كالفضيلة ثابتاً نبت عنه آفات البلى والمعاطب

ولا يؤخذ على الخليل غير هذا اللطف الطبعى الذي استغله الفقر ومصانعة الأصدقاء فأصبح ملقاً يزرى بأخلاق الخليل .

ولكن أين أشعار الخليل فى أيام شبابه ؟ أشعاره التى تصوره بشراً كغيره من الناس ؟ إنه عمد اليها ولا شاها ، وتقرب إلى الله يحرقها كفارة عن نزوات شبابه ، وهفوات صباه ، فأفلس فى تصويره لنفسه إفلاساً أسجله عليه . ففى هذا ينفض الخليل يده من ماضيه ويحاول أن يقف الهاً يحمل صليبه إلى جلجثة الشهرة باسماً لأنه قد أقنع نفسه أن قضيته قد عمت على الناس أجمعين . هنا يكاد الخليل يظهر جاهلا للطبيعة البشرية ، فان المعروف ان لكل ماض هفوات وزلات وجرائم ، والكامل من صان حاضره ، ونزه مستقبله . ليته عرف هذا ! إذاً لما حاول حاول أن يصور نفسه مسيحاً هبط العالم على رغمه فى القرن التاسع عشر سنة ١٨٧٠ فى بعلبك وأضطر أن يكون مسيحاً جديداً لم تشر إليه الكتب على رغمه أيضاً — فهو يولد من أبوين من طائفة الروم الملكيين ، ويدرس ويتخرج فى مدرسة الروم الكاثوليك البطريركية . ويحرر جريدة الأحوال فى بيروت ويهجر مسقط رأسه إلى مصر ويتخذها موطناً ، ويحرر فى جريدتى الاهرام والمؤيد ويصدر المجلة المصرية ، ويصدر « جريدة الجوائب المصرية » ثم يتخلى عن ذلك فينطوي على نفسه يستنزل الوحى والالهام . ويضحى رئيساً لجمعية الشعراء خلفاً لشوقى ويؤلف ويترجم لشكسبير ، كل هذا كان للخليل على رغمه طبعاً ولكن الخليل لم يصور نفسه ، بل صور الناس صور الذين يحيطون به . إنهم يحبون الملق فأسرف هو فى ما يحبون . . . .

أما أن الخليل قد أرضى نفسه فلا أظنه قد فعل ذلك أيضاً ، فالذى يلاشى أشعار شبابه أو قل شظايا قلبه لا أظنه يكون راضياً عن ذلك ولكنه يخشى أن يظهر للناس على حقيقته . . . .

إنه يحاول الشهرة ، ومع هذا تراه يحاول خديعة نفسه فيقول :

ولم أبال اسمى إن لم يشتهر او اشتهر

فهذا الرجل الذى يجامل أصدقاءه إلى أبعد حدود المجاملة ، ويتملقهم إلى أقصى حدود الملق ، ويتجاوز عن زلاتهم مع أنه يجب عليه أن ينبههم لها لم يخلق للنقد ، ولا يصلح أن يكون مهذباً لقومه كما قال فى مقدمة ديوانه . فاسمعه :

مجـاملاً أمثاله على الرخاء والغير

مجتنبـاً زلاتهم مغتفراً ما يغتفر ! — وما لا يغتفر أيضاً ! —

إذاً فالخليل ليس بذى شخصية واضحة ، ليس بذى شخصية جبارة يفرضها عليك فرضاً ، ولـكنه ذو شخصية غامضة حائرة ، فيها لطف وتسامح وكرم أخلاق ، وعفة لسان ، وسمو نفس . .

إنها كلمة سريعة أسأل الله أن أكون قد وفقت لما فيه الحق !

عجلون — شرق الاردن

العزيزى

الشخصية

ماهى ؟ ماذا يقويها ؟ ماذا يضعفها

لسلامة موسى

فى تاريخنا الحديث شخصيات كبيرة قد بلغت مراكز سامية فى الامم سواء فى السياسة أم فى الثقافة بحيث يكفى ان نذكر الاسم حتى نمثل فى أذهاننا الشخص. ونمثله كبيرا بقدر تأثرنا باعماله. فان سم غاندى أو نابليون أو سعد زغلول أو قاسم أمين أو غير هؤلاء من القادة يجعلنا نشعر بشخصية فذة حتى ولو لم نلتق بها فى حياتنا . ذلك أن كلا منها قد ارتسمت فى أذهاننا بمجهودات معينة تجعلنا لانخطىء فى تمييزها

ومع أن هذه المجهودات تختلف بل احيانا تتناقض كما نرى فى نابليون وغاندى فانها تشترك فى أن أصحابها يقصدون الى غاية كبري أو يخدمون قضية عظمى . حتى أن كلا منهم ليفنى فى هذه الغاية أو فى هذه القضية . واذن نستطيع أن نقول ان الشخصية العظيمة فى التاريخ انما تتكون بالقصد الى غاية أو بالخدمة لقضية . وهى تكبر بمقدار أهمية هذه الغاية أوهذه القضية

ولسنا نبغى هنا تحليل مثل هذه الشخصيات. أولا لان كل حالة تحتاج الى تحليل خاص . وثانيا لان الجمهور لا يمكنه أن يكون كله من القادة . وانما نقصد الى تحليل الشخصية كما هى فى أشكالها المتواضعة : فى الرجل والمرأة والشاب والفتاة، فى المتجر والمصنع والمكتب .فان لكل هؤلاء مع تواضع المكانة التى يملأونها شخصيات مختلفة نتأثر بها كراهة أو حبا او احتراما أو احتقارا

وعظيم جدا أن يكون لكل منا غاية عظمى نقصد اليها ونرصد لها حياتنا . وليس أحد ينكر أن مثل هذه الغاية تكبر شخصيتنا وتزيد سعادتنا ولكن مثل هذا القصد سيبقى امنية بعيدة عن جماهير الشعب ولذلك نحن نبغى هنا من كلمة الشخصية ما ينتظر أن نراه فى الرجل والمرأة العاديين الذين لا يجديهما أن نضرب لهما المثل بنابليون أو غاندى أو الاسكندر المقدونى

« * »

الشخصية كلمة نسمع عنها كثيرا ولكنا نعجز عن تعريفها . فنحن نشير الى أحد الناس بانه

« ضعيف ليس له شخصية » ولكننا نكاد لا نعرف ماذا يراد بهذا الكلام سوى أن هذا الشخص ضعف شخصيته لن يستطيع أن يخدمنا أو حتى يخدم نفسه اذ ليس له التأثير المطلوب فى اقناع الآخرين

ولكن هذا الكلام على عمومه وايجازه يدل على ما نقصد من معنى الشخصية : فانها مجموعة الصفات التى يمتاز بها شخص ما فى معاملة الاشخاص بحيث يؤثر فيهم تأثيرا يؤدى الى نجاحه سواء فى صناعته أم فى حرفته أم فى علاقاته مع الافراد. ولكن التعاريف لا تؤدى ماتؤديه الامثال ولذلك سنضرب امثالا تدل على قوة الشخصية أو ضعفها او انعدامها . ففى البيت مثلا نجد أن الطفل الذي تركت له حرية الحركة واللعب يمتاز بشخصية لا نراها فى الطفل المقيد الذى رسمت له أمه أو مربيته طريق السلوك . فالأول يقظ متطلع له اراء مستقلة والثانى خاضع ينتظر الرأى من أمه أو مربيته . ومن هنا نرى البذرة الاولى للشخصية فى المستقبل

ولكن يجب الا نخدع أنفسنا بان الشخصية تتكون من الحرية المطلقة فانها أيضا تحتاج الى قيود ولكنها قيود يطلبها الواجب الذي يفرضه الشخص على نفسه . وهذا نراه فى المقارنة بين شخصين احدهما يعامل الناس « بلا تكليف » فيهمل ايماءات الاحترام فى الحديث والمرافقة . والضيافة والاجتماع . والثانى يكلف نفسه هذه الايماءات . فاننا نشعر بان للثانى شخصية ليست للاول . فان الاول لا يبالى « تكليفا » اذا حادثناه قطع علينا الحديث « بلا تكليف » ورفع صوته او تركنا قبل الوصول الى نتيجة وهو يسير على هذه المعاملة مع رؤسائه ومع أفراد أسرته بل مع خطيبته وأفراد اسرتها ومع زبائنه اذا تاجر . واهماله « للتكليف » يجعله سريعا فى الخصام أو الخلاف ولكنه بطىء جدا فى المصالحة سريع فى انتقاد الناس ولكنه يغضب اذا انتقده آخرون

فمن الجهة الواحدة رأينا أن الطفل الحر أكبر شخصية من الطفل المقيد . ولكنا رأينا أيضا أن الشاب المطلق أقل شخصية من الشاب الذى يقيد نفسه بالتكاليف . وليس هنا تناقض . فان الشاب الذى يراعى التكاليف انما يراعيها بارادة نفسه كنتيجة للمعاملة بينه وبين الناس . وهو قد وصل اليها برأيه بعد أن استنتج من المعاملات المختلفة ان مراعاة هذه التكاليف تعود عليه بالسرور والفائدة . والهيئة الاجتماعية لا تقيدنا كما تقيد الام او المربية ابنها بأوامر ونواه تعوق نمو شخصيته

« * »

وهنا يجب أن نزيل شبهة وهى أن الثقافة تزيد الشخصية قوة . فان العكس احيانا هو الاقرب

الى الصواب . وذلك ان الرجل المثقف يعتاد الانفراد بالكتاب . ويتلبس بطباع انفرادية . ولكن الشخصية تتكون بالاجتماع وتتلبس بعادات اجتماعية فالرجل الذى يقضى معظم وقته فى مكتبه وعيناه على كتابه قد يتعمق فى درس الفلسفة او التاريخ او الكيمياء أو الفيزياء . ولكنه يعود اسوأ الناس فى معاملة الناس من حيث التأثير فيهم وأقناعهم بما يريده . فانه عندما يتحمس لنظرية يتكلم كالاطفال ويقطع الحديث هنا وهناك ، وما يعزى من السذاجة الى العلماء انما يقصد به جهلهم لاحوال المعاملة

وليس الكتاب مجال الشخصية . وانما مجالها المكتب مع الاقران أو المتجر بين الزبائن أو البيت بين الاسرة . لان الشخصية مجموعة صفات اجتماعية تنشأ من معاملة الناس ويقصد من تقويتها النجاح فى هذه المعاملة

ويمكننا أن نقارن بين شابين احدهما قضى عمره فى المدارس وقد حصل على البكلوريا والآخر لم يحصل الا على الشهادة الابتدائية . ولكنه بدلا من أن يقصد الى المدارس الثانوية قد التحق بعمل فى وظيفة حكومية أو تجارية . فاننا نجد الاول شابا خاما ليست له شخصية فى حين أن الثانى ـ لانه قضى نحو اربع سنوات فى معاملة الناس ـ يعرف كيف يؤثر فينا . فهو يحادثنا فى نظام بلا حماسة وهو اذا خاصم احدا دبر الطريق لمصالحته . وهو اذا تحدث الى الزبون عرف كيف يعالجه بنية الوصول الى صفقة مفيدة . وكل هذه صفات اجتماعية لا نحصل من المدرسة الا على القليل منها . ولكننا نحصل عليها كلها من الدنيا من معاملة الناس . ولذلك يجب الا ينخدع أحد ويعتقد أن الشخصية تحتاج الى ثقافة ودرس لان ارجح الظن ان الثقافة والدرس يؤخران احيانا نمو الشخصية لانهما يعودان الشخص الانفراد وكراهة الاجتماع

* * *

وأظن أننا إلى هنا قد كونا فكرة عامة عن الشخصيه فلننظر فى العوامل التى تقويها أو تضعفها

وأول ذلك بالطبع البيت ففى البيت تتكون البذرة الاولى للشخصية السيئة أو الحسنة . فاذا كان البيت معهدا حرا للاولاد يرأسه ابوان يتجنبان التدليل والاضطهاد معا ويسيران فى أنصاف ونزاهة مع الاولاد فان هؤلاء ينشأون احرارا ينظرون الى الدنيا نظرتهم الى هذا البيت أى نظرة الحب والاحترام . وتتكون لهم تلك الشخصية التى نمت فى جو من النظام والاخلاق الحسنة

وقد قلنا ان الشخصية تتكون من الاجتماع أو من هذه التكاليف التى يطلبها الاجتماع . ولذلك يجب أن نجعل أولادنا يعتادون هذه التكاليف فى غير مشقة ولا اعنات . فالصبي أو الصبية يجب أن يواجه الضيف ويؤدي له بعض الخدمات . ويجب أن يأكل فى مواعيد الوجبات المنظمة حتى يعرف كيف يعالج جوعه ويضبطه إلى ميعاد الوجبة

فان فى ضبطه لجوعه ضبطا لشهواته فى حالات أخرى واعتياداً للمراقبة النفسية . ويجب أن ينال نفقته بالشهر بل من الحسن أن يكون له دفتر فى صندوق التوفير حتى يعتاد المسئولية المالية والتمييز بين الايراد والمصروف كما انه يجب أن يكلف الصبيان واجبات منزلية سواء فى شراء الحاجات أم تنظيف الغرف أم الطبخ أم الخياطة فان هذا التكليف يجعل الصبي أو الصبية مسئولة كأنها عضو عامل فى الأسرة . ويعود البيت بهذه التكاليف كأنه هيئة اجتماعية مصغرة يشعر أعضاؤه كأن عليهم واجبات . فلا يتأففوا من مثل هذه الواجبات عند ما يخرجون إلى العالم ويحترفون بعض الحرف . ثم تشجيعهم على لقاء الضيوف وايناسهم يعودهم الايناس والملاطفة مع سائر الناس

وأسوأ مكان لتربية الشخصية هو البيت الفوضوى . أعنى ذلك البيت الذى يأكل فيه الصبيان وينامون بلا مواعيد والذى يفعلون فيه ما يشاءون بلا تكليف فلا يرحبون بضيف ولا يبالون نظافة الغرفة أو ترتيب أثاثها . بل ربما يجيزون لأنفسهم أن يأكلوا فى غرفة النوم ولا يعرفون أى واجب منزلى يقومون به « لأن هذا من شأن الخدم » فان مثل هؤلاء الأولاد ينشأون بلا شخصية . لكل منهم نفس غير منظمة لا يحسنون اللقاء ولا التعارف ولا أداء الواجب ولا المنادمة . إذا حادثناهم قطعوا علينا الحديث وإذا حدثوناضحكوا من فكاهة يروونها قبل أن نضحك . يسرعون إلى المخاصمة ويبطئون فى المصالحة يعرفون الثبات على العناد ويجهلون المعالجة للتسوية

* * *

وأسوأ ما فى البيت ان المرأة المصرية ليس لها شخصية والواقع ان البيت هو أسوأ مكان ــ سواء فى الشرق أم فى الغرب ــ لتربية الشخصية فى المرأة . فقد سبق ان قلنا ان الرجل المثقف قد يكون ضعيف الشخصية لأن اكبابه على الدرس يجعله ينفرد كثيرا ويعتزل الناس الى مكتبته أو الى معمله ولما كانت الشخصية تتكون بالاجتماع ومعاملة الناس فان هذه الناحية الاجتماعية تضعف فيه . ومثل هذا يقال أيضا عن المرأة فى المنزل اذ كيف يمكنها أن تربى شخصيتها فى المطبخ ؟ والاجتماع فى منازلنا قليل أقل جدا مما يجري فى المنازل الأوربية . ولذلك فان المرأة الأوربية تستطيع أن تحقق شيئا من الشخصية حتى عند مالا تحترف حرفة حرة بما تمارسه من الضيوف الذين يختلفون الى منزلها وبما تقوم به بنفسها من المعاملات التى نصون نساءنا عنها احيانا

ولكننا مع كل ذلك يجب أن نقول ان البيت ليس المكان الحسن لتربية شخصية المرأة . وليس فى هذا مايسىء الى البيت كما انه ليس فى قولنا ان الاكباب على الدرس والانفراد فى المكتبة ينقصان الشخصية مايسىء الى الدرس . فاننا لانستطيع أن نجمع الميزات كلها فى الشخصية . ونحن

الرجال انما نـكسب القوة فى شخصيتنا بالحرفة التى نحترف والتى تجبرنا على معاملة الناس والاجتماع بينهم فى شئون مختلفة . والمرأة كذلك تتكون لها شخصية قوية حين تحترف حرفة حرة

* * *

هل يمكن المدرسة أن تكون الشخصية ؟

لقد قيل كثيرا ان شخصية المدرس تؤثر فى التلاميذ وهـذا حق . كما ان شخصية أى انسان منا تؤثر فيمن حوله تأثيرا حسنا أم سيئا . بل يزيد التأثير من المعلم فى التلاميذ من حيث أن كل تلميذ ينظر اليه نظرة اكبار تدعو الى المحاكاة بقوة الايحاء . فالمدرس يوحى بهندامه ونغمة صوته وايماءاته ومواظبته وتدقيقه فى كل هذه الصفات فى تلاميذه . فاذا كانت نفسه غير منظمة يغير المواد بلا سبب ويتأخر عن المواعيد وليس بينه وبين التلاميذ « تكليف » أوحى أيضا هـذه الصفات السيئة الى تلاميذه

وقوة الايحاء فى تكوين الشخصية كبيرة جدا فى المعلم والأبوين والأصدقاء والأشقاء والزملاء بل نحن نعرف احيانا حرفة الرجل باخلاقه وايماءاته التى اكتسبها من زملائه . ولذلك ينتفع التلميذ بشخصية المدرس للايحاء الذي يبعث المحاكاة . كما ينتفع أو يستضر من هـذا الايحاء نفسه من معاشرة ومزاملة سائر التلاميذ

وبعد هذا نجد أن المباريات الرياضية تكوّن جزءا كبيراً من الشخصية . فان الجماعة فى المباراة الرياضية تكلف نفسها واجبات جماعية وفردية تجعل كل شخص مسئولا أمام نفسه وأمام الجماعة . فيتعلم اليقظة والمراظبة والجد والتعاون وحصر الذهن وتوجيه القوة . وهو يتعلمها فى سرور وقت اللعب . فلا تبرحه وقت العمل فى المكتب أو الدكان أو المصنع لأنهـا انغرست فى شخصيته ومن هنا الفائدة فى تأليف الجمعيات فى المدرسة لأن تنظيم الجمعية يستخلص من كل فرد صفات لا يستخلصها الدرس فى الكتب . كما أن المدرسة التى تجمع بين الذكور والاناث فى بعض الفترات من أعمارهم تزيد شخصياتهم أكثر من المدرسة التى تقصر التعليم على أحد الجنسين . لأن الشخصية كما قلنا تنشأ بالمعاملة الاجتماعية وبترقيـة الغرائز الاجتماعية . فالشاب أو حتى الصبي الذي يعامل الجنسين فى المدرسة يجب أن تكون شخصيته أكبر وأرقى من الشاب أو الصبى الذى لا يعامل سوى جنس واحد

لقد سبق أن أشرت الى أن الحرفة تكون الشخصية وهنا يجب أن نذكر أن الطالب فى إحدى الجامعات الامريكية يعيش عيشة مزدوجة . لأنه يتعلم فى الجامعة من جهة ويعمل فى إحـدى الحرف الحرة لكى يكسب . وهذه الحرفة تكسبه شخصية قوية كما أن الدرس يكسبه ثقافة واسعة وحبذا الجمع بين الاثنين لو كان مستطاعا

أعرف صديقا أمريكيا سافر الى الولايات المتحدة قريبا لرؤية زوجته وأولاده فلما سألته عنهم قال لى انه لم ير أولاده الكبار لأنه هو قصد مع زوجته وأولاده الصغار الى مصيف فى الشمال، أما ولداه الآخران فلم يستطيعا ترك عملهما ليلحقا به فى المصيف. ذلك أن كلا منهما يخدم فى متجر زيادة الى التعلم فى الجامعة. وهما بهذه الخدمة يكونان شخصيتهما ويعرفان الدنيا التى لا يمكن أن تعرف على الوجه الصحيح من الكتب والمحاضرات

* * *

عند ماننظر فى الظروف المحيطة بالشاب أو بالفتاة المصرية نجد أن كثيراً من هذه الظروف يحول دون تكوين الشخصية أو ينقصها عما كان يمكن أن تبلغه لو كانت هذه الظروف مختلفة

فمن الجهة الواحدة نجد أن البيت هو الوسط الكلى الذى تعيش فيه المرأة المصرية. وهو أسوأ الأمكنة لتربية الشخصية. وقليل من المقارنة بين سيدة مصرية قد احترفت التعليم وأخرى فى سنها ومكانتها قد اقتصر عملها على أن تكون ربة بيت يبين لنا الفرق بين الشخصيتين. ومن هذه الناحية نقول ان الفتاة المصرية بيتية اكثر من الفتاة الاوربية وهى لهذا السبب نفسه أقل شخصية وليس هذا طعنا فى البيت لأننا كما سبق أن قلنا لا يمكننا تحقيق جميع الميزات لأننا نشترى بعضها بثمن بعض آخر منها

وانعدام التعليم المزدوج ــ للفتى أو الفتاة ــ فى بيئاتنا المدرسية ينقص الشخصية لأنه يجعل الفتى المصري ينشأ وهو يجهل معاملة الفتاة اذ هو قد عاش طول عمره بين أقرانه من الصبيان أو الشبان فلا يعرف كيف يجامل الفتاة. ثم هو عند مايخرج الى ميدان العمل لا يجد ذلك الاختلاط بالجنس الآخر الذي يجده الشاب الاوربى فيبرز النقص فى شخصيته بروزاً كبيرا. كما يتضح هذا عند لقائه لاحدى السيدات أو الآنسات وحين يشعر أنه مطالب بمجاملتها. وهذا اللقاء هو محكنا جميعا فاننا نضطرب ونرتبك فيه سواء أكنا رجالا أم نساء وشخصيتنا فيه على أحطها

والشاب والفتاة الاوربيان اللذان مارس كل منهما الرقص فى حفلات عامة قد نمت عند كل منهما شخصيته أو على الاقل الشخصية الجنسية. وهما يسلكان فى لباقة ورشاقة لا نبلغهما نحن فى بعض المواقف الخاصة. وأعود فاقول ان هذا ليس اطراء للرقص ولكنه تقرير لقيمته من ناحية الشخصية فقط

ثم هذه الشخصية نفسها لا تفوتنا فى الزواج لأن نجاح الزواج يتوقف الى مدى بعيد على ادراك الرجل للمجاملات التى تطلبها المرأة، وعلى ادراك المرأة للمجاملات التي يطلبها الرجل. وما هذه المجاملات سوى عادات قد اكتسبت بالمرانة من الاختلاط بين الشبان والفتيات سواء فى المدرسه أم فى المعاملات أم الرفقة أم الرقص

ان مما لاشك فيه أن بعض الخيبة فى الزواج ينشأ من نقص الشخصية سواء فى المرأة أم فى الرجل

* * *

خلاصة ماتقدم تثبت أن الشخصية تتكون بالاجتماع واننا نزداد شخصية بمقدار اختلاطنا بأوساط مختلفة من هذا الاجتماع لأننا نتعلم طرقا ومعاملات ونكتسب اختبارات فى تناول الأشياء ومعالجتها تجعلنا نختار اليقها للنجاح والتأثير فى الغير . ومن هذه الناحية نستطيع أن نقول ان تأليف الجمعيات المنظمة يكبر الشخصية

ولننظر مثلا فى جمعية الشبان المسيحية. وأنا أذكرها لأنى أعرفها . فهنا نجد نظما مختلفة للالعاب ولجانا مختلفة تدير العمل أو تشرف عليه . وأعضاؤها هم أعضاء الجمعية . كما نجد قسما للصبيان قد أنتظمت له لجان أخرى

وما هى اللجنة ؟ هى جماعة منظمة لدرس موضوع أو للقيام بعمل مشترك قد يكون رحلة الى القناطر أو تمثيل درامة أو استقبال ضيوف . ففى هذه اللجان نجد جماعة من الشبان قد اشتركوا وهم خاضعون لنظام فى المناقشة . وغايتهم الوصول الى نتيجة قد طلب اليهم المحافظة على الميعاد والنظر السابق لموضوع الدرس والحديث المهذب . وهذه الأخلاق (أو العادات) تؤلف الشخصية وتؤدى الي النجاح . لأن كل عضو قد اكتسب بهذا الاجتماع خبرة فى المعاملات وطريقة فى المجاملات ينتفع بها فى تجاربه الاجتماعية أو وظيفته أوحتى فى بيته مع زوجته وأولاده أو مع اخوته وأبويه. لأن الرجل فى بيته يؤلف لجنة ومن الحسن أن تكون لجنة منظمة

واذا كنت أنتقد شيئا على هذه الجمعية فهو تقصيرها فى عقد حفلات للاوانس والشبان كما تفعل جمعية الشبان فى الاسكندرية . فان هذه الحفلات قد تعلمنا كيف نعامل بعضنا بعضا فى مجاملة وملاطفة بلا ارتباك وبلا ارتعاش . ونحن نعلم الشاب المصرى شيئا كثيراً ونكبر شخصيته حين نعلمه كيف يقدم فنجان الشاي لآنسة مصرية فى لباقة ورشاقة وبالفاظ المجاملة والملاطفة . فانه سينتفع بهذا الموقف عند مايخطب فتاة أو حتى حين يقدم على طلب وظيفة كما ستنتفع الفتاة أيضا. بل ان الاحترام المتبادل بين الجنسين يزداد

* * *

خلاصة القول أن الشخصية تتكون من عادات اجتماعية مهذبة تجعل الشاب أو الفتاة يجابهان المواقف الاجتماعية مجابهة تؤدي الى النجاح والتأثير الحسن فى الأشخاص الذين نقابلهم . وهى أى الشخصية تنعدم بانعدام الاجتماع وتنقص بقلته وتزداد بكثرته . ونعنى اجتماعا منظما يطالبنا بالمسئوليات ويجعلنا نحاسب أنفسنا ونربيها بالألفاظ المهذبه والايماءة الرشيقة والهندام الحسن .
ووراء كل ذلك لانقول عقل فهيم بل قلب فهيم يدرك عند اللقاء، كما لو كان بالبصيرة، السلوك الواجب فى الموقف المعين

تطور الوطنية

وقيمتها الاخلاقية فى العصر الحديث

لسلامه موسى

اذا تأملنا لفظتى العرب والعجم شعرنا منهما بهذا الاحساس التفيضلى للوطنية . فان لفظة « العرب » قد اشتقت أوقد اشتق منها الاعراب أى الافصاح والكلام . فى حين أن لفظة « العجم » أى الاجانب قد اشتقت أو اشتق منها العجمة أي الخرس ومنها الحيوان الأعجم الذى لاينطق . وفى كل أمة تقريبا تجد من الالفاظ ما يقابل هاتين اللفظتين . فان غير الرومان كانوا « برابرة » . والى الآن تعنى لفظة دويتش (الالمان) الناس . وكأن غير الألمان ليسوا من الناس

بل أن الأديان القديمة كانت آلهتها وطنية ولم تكن عالمية . فان آلهة مصر (قبل اخناتون) كانت مصرية صميمة . ولذلك كان الدين والوطنية يتحدان . أما الآن فالحال غيرذلك . لأن الدين — كالاسلام اوالمسيحية — يدعو الى الأخاء البشرى فى العالم كله وإلا يفضل عربى على عجمى . وأن جميع البشر سواء أمام الله . ولكن هذا السمو فى الأخلاق يناقض الوطنية التى تقوم بكل صراحة على ايثار الوطن المعين على سائرالأقطار الأجنبية . وقد رفض اليهود التسليم بهذا التناقض فان وطنيتهم تطابق ديانتهم ولا تناقضها . ولذلك لايمكن أحداً منا — المسيحى أو المسلم — أن يعتنق اليهودية إذ لسنا يهوداً بالدم

* * *

ونحن لنا ـ مسلمين ومسيحيين ـ نظام مزدوج للاخلاق . فكل منا مطالب من ناحية الدين أن يقول بالأخلاق العالمية وأن ربنا لايحابى وطنا على آخر واننا جميعا سواء أمامه . ولكن كلا منا مطالب أيضا من ناحية الوطن أن يقول بالقومية وبأيثار بلاده على أى بلاد أخرى . وهذا النظام المزدوج للاخلاق كثيرا ما يبعث القلق فى النفس . لأن الضمير عندئذ يحدثنا بلغتين لغة الدين ولغة الوطن فينقسم على نفسه

وكما يحدث للمريض النفسى حين يقوم فى نفسه صراع بين ارادتين متناقضتين كذلك يحدث للوطنى المتدين مثل هذا الصراع . ففى بدء دخول المسيحية فى أروبه كان المسيحى الجديد يقف

متردداً بين أن يكون رومانيا وطنيا يعبد الامبراطور ويقاتل من اجل رومه أم يعود مسيحيا لايعبد غير الله ويرفض القتال . وقد حدث مثل ذلك بين المسيحيين الجدد فى اليابان . بل لقد رأينا هذا الصراع فى الحرب الكبرى حين رفض بعض الانجليز أن يتجندوا بحجة أن المسيحية تطالبهم بالا يقاتلوا. وقد أطلق عليهم أسم Gonsciencious Objectors أى المعارضين بحكم الضمير . فهؤلاء قد قام فى نفوسهم صراع : أيهما أحرى بالولاء الدين أم الوطن وأيهما أولى بالتضحية ؟

.*.

ان القلق النفسى الذي ينشأ من هذا الصراع يتضح عند ما ننظر الى سلوكنا . فاننا من حيث النظرية نقول بالولاء للدين . ولكننا من حيث العمل نحمل السلاح وندافع عن الوطن . ولا نكاد نعرف رجلا يجرؤ على أن يقول ان الوطن فوق الدين . فان كانط يقول : « لاتعامل انسانا كأنه وسيلة لأن كل انسان هو غاية فى نفسه » وهذا هو النظر الدينى . ولكننا نجد رجلا المانيا آخر يكاد يكون الوحيد فى دفاعه عن النظر الوطنى هو هيجل . فانه يقول بايثار الاخلاق الوطنية على الاخلاق الدينية . فليس الانسان عنده غاية بل وسيلة لخدمة الدولة . وأن الدولة هى الغاية التى يعيش من أجلها الناس . فنحن أبرار أم خطاة بمقدار خضوعنا أو عصياننا للدولة ، فالانسان هنا وسيلة أي عكس ما يقول به كانط

وهذا الصراع قائم فى نفس كل شخص منا . وكما أن المريض النفسى يحتاج الى التحليل لكى يعرف حقيقة موقفه ويتجه الاتجاه الذى يبنى بدلا من أن يهدم شخصيته كذلك يجب علينا أن نعرف حقيقة موقفنا من هذا الصراع وأن نقدر للنظر الدينى أى العالمى قيمته وللنظر الوطنى أى القومى قيمته

.*.

لماذا أتكلم الآن عن الدين والولاء له وهل كلامنا هنا أقحام للدين فى غير موضعه أو أن التطور فى الشعور الوطنى يحتاج الى الكلام عن الولاء للدين ؟

لقد أشرنا الى الاختلاف بين الاخلاق التى يدعو اليها الدين وبين الاخلاق التى تدعو اليها الوطنية . ولكن ليس هذا الاختلاف هو كل ما يقال . ففى بعض الأمم يسيطر الدين وفى بعض آخر تسيطر الوطنية . فلا يكاد يكون هناك صراع بين عاطفتين أو بكلمة أخري لايكاد يكون هناك فى ضمير الفرد نظام مزدوج مرتبك للاخلاق . فلنلق نظرة سريعة على هذه الأمم

١ — حيث تسيطر الوطنية — ونكاد نقول الوطنية فقط — نجد نشاطا عنيفا فى الأمة كما هو الحال فى الآن فى ألمانيا . بل هذا النشاط يوهم بمقاومة الدين أو أن هذه الوطنية لحدتها ونشاطها

تحاول أن تجعل الدين مندمجا فيها مغمورا . وقد نخطىء فهم روزنبرج ولود وندورف لأننا نجهل اللغة الالمانية ولأن الدعايات الاوربية المتناقضة تجعل منهما عدوين للمسيحية . ولكن مما لاشك فيه أنهما يريدان أن يجعلا الوطنية فوق الدين وانهما مسوقان بقوة الوطنية الالمانية فهما يجريان فى تيارها ولا يوجهان هذا التيار

٢ — وقد نخطىء أيضا فهم تركيا الحديثة ولكننا نظن أنه من المكابرة أو التعنت أن نقول ان للدين الآن فى النهضة الحديثة تلك القوة التى كانت له أيام السلاطين . فان الوطنية الآن هى مفتاح الأخلاق واللبيد الذي يبعث النشاط فى الأمة بل هو عقلها الباطن الذى يهىء لها مشروعات التجديد . أما الدين فقد أفلتت منه هذه السيطرة

٣ — لهذه الوطنية الحادة مثال آخر فى اليابان . بل هذه الوطنية اليابانية تجعل الأمبراطور معبودا . والامبراطور هو محور الدولة أو شعارها أو تاجها . فتأليهه هو تأليه للوطنيه

٤ — فى هذه الدول الثلاث تسيطر الوطنية سيطرة تامة . وفى هذه الدول الثلاث نشاط وطنى هائج لايعرف الركود ولا يقنع بالقليل . ولست هنا أطري هذه النزعة الوطنية . بل فقط قرر الواقع وهو أن سيادة الروح الوطنى تحرك الأمة الى النشاط الذهنى والجسمى والأخلاق وتحض على القوة واجتناء الثروة ومكافحة الفقر والتجديد المتواصل فى شئون العيش . وفى هذه الدول الثلاث لانجد نظاما مزدوجا للاخلاق أو صراعا بين الدين والوطنية . بل نجد الوطنية فقط

فلننظر الآن فى الأمم التى يسيطر فيها الدين أو حيث يكون الوجدان الدينى قويا جداً والوجدان الوطنى معدوما

١ — فان الصين تجاور اليابان وهى أكبر منها أربع أو خمس مرات . وجمهور الأمة لايكاد يعرف القومية أو الوطنية الصينية . بل لم يكن للصين راية تمثلها بين الأمم الى وقت قريب . وكانت الثقافة الصينية التقليدية ثقافة الدين بدرس بوذا وكونفوشيوس. وكانت الأخلاق الدينية تسود الأمة . والصينى لهذا السبب رجل مسالم موادع يكره الحرب ويقتنع بالقليل . ولكن هذه الأخلاق التى تعد سامية جليلة قد جرت وراءها ركود الأمة وجمودها والتزامها الأعمى للتقاليد وكراهة البدعة ـ هذه البدعة التى لايمكن رقى بدونها ـ بل لم لانقول أن المسالمة أوالموادعة التى دعا اليها بوذا قد انتهت الي هذا النوم الذى يجلبه الأفيون . اليست لذة هذا النوم قريبة من النرانة التى دعا اليها بوذا ؟

هنا أمتان ليس الفرق كبيرا بينهما من حيث الدم والسلالة . اتجهت احداها وجهة وطنية حادة وعبدت الوطن فى شخص امبراطورها . وهى اليابان . وأخرى اتجهت وجهة دينية حادة وعبدت السلام وهى الصين . والفرق واضح بين الاثنتين

٢ — امة اخرى قد غمرها فى الروح الدينى الهند . بل اكاد اقول قد نكبها الروح الدينى . وهى الان لا ترقى الا بمقدار ما تترك من تقاليدها الدينية . وهذا الجهاد الذى يجاهده غاندى للمساواة بين المنبوذين وبين غيرهم من الهندوكيين ماهو مغزاه ؟ اليس هو مكافحة التقاليد الدينية من أجل الوحدة الوطنية ؟ لقد بلغ من يأس تاجورى أن يقول أنه يود لو يري موجة من الالحاد تعم الهند حتى تخفف هذه السيطرة الدينية على الناس بتطهير الدين من الخرافات العالقة به

٣ — يسمى المؤرخون الاوربيون فترة الزمن التى تقع بين سنة ٤٠٠ وسنة ١٠٠٠ بالقرون المظلمة اى زمن الظلام والجهل والخرافات والسحر . وهذا الزمن نفسه هو زمن السيطرة الدينية حين كانت القوميات مندغمة فى الدين . فكان سلام . وكان ركود . ثم جاءت النهضة فظهرت القوميات وعينت الاوطان ، فكان القتال وكان النشاط . واوربا الآن هى مخزن البارود . ولكنها ايضا ميدان التنازع الثقافى والذهنى والاخلاقى . هى ضد القرون الوسطى ومفتاح النشاط فيها هو الوطنية وليس الدين

• • •

ان فى هذا الكلام ما يؤلم بل ما يحزن . فاننا نحب ان نجد فى الاخلاق السامية التى يدعو اليها الدين فى الاخاء البشرى ، فى السلام العام ، فى المساواة بين كافة الامم مهما اختلفت الالوان واللغات يجب ان نجد فى هذه الاخلاق أساسا نعتمد عليه فى الرقى البشرى. ولكننا للاسف لا نجده . ولكن هل يجب ان ننزل على الواقع وننهزم أمام المثل الاعلى الذى رسمه لنا الانبياء والفلاسفة ونقنع بالوطنية وتعتذر عن التقصير بان الطبيعة البشرية لا تستطيع أن تسمو الى مارسمه لها الانبياء ؟

كلا . فان التاريخ الماضى. بل التاريخ الحاضر ليس حجة على المستقبل . والطبيعة البشرية نفسها تقبل التغير . وهذا الولاء للاديان — ولو كان ضعيفا — هو نفسه البرهان على اننا نتجاوز الاخلاق الوطنية ونطلب الاخلاق العالمية . ولكننا نحتاج الى تربية جديدة . هذه التربية التى يطلبها منا هـ . ج . ولز وأمثاله من دعاة الحكومة العالمية والسلام العام

أن الوطنية الان هى مفتاح النشاط لاننا نشأنا على ذلك . ونحن فى طور من الرقى البشري يقتضى ان تكون الوطنية كذلك . ولكن هذا الطور سوف ينقضى حين يحتم اتصال الامم او اشتباكها عليها ان تنظم نفسها فى دولة واحدة . وعندئذ تأخذ الاخلاق الدينية — العالمية — المكانة التى تستحقها

وهذه الاخلاق اذا كانت لا تزال الى الان املا فانه أمل عظيم يجب أن يبقى نصب اعيننا وأن يخفف من حدة وطنيتنا

لقد مضى زمن كانت القومية أو الوطنية هى الانتماء للقبيلة . ثم ذابت القبيلة فى الوطن · والدعوة العالمية التى يدعو اليها ولز واتباعه الان تقوم على أساس ايجابى وهو الاشتباك الاقتصادى .وأساس سلبى وهو الخطر العظيم من الحروب . ولا بد من ان تنتصر هذه العالمية يوما ما . وفى انتصارها انتصار للاخلاق الدينية مع توقى الاضرار التى رأيناها فى مثل الهند او الصين

• • •

الواقع الذى لا يمكن انكاره اننا فى طور الوطنية المتطرفة مع الامل الضعيف بالعالمية . وضعف هذا الأمل واضح فى المانيا وتركيا وايطاليا واليابان . فما هى السمات التى تتسم بها هذه الوطنية ؟

١ — لقد ظهر فى كل من المانيا وتركيا دعوة الى نقاوة الدم . فالمانيا تقيم وطنيتها على الدم الآرى بل أحيانا الدم النوردى . وتركيا تقول بالدم الطورانى . فكأن الوطنية ليست نتيجة الحدود الجغرافية التى يعيش فيها الاتراك أو الالمان بل نتيجة الدم التركى أو الدم الألمانى

٢ — كل من ألمانيا وتركيا تقول بانها الأصل لحضارة العالم كأن العزة القومية تقتضى تاريخا يؤيدها قبل آلاف السنين

٣ — فى كل من المانيا وتركيا وايران انسلاخ من الثقافه الاجنبية وعودة الى الثقافة الوطنية وقد تزداد هذه النزعة قوة فيكون منها احياء اللغات القديمة (ارلندا واليهود)

٤ — فى كل من ألمانيا وتركيا وإيطاليا والهند دعوة إلى الاستقلال الاقتصادي بحيث تكون الغاية أن يكفى الوطن نفسه كأن المقصود هو ألا يحتاج الى التجارة الخارجية

٥ — فى كل من ألمانيا واليابان وإيطاليا نزعة حربية شديدة وكراهة لدعوة السلام وعداوة لعصبه الأمم

٦ — فى كل من ألمانيا وتركيا حركة ضد الدين نستطيع فهمها من سياق التحليل الذى أشرنا اليه

٧ — اتخذت الوطنية والأمم الشرقية الناهضة نزوعا نحو الحضارة العصرية أو ما يسمى التغرب. هذه هى السمات التى تتسم بها الوطنية المتطرفة فى أيامنا . فيجب أن نضع هذه السمات فى احدى كفتى الميزان حين نقابل بين الأخلاق الوطنية والأخلاق الدينية فى الصين أو الهند

• • •

وعندى أن نقاوة الدم التى دعا اليها الالمان هى كسب جديد للوطنية . ولست هنا انعامى عما تجلبه من محن . فانها حركة لا تزال فى بدايتها تتحسس الطريق فى الظلام إلى غايتها . ولكن مما لا شك فيه أن الوطنية التى تقوم على السلالة أو الدم أشرف من الوطنية التى تقوم على جغرافية الأرض التى يعيش فيها الناس

ولكن ماذا نعنى بكلمة « أشرف » ؟

نعنى أن لها قيمة وسيلية أكبر من القيمة التى نجنيها باقامة الوطنية على الجغرافية . فاذا قلنا ان اساس الوطنية هو الدم بعثنا بهذه الفكرة نشاطا وحركة ونهضة . لأنى ما دعت أطلب نقاوة الدم فانى أطلب الصحة الجسمية والعقلية للامة . فان الألمان حين قالوا : أن السلالة النوردية هى أرقى السلالات نظروا إلى نتيجة هذا القول وهى تحقيق هذا الرقى بتعقيم الناقصين . ثم نظروا إلى ثقافتهم فاختصوها بالعنايه أكثر من الثقافة الأجنبية . بل لقد تذكر المارشال لودندورف التاريخ القديم والدين القديم ودعا إلى احيائهما

ان نقاوة الدم هذه هى التى يتعصب لها الأمريكيون تعصبا لا هوادة فيه . فان فى الولايات المتحدة نحو ١٥ مليون زنجى لو انهم تزاوجوا مع البيض لانساح الدم بين السلالتين . وعندئذ نجد الهجنة تأخذ مكان الاصالة . وعندئذ تتدهور الثقافة الامريكية التى انجبت اديسون وفورد وميليكان وجيمس وديوى وولسون وأمثالهم ممن أصبحوا قادة للفكر البشري .

ان النوع البشري سلالات مختلفة . ولكل سلالة خصائصها التى تمتاز بها وهذه الخصائص تبقى ما دامت كل سلالة محتفظة بنقاوة دمائها . أما اذا اختلطت السلالات واندغم الاسود والابيض والاصفر والاسمر فان هذه الخصائص تنساح ويعود النوع البشرى كله هجينا . والعبقرية هى غلو . والغلو تأكيد للميزات التى تمتاز بها السلالة . ولكن التزاوج بين سلالتين مختلفتين يكسر حدة هذا الغلو ويحيله اعتدالا أو توسطا فلا تكون العبقرية .

والامة التى لا تبالى نقاوة الدم تخسر شيئا عظيما فى نسيج أجسامها وأعصابها كما تخسر كبريائها الوطنى وثقافتها التاريخية . لا بل هى أحيانا تكسب من الاختلاط اذا كانت تعرف نفسها انها أحط الامم وان أى اختلاط بها يرقيها لانه ليس فى الدنيا أحط منها

« * »

وشبيه بالدعوة الى الدم ولكن بعكس الفائده المرجوة منها ذلك الاحياء أو البعث للغة القديمة المتقرضه . وهذا نراه فى الوطنية الارلندية التى أحيت اللغة القديمة . والوطنية الصهيونية التى أحيت اللغة العبرانية . ويقترب الاتراك والايرانيون من هذه النزعة حين يحذفون أو يحاولون حذف الالفاظ العربية من لغتهم

وليس شك فى الضرر العظيم الذى ينشأ من هذه النزعة . فانها مجهود يتبعثر فى خيال . كأن الامه تريد أن تعيش فى ماضيها القديم وكأن حنانها التاريخى قد استحال أملا لتحقيق الرجوع الى

هـذا الماضى . والارلندي الذى يترك اللغة الانجليزية لـكى يحيى اللغة الارلندية يخسر الثقافة الخصبة التى تمتاز بها الانجليزية ويخسر عشرات العلوم الحديثة لـكى يشعر نفسه أنه يعيش كما عاش اباؤه قبل ألف سنة . وكـذلك اليهودى

بل كـذلك نحن حين نعمد الى اللغة الفرعونية فنحييها لكى نتكلم ونـكتب بها . بل لقد ماتت اللغة العبرانية قبل أن تموت اللغة الفرعونية . اذ من المعروف أن المسيح كان يتـكلم بالارآمية ولم يكن يعرف العبرانية الا فى التوراة . وفى ذلك الزمن كانت مصر لاتزال تتكلم بلغتها المصرية القديمة

ونحن بالطبع أعقل من أن نفـكر فى أحياء اللغة المصرية القديمة وقصاري ما نطلبه أن نتعلمها كما نتعلم احدي اللغات القديمة

« * »

هذا التغرب أو هذا النزوع نحو الحضارة العصرية نراه على أشده فى بعض الامم « الشرقية » كاليابان وتركيا وايران والصين . وهذا التغرب يأخذ بالظواهر والبواطن . فان القبعة والبنطـلون يقابلهما المصنع الآلى واشتغال المرأة بالعمل الحر . وحينما تشتد الوطنية يشتد أيضا هذا التغرب

وقد يبدو لنا شىء من التناقض هنا . اذ كيف يمكن تركيا أن توفق بين تعصبهـا للغة التركية والتاريخ التركى والدعاية الطورانية وبين هذا التغرب ؟

ولـكن هذا التغرب ليس فى حقيقته انسلاخا من التاريخ أو من الثقافة الوطنية . لان الحضارة الغربية ليست سوى حضارتنا «الشرقية» قد انتهت الى مرحلتها الاخيرة التى يقتضيها منطق التطور ومن هنا هذه الظاهرة وهى ان أشد الوطنيين غلوا فى هذه الامم الشرقية هم أرغبهم فى التغرب

« * »

والآن أين مصر وطننا من هذا التطور فى الوطنية ؟

لقد رأينا من السمات الحديثة للوطنية المتطرفة ١ — نقاوة الدم والاعتزاز بالسـلالة النقية ٢ — ادعاء أصل الحضارة ٣ — احياء اللغة الوطنية القديمة ولو كانت ميتة منقرضة ٤ — الدعوة الى الاستقلال الاقتصادي ٥ — الـكراهة للدعوة العالمية التى تمثلها عصبة الامم ٦ — التوجس من الدين لانه يدعو الى أخـلاق عالمية تخالف الاخـلاق الوطنية ٧ — رغبة الامم الشرقية فى نهضتها الوطنية الي التغرب

أين مصر الآن من هذه السمات ؟

هل نحن ندعو الى نقاوة الدم المصرى كما يفعل الالمان ؟ وهل ندعو الى أن مصر هى الاصل لحضارة العالم ونعتز بهذه الدعوة الصحيحة التى يثبتها العلم وتكشف عنها المصرلوجية ؟ وهل نحن

تفكر فى لغتنا القديمة ان لم يكن على سبيل الاحياء فعلى الاقل للتذكر والائتناس ؟وهل كانت دعوتنا للاستقلال الاقتصادي دعوة صادقة حية ؟ وهل نحن نتغرب بالقوة التى يقتضيها العصر؟

ان فى السمات التى تتسم بها الوطنية الحديثة بعض ما يعاب عليها. ولكن مصر يمكنها أن تنتفع بدرسها وبالاختيار منها مما يطابق بيئتها

إن مما لا شك فيه أن الغلو فى الوطنية قد يؤدى إلى خطر الحرب . بل هو قد أدى إلى ذلك فى الحبشة والصين . كما أنه قد يؤدي إلى مناهضة الدين . وقد أدى إلى ذلك بالفعل فى بعض الأقطار مثل تركيا وألمانيا . ثم هو قد يؤدى إلى احياء اللغات الميتة . وكل هذا ضرر . ولكنا مهما غلونا فى وطنيتنا فى مصر فلن نخشى شيئاً من ذلك . وكل غلو فى وطنيتنا يؤدي الى الخير ولا نخشى منه أي شر . ذلك لأن وطنيتنا جديدة والوجدان الوطنى لما يكتمل . ولكننا سائرون نحو هذا الاكتمال

لقد أذاعت الصحف هذا الأسبوع معاهدة بيننا وبين تركيا هى معاهدة الشريكين المتساويين اللذين يحترم كل منهما الآخر . ولكن قبل سنوات كانت تركيا سائدة ومصر مسودة . وكان الزعيم الوطنى فى مصر يدعو لوطنه بالبقاء فى ظل سلطان الأتراك . ولايري فى ذلك عيباً . وها أنذا أنقل هنا نبذة من المقال الافتتاحي للمرحوم مصطفى كامل فى اول عدد من جريدة اللواء يوم ٢ يناير من سنة ١٩٠٠ حيث يقول :

« وإننا نسأل الله أن يوفقنا للقيام بالواجب ويحفظ للخلافة الاسلامية صاحبها وللسلطنة العثمانية سيدها جلالة مولانا السلطان ابن السلطان الغازى « عبد الحميد خان » أيده الله وأدام ملكه . وأن يديم لمصر فى ظل جلالته عزيزها وأميرها »

ولم يكن مصطفى كامل إلا معبراً عن الوجدان الوطنى فى ذلك الوقت ، هذا الوجدان المضطرب اضطراب الجنين . ولكن هذا الجنين قد ولد وترعرع . ولن يضيره كثرة الغذاء لأنه فى طور النمو . فاذا كانت الوطنيات الأخرى قد نمت بالغذاء فوطنيتنا لا تزال جائعة . فلنغل فيها ولا نخشى الغلو . وقد أصبحنا الآن نعقد المعاهدة على قدم المساواة مع تركيا فلتكن غايتنا الأخري أن نساويها وغيرها من الأمم المتمدنة فى الرقى الاجتماعى

إن معظم الضرر الذى نشأ من الغلو فى الوطنيات الحديثه يكاد ينحصر فى فيض هذه الوطنيات إلى خارج الوطن بالرغبة فى الاستعمار والدعوة إلى الحرب . ولكنا مهما غلونا فى وطنيتنا فلن يخشى أحد منا ذلك . ووطنيتنا التى كان يقنع منها مصطفى كامل بما لا نرضاه نحن الآن . والتى وسمها لطفى السيد بالسمة المصرية وعين حدودها واستخلصها من العالم الاسلامى والعالم العثمانى معاً ،

هذه الوطنية التى وثب بها سعد ثم جاهد لها مصطفى النحاس حتى انتهت بالاعتراف بالاستقلال مصر من الدول المحتلة وتوشك أن تنال الاعتراف من الدول الممتازة بالغاء امتيازاتهم ، هذه الوطنية تحتاج إلى الغذاء الكثير . ولكنه يجب أن يكون غذاء سليما خالياً من الغش . فان جميع الأمم التى يحلو لنا أن نسميها « شرقية » مثل اليابان والصين وايران وتركيا قد جعلت وطنيتها قائمة على التغرب أى الأخذ بالحضارة العصرية ظواهرها وبواطنها فيجب أن يكون هذا أيضاً برنامجنا ، فاذا كان التركى قد أخذ بالقبعه فيجب أن نأخذ نحن أيضاً بها لأنهـا شارة الحضارة ورمزها . بل يجب أن نفعل مثلما فعلت إيران بجعل الملابس الاوربية الزامية حتى للفلاحين

إن للوطنية الناهضة منطقاً يكاد يكون واحداً فى مصر وتركيا وألمانيا وفى كل أمة قد قوى فيها الوجدان الوطنى . فان الاعتزاز بالاباء والدم و (الطورانية فى تركيا والآرية فى ألمانيا والفرعونية فى مصر) هو شرط للوطنية الناهضة . والدعوة إلى القبعة والتغرب فى مصر وتركيا وإيران واليابان هى دعوة وطنية محضة . وقد عرفنى صديق لى انى — ولا فخر — قد دعوت إلى القبعة فى سنة ١٩١٦ بجريدة الأخبار . ومذهبنا فى الصناعات بالآلات الكبرى هو مذهب جميع هذه الأمم التى ذكرنا . والاستقلال الاقتصادى الذى ألفنا من أجله جمعية المصرى للمصرى سنة ١٩٣٠ هو الذى يعبر عنه بلفظة أو تارخى فى ألمانيا . وهو أيضاً لون من ألوان النهضة الوطنية . ولست أطرى نفسى بهذا الكلام ولكنى رأيت وأنا أدرس هذا الموضوع أن أحلل نفسى باعتبارى عضواً فى هذه الحركة — الحركة الوطنية — التى يعزى بعض أسبابها الى الحرب الكبرى واليقظة العامة التى أحدثتها مبادىء الرئيس ولسون

والآن وقد انتهينا من هذا التحليل الموجز للوطنيات الحديثة أعود فأقول : فلنغل فى وطنيتنا ولا نخشى شططاً فى هذا الغلو لأن وطنيتنا جائعة لم تشبع بعد

اخناتون يعلن دين أتون

للانسة ايريس حبيب المصرى

مقدمة

كان الانسان فى فجر التاريخ واقعا تحت سلطان الطبيعة المحيطة به . فراعته البروق والرعود وأذهله نزول السيل أو حدوث الزلازل كما تملكته الرهبة والخشوع أمام القوى التى تمنحه الحياة والقوة كالماء الذي يروى أرضه والشمس التى تدفئه . فصور له خياله وهو واقع تحت هذه التأثيرات أن هذه القوي التى تحييه أو تفتك به ايست سوى أرواح للخير أو للشر يمكن استرضاؤها أو تجنب شرها بتقديم القرابين لها

ولم يختلف المصريون القدماء عن غيرهم فى أنهم عبدوا قوى الطبيعه — ولكن الطبيعة فى مصر قوة مترفقة لا تكتسح الارض بالفيضان المغرق (اللهم إلا فى فترات بعيدة) ولا تبرق أو ترعد أو تزلزل — لهذا كانت أرواح الخير عند المصريين تفوق أرواح الشر

بيد أن المصريين لم يلبثوا حتى أضافوا الى عبادة الطبيعة عبادة أخرى هى مرحلة قطعوها وسبقوا غيرهم فيها : وهى عبادة المعانى المجردة كالفضيلة والحكمة والحق والعداله وغيرها

وكانوا يرمزون الى القوى التى يعبدونها بصور للانسان أو للحيوان . اذا كانت هذه الصور المادية شيئا ملموسا يستعينون به على تفهم الفكرة المعنوية غير الملموسة ويسمونها بأسماء مختلفة فالشمس هى الاله را (أو كما سميت فيما بعد أتون را)

واوزوريس وايزيس وهورس وثوث وغيرهم من الآلهة العديدة . إلا أن مؤلف كتاب وردة (وهو المصرلوجى الالمانى المعروف جورج ابرز) يخبرنا بأن هذا التعدد للأشكال والصور والرموز لم يكن سوي وسيلة يستعملها الكهنة لتضليل الناس ولجعلهم يخضعون تحت سلطانهم دون تذمر وأن الكهنة وحدهم كانوا يعرفون حق المعرفة بأن الله واحد وبأن الصور العديدة التى يتعبد بها الشعب بارشادهم ليست سوي مظاهر لقوته التى لا يمكن حدها أو تعريفها

ومهما تكن الحقيقه فان الشعب كان حتى عهد اخناتون منقادا لسلطة الكهنة يتعبد لهذا الاله أو ذاك ويتقرب من هذه الالهة أو تلك . وكان أقوي الآلهة عند اعتلاء اخناتون العرش هو أمون

— أو أمون را . وكان لكهنته نفوذ بعيد المدى ظل أثره كامنا فى النفوس مدة حكم الملك الشاب ثم عاد الى الظهور إثر موته اذ رجعت مصر الى عبادة أمون وغيره من الآلهة بعد أن سارت وراء اخناتون وتوصل بعض من أبنائها الى رؤية قبس من النور الفياض الذى جاهد اخناتون ليعلنه للملأ ولهذا السبب ظل تاريخ هذا الملك (الذى رماه كهنة امون بالكفر) طى الكتمان حتى عهد قريب اذ هجرت مدينته وتناسى قومه كل أمره . ولكنه عاد الى الظهور فى هذا العصر فى صورة جميلة رسمها لنا كتاب الغرب . ومن أجمل الكتب عن هذا الملك الكاهن مؤلف ضخم كتبه عالم أثرى انجليزي هو سر آرثر ويجال المصرلوجى الكبير . واسم الكتاب : اخناتون — حياته وعصره . والكلمة التالية مأخوذة عن هذا الكتاب .

أتون الاله الحق

فى المدينة الجديدة وسط الحدائق الزاهرة المنسقة التى يملأها عبير الورود ووسط القصور الشامخة المنيفة التى شيدت على عجل حول اخناتون سدد فكره صوب دينه ووجه كل همه الى اعلانه . وكان اذ ذاك فى الثانية والعشرين من عمره . فمن الحق علينا أن نتعرف أهم تعاليم دينه — لانه كان أسمى دين عرفه العالم القديم — وأن نرقب كيف وصل الملك الى ابراز دينه هذا نتيجة التربية الدينية التى شب عليها وتمثلها

ولم يكن أتون فى بادىء الامر سوى قرص الشمس ولكنه صار تبعا للفكرة الجديدة هو الحرارة الكائنة فى الشمس . وحصر اخناتون انتباهه كله فى ابراز هذه الصفة التى للاله ووجه نظر اتباعه صوب قوة بعيدة غير ملموسة بينها وبين قرص الشمس الوهاج الذى يعبدونه بون شاسع لا يحد فقد كانت فكرة اخناتون عن الله هى أنه القوة التى خلقت الشمس والنشاط الذى اخترق الحجب ووصل الى هذه الارض خلال أشعة الشمس وحرارتها فسبب نمو الكائنات جميعها . ويقول لنا العلماء فى عصرنا هذا ان الله هو منبع الحياة ومرجعها وانه — أى الله — هو التفسير الوحيد الواضح للوجود الذى يرضى العقول المفكرة حين يفشل كل تفسير آخر — أو بعبارة أخرى هو أصل القوة الموجدة المنشئة — وقد سبق اخناتون العلماء بأجيال عديدة — فعرف الله بنفس تعريفهم . وفى عصر سادت فيه الفكرة (التى لا تزال متسلطة على عقول البعض) بأن الآلهه ليسوا سوى صور مكبرة للانسان ولهم شكل مادى محدد مثله أعلن الفرعون الشاب بأن الله روح غير محدودة وأنه القوة المحبة المنشئة التى تتخلل الزمن والأبعاد — أى أن فكرته عن «الاتون» كانت قريبة جدا من فكرتنا عن الله الذى نعبده · فليس من صفة وصفه بها الفرعون لا نعزوها نحن لله . وكوميض من البرق الخاطف سطع نور أتون برهة ثم اختفى — كانه البشير الاول لهذا العالم الدين المستقبل ولا يسع أى انسان

مفكر منزه عن الغرض الا أن يرى شبها كبيرا بين دين اخناتون ودين المسيح ولئن كانت عقيدة الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب الأصل الذى تفرعت عنه المسيحية مباشرة - فان ايمان أخناتون كان مثالا منعزلا له وكأنما الله جل جلاله أظهر ذاته لحظة لمصر فأدركته (ولو أن ادراكها له كان قصير الأمد) على وجه أوضح وأجلى مما أدركته سوريا وفلسطين . ولم يقرب من إدراكها قطر آخر قبل مجيء المسيح

أتون الاب الحنون لكل الخليقة

لم يكن آمون را أو غيره من آلهة مصر القديمة سوى بشر اكتسبوا صفات عظيمة هائلة ولو أنها محدودة واتصفوا بقوى مكبرة من قوى الناس رددتها الأساطير التى كان الناس يتداولونها عنهم والتى كانت تنم عن أصلهم البشرى . ولقد كان البعض منهم تفسيرا لقوى الطبيعة - كالنيل والهواء والكواكب العديدة وغيرها . وكان الآلهة جميعا - سواء أكانوا بشرا تألهوا أم قوى من قوى الطبيعة - شديدى البطش والانتقام إن شاء وان يفتكوا بالناس . وكانوا جميعا عرضة للعواطف والانفعالات النفسية البشرية . أما فى عقيدة اخناتون - ولو أن واحدا لم يسبقه إلى فكرته ويمهد له السبيل اليها - فقد كان الله هو الأب غير المدرك والحال فى الوقت نفسه فى كل البشر والذى تعبر الشمس عنه . فنادى هذا الكاهن الشاب رعيته وأهاب بهم أن يبحثوا عن الله وسط الزهر والشجر وبين الأسماك والطيور لا وسط صليل السيوف اوحومة الوغى ولا خلف الدخان المتصاعد من الذبائح البشرية . فيمكن القول بحق بانه كان أول رسول لحياة البساطة

وجاهد بكل قواه ليحطم قيود الفكر وتقاليده . وظل مدى حياته يدعو شعبه الى أن يعبدوا « بالحق » وبغير تطرف فى الطقوس . وبينما كان الآلهة الاقدمون لا يظهرون الا عند وقوع حوادث رهيبة أو اضطراب كبير كان رب اخناتون الرؤوف يبدو فى دقائق الحياة وصغائرها - إذ كان يظهر فى الزهرة النامية وفى همس النسيم المليل الذى يملأ شراع المراكب وفى السمك وهو يسبح فى النهر . فكان أتون بهجة الحياة التى تدفع بصغار الخراف الى القفز مرحة وبالطيور الى رفرفة أجنحتها . ومع أن اخناتون نفسه كان « رجل أوجاع ومختبر آلام » الا ان الرسالة التى حملها لاتباعه كانت رسالة الفرح والتفاؤل

ولم يسمح اخناتون أن يقام تمثال لأتون . لانه قال ان الاله الحق لا شكل . وتمسك بفكرته هذه مدى حياته وكان رمز دينه قرص الشمس تنبعث منه الأشعة وينتهى كل شعاع بيده - ولم يكن هذا سوى رمز لا يعبد . ولم يحدث فى تاريخ البشرية قبل هذا العصر أن خطر على بال رجل أن الاله لا شكل له وأن ليس له حواس الانسان المحس . وكان يظن الآباء اليهود بأن الله فى

مقدوره أن يتمشى فى حديقة عند الغسق وأنه خلق الانسان على صورته ومثاله وأن له وجها وجسما

ولكن أخناتون وحده أوقف بيده تيار التقاليد الجارف رصرح بجرأة بأن الله معطى الحياة روح غير محدودة او هو « الحرارة الكائنه فى الشمس » . كان هو أتون الحى او هو القوة التى كونت الشمس والتى تمكن الشمس من الاحتفاظ بحرارتها ومن الحركة . ولو انه كان يطلق عليه اسم «الاتون» الا أنه كان كثيرا ما يعبر عنه بأنه « سيد الاتون» فكان مجدالشمس الملتهب خير رمز للاهوته واشعتها المدفئة المتدفقة اظهر دليل على صلة الارض بالسماء . الا ان اخناتون كان يجاهد ابداً لكى يسمو بعقول المفكرين من اتباعه فوق المظهر المدرك المادي المعبر عن الله ويدفعهم دوما الى التطلع والجهاد علهم يرون ما وراء الحجب

ومع ان الآتون بعيد جدا الا انه هو الأب الحنون الذى يحب جميع البشر وهو أبدا حاضر معهم مفكر فيهم . فلا يخرج تأوه من صدرطفل لايسمعه أتون غير المحدود ولا يصدر نداء من حمل لامه لا يصل الى أذنى أتون المتناهى فى البعد فيسرع لنجدته لانه « أب جميع الخلائق وأمها » الذى « قات الملايين بكرمه وسخائه »

ولم يشر اخناتون بكلمه أو باشارة الى الناحية الفتاكة من الشمس - فحرارتها الشديدة التى تسيل عرق المصريين وتأوهاتهم خلال الصيف المحرق لم توجد بينها وبين الاب الرؤوف الذي نادى به اخناتون صلة على الاطلاق. فقد كان الآتون « سيد الحب » وكان الممرضة الحنون التى « تكون الرجل الطفل من المرأة وترفق به حتى لا يبكى » يملأ حبه الارجاء حتى أنه على حد التعبير رقيق من تعبيرات اخناتون . « حب يغمر على الانامل الرقيقة منه » وأشعته « جميلة بالحب » وهى تتساقط فوق الناس وفوق المدينة الجديدة التى بنيت له . ويقول اخناتون فى أحد مزاميره : « إن حبك عظيم رحب وأنت تملأ أرض مصر بحبك » وفى مزمور آخر يقول : « إن أشعتك تطوف الارض . . . فأنت تربطها معا بحبك »

حقا لم يسمع من قبل فى تاريخ البشر عن رجل صور الله على هذه الصورة ونادى به « أنه هكذا أحب اله العالم » . وعبثا يبحث المرء فى تعاليم أخناتون عن أية اشارة الى قوة شريرة أو الى نقمة او حسد او بغضاء . فلقد وصفت المزامير الله فى التوراة بأنه « كما يتراءف الاب على اولاده هكذا يرحم الله » . واخناتون عبر عن هذه الفكرة عينها فيما كتب من أناشيد قبل كتابة المزامير بأجيال لان الاتون كان رؤوفا رحيما حنونا مترفقا لا يعرف الغضب ولا توجد فيه حدة - يصل حبه المتدفق الى هذه الحياة ويفيض على الكائنات جميعها فيغمر الانسان والحيوان والنبات . ويتغنى اخناتون بذلك فيقول فى أحد مزاميره : «كل الازهار تتفتح وكل ما ينمو على

الارض يزدهر حين تشرق ايها الاتون فيشربون حتى يرتووا من حرائك. أمامه وجهك تقفو الماشية وتطير الطيور من اعشاشها بفرح فتغرد اجنحتها التى كانت مطبقة لتسبحنك ايها الاتن الحى »

وإنه لمن المدهش حقاً أن يقرأ المرء ضمن صحائف مصر المحبة للابهة ومظاهر العظمة عن إله يصغى « حين يصرخ الـكتـكوت وهو خارج من بيضته » ويعطيه الحياة اذ يسمعه « يوصوص بكل قوته » بعد الفقس ، إله يجد مسروراً فى أن يجعل « العصافير ترفرف بأجنحتها طائرة فوق الترع والخراف ترقص بأرجلهـا مرحا » ولأول مرة فى تاريخ البشرية يدرك الانسان معنى الله ويتفهمه كخالق سخى يحب كل واحد من خلائقه على الرغم من أنه روح بعيدة غير مادية . إذ أن هذه هى الصورة التى رسمها أخناتون الشاب عن الاله الذي قضى حياته فى عبادته : فعبر عن رأفته وطول أناته غير المدركة بطريقة واضحة جلية لم يفقه فيهـا إنسان . والمدهش فى هذا حقا هو أن هذا الملك الشاب أخناتون لم يجد قبله أساسا يبنى عليه بل انه كان (حسب ماوصلت اليه معلوماتنا) أول رجل أظهر له الله نفسه وملك عليه فؤاده كروح كلها محبة لاحد لخيرها

خيراتون وصلاحه

فى حدائق مدينة الأفق « كان يعيش أخناتون يحيط به من كل جانب جمال الطبيعة وسحرها . ففيها كانت الطيور تغرد مرحة فوق الأغصان المثقلة بالثمار ، وفيها كان نسيم الشمال المنعش يسري بين الأشجار فتمايل غصونها و تتراقص أوراقها ، وفيها ازدهرت الورود والأزهار وانعكست ألوانها العديدة فوق مياه البحيرات الصافية ، وفى وسط هذا الجمال امتلأ قلب أخناتون راحة وسكينة وأحس وهو يرقب أشعة الشمس تداعب المياه والأشجار بأن قلبه يفيض شكرا لله فيردد دوما : « ما أعظم أعمالك يا إلهى — إن الأرض كلها فى مرح وراحة بسببك . وهم يترنمون وتبلغ أصواتهم عنان السماء ويتلقون منك الغبطة والفرح » فما « أجمل شكل » أتون « الذى لاشكل له »وما أسطع بهاءه — « فالعيون تحيا عند مرأى جمالك والقلوب تمتلىء صحة حين تشرق أيها الأتن »

وكما تغنى كاتب المزامـير اليهودية قائلا : « الرب راعى » فلا يعوزنى شيء « كذلك هتف أخناتون بقلب راض » : لافقر لمن وجه قلبه نحوك » — « وحين تغدق الحياة على قلوب البشر بجمالك فهنالك الحياة حقا « وبعد ذلك بأجيال وصف داود الله بأنه « صخرة حصن » . وقبل ذلك فـكر أخناتون بنفس الطريقة فقال بأن أتون « سور من النحاس مقداره ملايين من الأذرع »

كذلك كان أتون فى تعاليم اخناتون هو الاله الوحيد إذ لا يذكر الملك كلمة « آلهة » مطلقا. وكانت عبارة « الأتون الحى الذى لا يوجد إله غيره » عبارة كثيرة التردد على ألسنة أخناتون

وحاشيته . كذلك يصفه قائلا : « أنت وحدك ولكن قوى حيوية لانهائية تملأك . وهى الوسيلة التى بها تعطى الحياة لمخلوقاتك »

وثمة خلاف كبير بين إله أخناتون وبين آلهة مصر أو غيرها من الأمم . وهو أنه كان « إله السلام » لا يحتمل القتال ولا يرضى بالتطاحن . وكان أخناتون نفسه يمقت فكرة الحرب حتى أنه رفض مراراً أن يبعث بالنجدة الى الولاة المصريين فى المقاطعات الأسيوية . فأتون كان إلهاً رقيق القلب لا يرضى سفك الدماء . وهكذا وقف أخناتون حياته على مناوأة الروح العسكرية فى عصر طغى فيه المجد الحربى ولمعت السيوف والدروع وتخطر الفرسان على ظهور خيولهم فى كل مكان .

وفوق هذا كله كان أتون يحب الحق — وكانت الصراحة والاخلاص والصدق والمعاملة الأمينة من ألزم صفاته . وليظهر أخناتون خصومته لما كان يسود البلاط من رياء ومداهنة كان يصف نفسه دائماً بأنه « يحيا فى الحق » . ولشدة تمسكه بهذه الصفات الالهية كتب على قبر أحد مناصريه . «لقد وضعت الحق أمام عيني وفى داخل نفسى ومقت الكذب لأننى أعرف أن الملك يفرح بالحق»

وليذكر القارىء أن أخناتون عاش قبل المسيح بنحو ثلاثة عشر قرنا فى عصر كان فيه العالم غارقا فى بحار الخرافات والأوهام يتخبط فى دياجير الوثنية فان ذكر هذا فانه سيرى حتما فى هذه الرؤيا القديمة التى حلم بها الفرعون الشاب بالله الاب صورة تخشع لها الآن . ويتحقق له مرة أخرى صدق ما عبر عنه الشاعر تنيسون : « والله يتم مقاصده بطرق عدة » .

ايريس حبيب المصرى

الفراعنة فى روسيا

رنديل هاريس مؤرخ انجليزي يبلغ من العمر الآن نحو ٧٥ عاما . وهو أيضا فى القائلين بأن حضارة مصر القديمة تفشت فى أنحاء العالم

ولكنه يختلف من اليوت سمث وبيرى وبرستد وسيجلمان فى طريقة التدليل فان أولئك متتبعون الاثار الباقية أو العادات الاجتماعية بين الامم وهى عادات أو آثار تثبت اتصالها بعصر القديمة . فيعتمد على تحليل الاسماء حتى يردها الى اسم مصرى قديم . وقبل نحو شهرين كتب مقالا نقلت خلاصته الى مصروفيه يحال لفظة أنقره عاصمة الأتراك الي أنخ رع (حياة الرب رع) ويقول انها مصرية أنشأها المصريون القدماء

ولهذا العالم نحو عشرة كتب صغيرة فى هذا الموضوع يبحث فى بعضها عن آثار مصر فى انجلترا وفى بعض آخر عن آثارها فى فرنسا أو البحر المتوسط أو افريقيا أو غير ذلك

ويبدو من أبحاثه أن أسلافنا ضربوا فى أنحاء العالم فوصلوا الى روسيا والشرق الاقصى وافريقيا الجنوبية والغربية واستوطنوا جزر البحر المتوسط ودخلوا فرنسا وانجلترا

وقد تركوا فى جميع هذه الامكنة بلدانا أقاموها أو صنعوا أسسها لا تزال الى الان تحمل أسماءهم أو أسماء آلهتهم . وكان الذي يدعوهم الى ترك بلادهم والرحلة الى الأقطار البعيدة شيئان احدهما يدفعهم الى الرحلة والآخر يسهل عليهم الضرب فى الآفاق .

فاما الأول فهو رغبتهم الحادة فى الحصول على المعادن والجواهر والطيوب والافاويه التى كانو يحتاجون اليها لاطاله أعمارهم على هذه الأرض أو فى العالم الآخر (بالتحنيط) ثم كانوا حين يخرجون من مصر لا يجدون غير الشعوب البدائية التى لم تنتظم جماعات دولية

ولم يكونوا يجدون أى عائق فى الحل والترحال اينما شاءوا ويجب أن نلاحظ هنا أنهم لم يلقوا أمما متوحشة تعرف الحروب ولا قبائل منظمة بل لقوا جماعات بدائية لا تعرف شيئا من الصناعات ولذلك لم يجدوا أية مقاومة

وهذا الفرق العظيم بين الانسان البدائى وبين الانسان المتوحش يجب أن نؤكده هنا فالانسان البدائى لا يعرف الزراعة وانما يعيش بجمع الطعام يجمعه ولا يستنتجه ، وليس له رؤساء ولا دين غير القليل جدا من العقائد ، وهو لذلك لا يعرف الحرب إذ ليست له جماعات منظمة . اما الانسان المتوحش فهو الذى تساقطت اليه عادات أمة متمدنة وقد ورث كثيرا من حضارة مصر القديمة وقد كان العالم القديم الذي تفشى فيه المصريون بدائيا ولم يكن متوحشا ولذلك لم يلق المصريون

فيه أية صعوبة وخاصة لانهم كانوا يطلبون أشياء لايقدر البدائيون قيمة لها مثل الذهب أوالمعادن الأخرى أو الطيوب أوالجواهر

« * »

وبدهى أن المصريين عند ما كانوا يحلون فى بقعة كانوا يسمونها باسم أحد آلهتهم أو باسم الميزة التى تمتاز بها واحياناً يكون هذا الاسم واضحاً فى اشتقاقه مثل أنقره (أنخ رع) وهو اسم نجده فى آسيا الصغرى كما نجده فى افريقيا الغربية. أومثل سقطري فى افريقيا الشرقية وهو سخث رع — حقل الرب رع

ولـكن بعض الأسماء المصرية القديمة قد استحالت إلى غير ما كانت عليه لأن بعض الحروف المصرية كان يشق على الأمم الأخرى التلفظ بها . فـكان يحدث فيها تحريف يشبه هـذا التحريف الذى نضطر اليه فى أيامنا هذه عند ما نعرب اسماً أوربياً يحتوى حروفاً لا تحتويها لغتنا

ولذلك فان المدينة التى كان يسميها أسلافنا تشاءان وجد العبرانيون فى النطق بهـا على أصلها صعوبة فجعلوها « زوان: صان » كما وجدالاغريق مثل هذه الصعوبة فجعلوها « تاءان : تآنيس » ولم تـكن المدينة وحدها تسمى بهذا الاسم بل كان الاقليم الواقع فى جنوبها يسمى أيضاً بهذا الاسم على نحو الطريقة المتبعة فى أقاليم الوجه القبلى حيث العاصمة والمديرية يتسميان باسم واحد . ومن هذا اسم زوان العبرانى لاقليم تشاءان . ثم اسم صان العربى

وبدهى اننا إذا وجدنا اسم تانيس فى روسيا أو انجلترا فاننا يجب أن نجد فيه شبهة من الأصل المصري

فاذا وجدنا حوله ملابسات مصرية أخري استطعنا أن نجزم بأنه هو أيضـاً اسم مصرى قد حرف لـكى يوافق اللفظ اليونانى

والأدلة التاريخية كثيرة على أن المصريين القدماء قد استعمروا روسيا الجنوبية وان بحر قزوين كان فى وقت ما تجوبه السفن المصرية بين الموانى المصرية العديدة التى أنشئت على سواحله وان المصريين عرفوا ممر آزوف ونهر الدون ونهر الفولجا

وقد كان هذا النهر الاخير يسمى إلى بطليموس الجغرافى (رها : رع) وقد وضعـه فى خارطة بهذا الاسم وإن كان النيل نفسه يسمى بهذا الاسم عند آبائنا .والمصرى القديم الذى عاش فى مصر ورفع نهر النيل إلى مصاف الآلهة وعرف قيمة الرى لا يسعه إلا أن يفتـتن برؤية نهر مثل الفولجا وأن يسارع الى اطلاق اسم رع عليه تشبيهاً له بالنيل

وقبل أن نترك بحر قزوين يجب أن نلتفت الى مدينة باطوم فان هذه المدينـة يبدو عليها أنه

حديثة ليست لها أية صلة بعصر القديمة . ولكن تاريخ مصر ينبئنا بأن الاسرائيليين أيام كان الفراعنة يضطهدونهم بنوا مدينة بيطوم (بالقرب من التل الكبير) . ولكن هذا التشابه لا يكفى لان نقول أن باطوم الروسية هى مدينة مصرية قديمة . وانما تقوم الحجة بملابسة عجيبة هى أن بالقرب من باطوم نهر يسمى ايسيس . ثم تقوى الحجة عندما نقرأ المؤرخ هيرودوتس الذى يقول فى صراحة أن المصريين استعمروا روسيا الجنوبية

ولفظة باطوم ، بيطوم تعنى فى اللغة المصرية القديمة « مكان الحرب ، الشمس »

ويصف هيرودتس الاقليم الذى يحيط ببحر قزوين فيقول أن سكانه الكولشيين « هم فى الحقيقة مصريون . لان بشراتهم سمراء وشعورهم صوفية ثم هم يمارسون الختان.

وكذلك لا ينسج الكتان غيرهم هم والمصريون على طريقة معينة هى طريقتهم الخاصة . ثم هما يتفقان فى عادات معيشتهما وفى كلامهما»

هذا ما يقوله هيرودتس الاغريقى . ويجب أن نلحظ هذه الكلمة الأخيرة التى تدل على أن سكان روسيا الجنوبية وسكان مصر كانوا يتكلمون بلغة واحدة أيام هيرودتس . ولم يكن هيرودتس مصريا ولا هو من القائلين بالدعوة الفرعونية حتى نتهمه فى روايته

ومثل هذا الكلام الذي قاله هيرودتس قد قاله أيضاً ديودور الصقلى والكاتب الذي علق على بندار ، ويقوله أبو لونيوس أيضاً

• • •

ولننتقل الى نهر الفولجا

فان المصريين عرفوا نهر الدون . ثم عرفوا نهر الفولجا أطول أنهار أوربا وأوفقها للملاحة وعليه موسكو عاصمة الجالية المصرية القديمة . أجل هذه المدنية العظيمة قد وضع أسسها أباؤنا واسمها المصرى لا يزال يدل على ذلك

وفى مرورنا على نهر الفولجا نجد رافدين أحدهما يدعى برا . والآخر يدعى تانا وكلتا اللفظتين مصرية . فان برا هى بارا التى عربت باسم فرعون أى البيت الكبير وهذا الاسم لا نجده فى روسيا وحدها بل فى انجلترا (وست كورنوال) وفى افريقيا الغربية . كما أن تانا هى نفسها تانيس (نشاءان المصرية) وقد كان نهر الدون نفسه يسميه الاغريق تانيس كما كانت البلدة المقامة عند مصبه تسمى بهذا الاسم . فلنجمع هذه الملابسات كلها :

١ — نهر الفولجا يسمى نهر رع

٢ — نهر الدون يسمى نهر تانيس

٣ — لنهر الفولجا الآن رافدان أحدهما تانا (تانيس) والآخر بارآ :فرعون

٤ — كان حول قزوين وفى روسيا الجنوبية أمة تدعى أمة الكولشيين كانت تختتن وتتكلم باللغة المصرية وتنسج الكتان على الطريقة المصرية ولها عادات مصرية

٥ — على بحر قزوين نفسه مدينة باطوم وبالقرب منها نهر أسيس وكلتا اللفظتين مصرية

. . .

والآن لننظر فى مدينة موسكو

إذا كان هذا الذى قدمناه صادقاً فيجب أن ننظر أيضاً الى موسكو ونتساءل لم لا تكون هذه المدينة العظيمة مصرية الاصل ما دام النهر العظيم ورافداه تتسمى بأسماء مصرية ؟

ان المشهور أن الامير الروسى دولجوروكى هو ألذى أسس موسكو سنة ١١٥٦ وانها أصبحت سوقاً عظيمة للفراء . ولكن لفظة موسكا تعنى الفراء (الجلود) فى اللغة المصرية القديمة . فالتفسير المعقول أن هذا الامير لم ينشىء المدينة فى مكان قفر بل على أطلال مدينة سابقة اذ كانت موسكو سوقاً للفراء أسسها المصريون وأطلقوا عليها اسم الفراء المصري ثم جاء دولجوروكى فبنى المدينة الحديثة

فها هنا مدينة تتجر بالفراء وتسمى الفراء باسمها المصري .

وتقوم على نهر يصعد عليه من نهر ورافدين بثلاثة أسماء مصرية .

وفى الجنوب ملابسات مصرية وأمة تتكلم باللغة المصرية بشهادة هيرودتس فهل يمكن أن نشك فى أن جالية مصرية أقامت هنا فى هذا الاقليم الجنوبى من روسيا وانها صعدت الى الشمال ولم تنقرض الا فى زمن قريب ؟

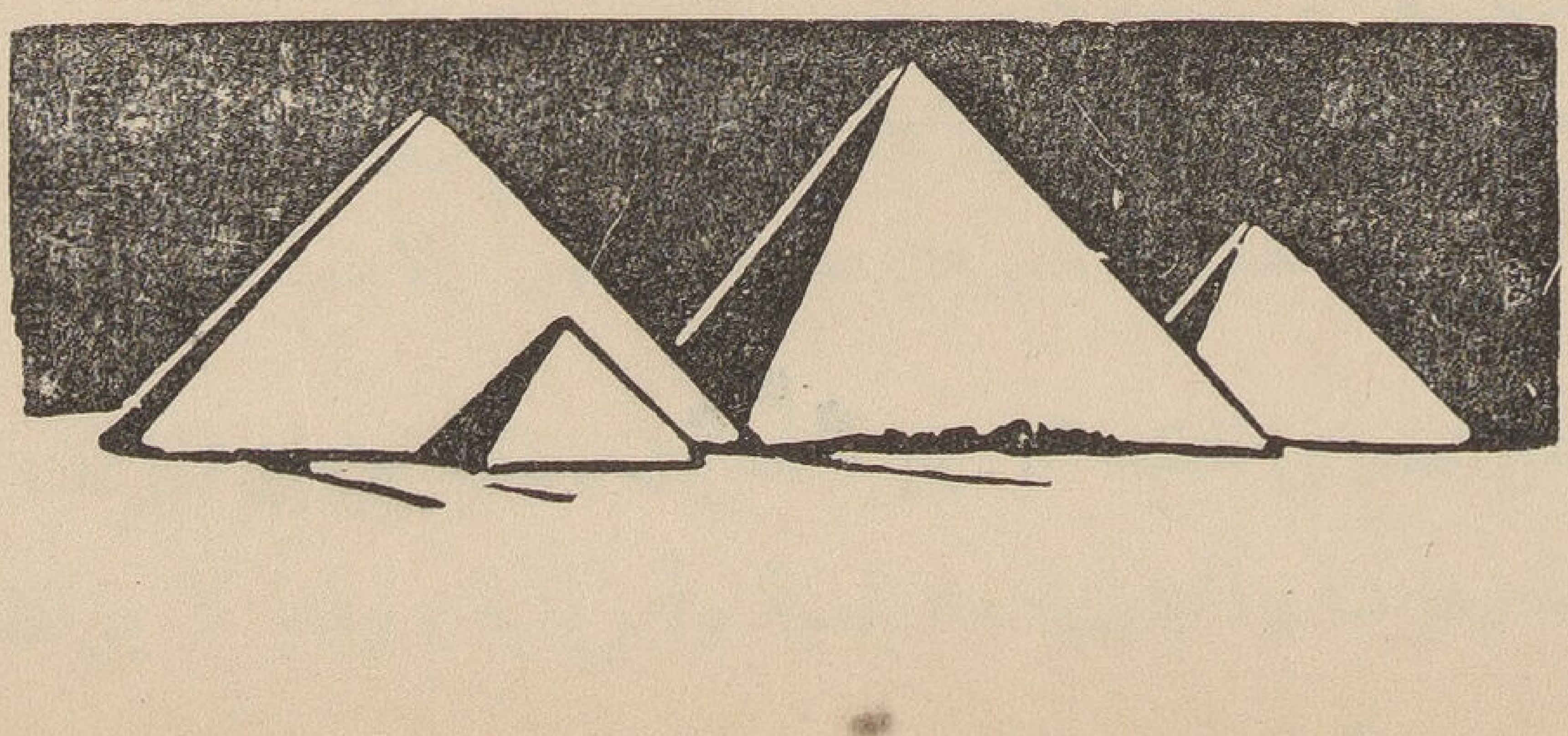

كتب الشهر الجديدة

التربية العلمية وعلم النفس

تأليف ايريس جبيب المصري . صفحاته ٤٤٠ من القطع الكبير
موضح بالرسوم . طبع بمطبعة الشمس

هذا الكتاب من الكتب المهمة فى التربية . وقد وضعته الآنسة المؤلفة عن درس وخبرة معاً . وهو ثلاثة أجزاء . الاول يبحث سيكلوجية الطفل وفيه فصول وافية عن صلة الجسم بالعقل . والعادات . والاستطلاع . والانتباه والتخيل . والذاكرة . والوجدان . والجزء الثانى يبحث نظريات التربية القديمة والحديثة مع فصل عن التعليم فى مصر منذ أيام محمد على . والجزء الثالث هو الجزء الفنى فى الكتاب إذ يختص بشرح الطرق التعليمية الحديثة . وبه فصول مختلفة عن التنظيم المدرسى . والامتحانات العامة . والأعمال اليدوية . والجغرافيا . والتاريخ الخ

والجزء الأول هو أهم الاجزاء للآباء إذ يبلغ ٢٣١ صفحة . وهو يشرح عقل الطفل أو سيكلوجية الاطفال . ومن واجب الآباء أن يقرأوا هذا الفصل بانعام ودقة . أما الجزء الثانى فيحسن بالجميع ـ معلمين واباء ـ ان يقرأوه على سبيل الاستنارة عن النظريات التعليمية الحديثة . والجزء الثالث هو للمعلمين وحدهم

وتكتب المؤلفة بلهجة مأنوسة وفى عبارتها سلاسة وسهولة تجعل قراءة الكتاب مما يفيد ويمتع معا . وقد أثبتت النظريات الحديثة قيمة السنوات الخمس أو الست الاولى من حياة الصبيان . وان الاخلاق التى يتخلق بها الانسان او الامراض التى قد يمرض بها ولو كان فى الخمسين من عمره قد تعود الى هذه السنوات . ولذلك قد ازدادت مسئولية الآباء فى تربية اطفالهم . ومن هنا قيمة الاستنارة العامة عن سيكلوحية الطفل . وهذا الكتاب هو احدى الوسائل لهذه الاستنارة

***

كتابان لجمعية نشر المعارف المسيحية

أعلام الفكر الفرنسى — مطبعة النيل ١٧٦ صفحة)
هل من تناقض بين الدين والعلم — « مطبعة مصر ١٣٩ صفحة »

يجب على القارىء العربى — والمسلم خاصة — أن يقرأ هذين الكتابين اللذين أخرجتهما جمعية مسيحية غايتها قبل كل شىء نشر الدين المسيحى . فان الكتاب الاول يبحث أعلام الفكر فى فرنسا من بسكال الى فولتير الى روسو الى رينان الى غير هؤلاء وبعض هؤلاء قد صرحوا فى ألفاظ أحياناً جارحة بأنهم لا يؤمنون بالله أو بالمسيحية . وقد يقال انهم يؤمنون بشىء ما . ولكن من السخرية أن نقول ان ايمان فولتير أو برجسون أو رينان يتفق وايمان جمعية تحاول نشر الانجيل والتوراة . بل هذا الكتاب الثانى قد يفتح أبواباً للشك، لعل بعض المؤمنين لا يعرفونها . ثم هى قد تفتح بسهولة ويشق اغلاقها بعد ذلك . فما الذى دعا هذه الجمعية إلى نشر هذين الكتابين ؟

دعاها أو دعا رجالها الى ذلك أنها تعيش فى سنة ١٩٣٧ فيجب أن نتكلم بلغة هذه السنة ويجب ألا نتجاهل هذه الشكوك أو هذه الصدمات التى يصدمنا بها العلم والتفكير الحديث . فمن الشجاعة ان نعمد الى النزاهة الفكرية ونجابه الحقائق . وإذا كان الدين المسيحى على حق فيجب أن يجابه هذه الحقائق ولا يقف منها موقف التجاهل الذى لا يرضى غير النعام، وحتى النعام برىء من التعامى الذى يعزى اليه

والكتاب الاول قد قام بتأليف معظمه آنسة انجليزية مستشرقة . وأضيفت اليه فصول لكتاب آخرين . اما الثانى فقد الفه الاستاذ طمسون وترجمه الاستاذ حبيب سعيد . وكلا الكتابين اجتهاد جديد فى الدين جدير بالاعجاب والثناء

أدب الطبيعة

تأليف مصطفي عبد اللطيف السحرتي صفحاته ١٣٠
من القطع الكبير من مطبعة التعاون بالاسكندرية

هذا الكتاب درس ممتع فى النقد الادبى الحديث . فقد عرض المؤلف فيه لشعر الطبيعة فى آداب مختلفة . مصرية وعربية وانجليزية وفرنسية وأمريكية . وقد لا يوافقه القاريء على بعض آرائه أو تعميماته ولكنه بلا شك سينتفع من عرضه ونقده . وهاك ما يقوله مثلا عن الصيرفى :

ومن حسن الحظ أن سعد الجو الادبى بشعراء من الشباب عبروا عن خواطرهم وشواهدهم فى الطبيعة فى قصائد ممتعة ، لا تقل عن قصائد الرواد السالفين أصالة وجمالا ، ونذكر من هؤلاء الشعراء الشاعر الوجدانى حسن كامل الصيرفى وهو وتر من أوتار الطبيعة الرقيقة ، وله شعر رمزى حنون فى ديوانه « الالحان الضائعة » ، ففى قصيدته « حياتى » يقول

إذا الفجر حرر منى الجفون   وأيقظ فى القوى الخائرة
وهب نسيم الصباح العليل   يوزع أنفاسه العاطرة
ورنت على راقصات الغصون   سواجع كالأنفس الشاعرة
صحوت أناجى خيالا جميلا   وفى ناظرى رؤى ساحرة
فآخذ قيثارتى فى هدوء   أوقع ألحانى العابرة !

ولهذا الشاعر الذى يدخر له الأدب المصري الحنان ، معان أصيلة فى الطبيعة ، فقد شبه شذى الزهر فى احدى قصائده بنفثاته الحسري فقال :

نعم ! أنت مثلى أيها الزهر مرغم   وما هذه الالوان غير شيات
وما العطر الا أنة وتوجع   كأصداء أنغامى ورجع شكاتى !

وله قصيدة « الشاطئان » ، وهى تماثل جميع قصائده ذات الأسلوب الأثيري ، وقد جاء فيها :

تعالى فى حمى الفجر   نجل بين الازاهير
فهذا ملك الشعر   يناجى ربة النور

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

عادة الذكاء

الذكاء والأخلاق توأمان لا ينفصل أحدهما من الآخر على الرغم مما يقال ضد ذلك . وانما ينشأ الشك لأننا نخطىء فهم الأخلاق أو الذكاء . فان البليد فى ذهنه هو أيضاً بليد فى أخلاقه . فنتوهم هذا الركود فى الأخلاق كالاحجام عن التطلع والامتناع عن النقد وضعف الطموح والقناعة بالقليل — نتوهم خطأ ان هذه الأخلاق حسنة وأنها تعود إلى الذكاء . ولكنها فى الحقيقة أخلاق بليدة راكدة ترافق الذكاء البليد الراكد

ولكن يجب أن نعرف أن منبع الذكاء هو نفسه منبع الأخلاق . فان الأخلاق عادات أى استجابات قد تعودناها . وكذلك الذكاء عادات أو استجابات قد تعودناها . ويمكن القارىء أن يدرك قيمة العادات فى الذكاء حين ينظر إلى بعض الناس وكيف أنهم « اعتادوا » النظر الفكاهى للأشياء . فان هؤلاء الأشخاص يستنبطون النكتة الفكاهية من كلامنا وحركاتنا ومن الحوادث بل أحياناً من المصائب . وليس ذلك إلا لأنهم اعتادوا أن يستجيبوا لهذه الأشياء بالفكاهة

وكذلك الحال فى سائر ألوان الذكاء . فاننا قد نعتاد ان ننتقد أو نتطلع أو نتناول الموضوع بالخفة أو الوقار وبالنقد والشك أو بالتسليم والتصديق . وكما أن الأخلاق أحياناً قد تدعونا إلى الاقبال أو الصدود كذلك الذكاء قد ينشأ من الاقبال كما تنشأ البلادة من الصدود

فنحن نصد عن الخمر ونكف أنفسنا عن كلمة السوء ونسمى هذا الصد وهذا الكف أخلاقا حسنة . والتلميذ الذى تبدو بلادته فى احد الموضوعات انما قد صد عن هذا الموضوع من حيث لا يدرى . فهو يرفض أن يتفهمه . أى أنه يستجيب له استجابة سلبية كأنه يقول لا . ومن هنا البلادة الشاذة التى ترى فى بعض الصبيان والذكاء الشاذ الذى يرى فى بعض آخر . فان الفريق

الاول يصد ويرفض التفهم . والفريق الثانى راغب فى التفهم

والناس بالطبع يختلفون فى مقدار الذكاء الطبيعى الذي ولدوا به كما يختلفون فى هيئة الجسم ، ولكن الاختلاف المكسوب أكبر جداً من الاختلاف المولود . ذلك اننا نعتاد عادات مختلفة من الوسط الاجتماعى الذى نعيش فيه . وهذه العادات هى التى تعين لنا أخلاقنا حسناً وسوءاً ترافقها عادات أخرى تعين لنا ذكاءنا كيفا وكما

وكما أننا نستطيع أن نعود الصبي أن يستجيب بالشجاعة والثبات أو بالجبن والفرار أمام الخصم المفاجىء كذلك نستطيع أن نعوده أن يستجيب بالتطلع والنقد أو بالاحجام عنهما إزاء الحوادث والأشخاص والكتب

ولسنا بالطبع نتحدث هنا عن الصبي الأبله الذى لا نستطيع بالعادات وغرس الاستجابات الحسنة أن نصلحه . ولكننا نتحدث عن البلادة التى هى فى معظم الحالات استجابات سيئة

الزواج واليوجنية

ذكرت احدى الجرائد أن سيدة قد انتحرت . وقيل فى أسباب الانتحار انها وجدت نفسها بعد مرور عامين من الزواج انها قد أصيبت بمرض انتقلت عدواه من زوجها اليها ولا يمكن شفاؤه

وهذا الخبر المؤلم المحزن يجب أن ينبه الأمة والحكومة معاً . فان هناك شباناً يعرفون فى أنفسهم انهم مرضى بأحد المرضين الزهريين السفلس أو السيلان ومع ذلك يقبلون على الزواج وهم لا يبالون عدوى الزوجة أو عدوى الأولاد الذين يجيئون ثمرة لهذا الزواج . أو هم قد يجهلون عواقب هذين المرضين فلا يحجمون عن الزواج . فللفريق الاول يجب أن نضع عقاباً . وللفريق الثانى يجب أن نقدم الارشاد والنور . وخير من هذين العملين أن نمنع الزواج إلا بعد كشف طبي دقيق نجيز فيه وقف الزواج أو تأجيله متى ظهر فى أحد الخطيبين مرض معد سواء أ كان واحدا من هذين المرضين الزهريين أم كان مرضاً آخر كالتدرن

ولكن الأرجح أن الجمهور فى مصر لا يرضى بالكشف الطبي كما أن الحكومة قد تجد تكاليف هذا الكشف كبيرة . ولذلك يجب أن ينص فى قوانيننا على معاقبة الأزواج الذين تنتقل عدوى الأمراض منهم إلى زوجاتهم . وخاصة تلك الأمراض الزهرية التى لا يباليها أصحابها . فان مرض السيلان يوهم المريض انه من أتفه الأمراض وأخفها مع أنه يشك كثيراً فى أن المريض به يشفى مدي حياته . بل من المؤكد انه إذا انتقل إلى المرأة فانها تبقى مريضة به مدى حياتها . لأن

أعضاءها التناسلية غاية فى الاشتباك والتشعب ولا يعقل أنه يمكن تنظيفها

ولذلك فان الشاب الذى ينقل إلى زوجته هذا المرض يجب أن يثق أنه قد نقل اليها مرضاً سيلازمها مدى حياتها . وقد يكون سبباً فى عمى الاولاد . ومن هنا تتضح الجناية الكبرى فى المجانة التى ينظر بها بعض الشبان إلى هذا المرض الوبيل

وكذلك الحال فى السفلس هذا المرض الزهرى الآخر . فانه على الرغم من شيوع الدواء الذى اخترعه أرليخ لا يزال كثير من الشبان يهملون التعالج . بل لقد عنيت حكومتنا بايجاد مستوصفات لهذين المرضين . ولكن حديثاً قصيراً مع أحد الأطباء الذين يعملون فى هذه المستوصفات يبين قصورها عن المعالجة ولا نقول القمع

والأمة التى تعنى بتأصيل أبنائها يجب أن تبدأ العناية بالزواج . وقد سنت قوانين كثيرة فى الأمم المتمدنة ليس لمنع المرضى فقط من الزواج بل لمنع الناقصين أيضاً سواء أكان هذا النقص فى الجسم أم فى العقل . ولا نظن القارىء قد نسى التعقيم الذي تمارسه المانيا والولايات المتحدة . فان الأمم الذكية تعنى بتأصيل السلالات الانسانية التى تنتمى اليها بقصر التناسل على الأصحاء فى الجسم والعقل الخالين من الأمراض

وسهولة الزواج والطلاق فى مصر تجرىء كثيرين على الزواج . وهم لو كانو فى أوربا لما تجرأو إذ هم كانوا يعرضون أنفسهم لجزاءات تختلف من الغرامة الفادحة فى صورة النفقة الى التعقيم

وبودنا لو تنتشر الثقافة الجنسية الصحيحة التى ترشد الشبان عن الاضرار البالغة التى يقعون فيها وطرق الوقاية منها أو معالجتها . فاننا لا نكاد نتخيل شاباً يعرف العواقب الهائلة فى أبنائه من مرضى السفلس أو السيلان ثم يجرؤ على الزواج قبل أن يثق بالشفاء . وهناك لفظة حاولنا إدخالها فى لغتنا قبل نحو ثلاثين سنة هى لفظة « اليوجنية » أى العلم الذي يبحث الوسائل لتحسين النسل أو تأصيله

فان لهذا العلم من الكتب والمجلات عدداً وافراً يبحث هذه الوسائل ويعنى أكبر العناية بدرس الوراثة فى ألوان التفوق أو القصور الذهنى وأنواع النقص أو الكمال الصحى . ولا نكاد نعرف كاتباً يتناول هذا الموضوع فى اللغة العربية . ومجلاتنا تعنى إلا بالقيل والقال الذى يبلد الذهن ويحبب إلى الجمهور السخف

وهذه المأساة التى ذكرناها فى أول هذه الكلمة عن انتحار الزوجة المريضة تتكرر كل يوم بصور مختلفة قد لا تبلغ الانتحار . ولكنها ترى فى وفيات الأطفال وأمراض عيونهم وآلام الزوجة او عقمها . كما أن هناك مآسى أخري فى أولئك البله والناقصين الذين يولدون من أبوين قد

يكون أحدهما من أرومة ناقصة الذكاء أو عليلة الجسم . فالأمة فى حاجة إلى أن تستفيض فيها الثقافه الجنسية وإلى أن يعرف شبابنا وفتياتنا أصول اليوجنيه حتى لا يقدم أحد على الزواج الا بعد أن يثق بأن شريكته ليست فقط سليمة الجسم والذهن بل هى أيضاً من أسرة تمتاز بهاتين الميزتين وكذلك كل فتاة تطلب مثل هذه البغية من خطيبها وأسرته

موسولينى والمحار

إذا كنا نحمل على موسولينى أونبين ما فى الفاشية الايطالية من خسة ودناءة وتوحش فان هذا لا يمنعنا من أن نعترف للشيطان بحقه . فان الفاشيين الايطاليين قد أحيوا الزراعة فى بلادهم ووضعوا من القواعد الاقتصادية الصارمة ما جعل ايطاليا تحتفظ بثروتها وتزيدها وتكاد تخلق المال من العدم

وليس شك أن الشدائد التى تحيط بايطاليا تبعث فيها من الرجولة النادرة بل الشاذة ما يجعل زعماءها يفكرون كثيرا فى تزويد وطنهم بما ينقصه من الحاجات الاقتصادية . وقد كانت هذه الشدائد سببا مدة الحرب الكبرى لأن تستغل المانيا الهواء فتستخرج منه السماد الكيماوى للزراعة بعد أن انقطعت عنها واردات شيلى من الأسمدة

ويذكر القراء أن ايطاليا مدة الحرب الحبشية أذاعت أنها اهتدت الى طريقة خاصة لصنع الأقمشة من اللبن . وقد ذكرت بعض الصحف أن عينيات من الأقمشة التى تشبه الصوف ولها كثير من خواصه قد عرضت . واللبن تصنع منه الآن مصنوعات جامدة كثيرة مثل أكرة الباب ويد المظلة والازرار والأقلام ونحو ذلك . ولكن اذا كانت ايطاليا قد نجحت فى استخراج قماش منه فان نجاحها يعد فوزا عظيما

وقد برعت ايطاليا فى صنع الريون أى الأقمشة الصناعية التى تسميها العامة « الحرير الصناعى » وذلك لكى تستغنى عن استيراد القطن . فان القطن تؤدي ثمنة للاقطار الأجنبية مثل مصر أو الهند أو الولايات المتحدة . أما الريون فتجد مواده الأولية فى غاباتها وأشجارها . وهى لذلك تدفع هذه الصناعة دفعاً شديداً موفقا

وقد فكر الفاشيون هذه الأيام أو منذ السنتين أو الثلاث الأخيرة فى استغلال البحر لاستخراج الأقمشة منه . وذلك أن فى البحر المتوسط محارة تشبه المروحة التى لم تبسط كل البسط . وهى كثيرة

على سواحلنـا . وهذه المحارة تلصق بطين السواحل تحت الماء وتغرز نفسها بحيث تكون قاعدتها الى أسفل . ومن هذه القاعدة بين الصدفتين تخرج خيوط كأنها الجذور تربط المحارة فى المكان الذي هى عليه حتى لا يجرفها التيـار . وقد كان الرومان يستخرجون هذه المحارة ويستعملون هذه الخيوط للاقمشة النادرة التى يستظرفهـا الامبراطرة ويلبسونها على سبيل التزين والابهة . ولـكن الفاشيين مدة الضغط الاقتصادى الذي أحاط بهم وقت الحرب الحبشية حين سلطت عصبة الامم عليهم الجزاءات الاقتصادية فـكروا فى كل شىء . وكانت محارة المروحة هذه بعض ما فـكروا فيـه . ولذلك نشطوا فى صيدها واستخدام خيوطها وقد حققوا جزءاً كبيرا من النجاح فى ذلك

وفى ايطاليا عيون ساخنـة كثيرة تستخدم قوتها هذه الأيام للاغراض الصناعية . فان القوة تـكون حيث يكون التفاوت بين حرارتين والعـبرة باستنباط الآلة التى تستخدم هذا التفاوت للفوائد الاقتصادية

ومع أن الحروب من الـكوارث العظمى التى تبتلى بهـا الأمم فانها كانت سببا لايجاد صناعات جديدة كثيرة . وذلك لأن الضيق الذى ينشأ من الحصارات البحرية أو الـبرية يفتق الاذهان الى الاختراع . فان بريطانيا حاصرت فرنسا أيام نابليون ومنعت عنها سكر القصب فاخترع الفرنسيون سكر البنجر . وبريطانيا حاصرت المانيا مدة الحرب الـكبرى ومنعت عنها سماد شيلى فاخترع الالمان سماد الجو . وهذه ايطاليا أمرت عصبة الأمم بحصارها مدة الحرب الحبشية ومنعت عنهـا القطن وغيره من المواد الأولية فعمدت الى الريون وزادت المصنوع منه ثم ارتادت سواحلها واستخرجت محارة المروحة تصنع منها الأقمشة كما فـكرت فى اللبن واستعمال مشتقاته أقمشة ومصنوعات أخرى

وعلى هذا يجب أن نقول ان فى بعض الشرور بذرة من الخير وان شياطين الفاشية الايطاليـة الذين ذبحوا الأحباش وفتـكوا بالـكرامة الانسانية قد يحسنون الى العالم بايجاد صناعات جديدة لا عهد له بها من قبل

دستور الهند

يعرف القراء أن الحـكومة البريطانية منحت الهنـد دستورا وان الانتخابات قد أجريت بما يطابق هذا الدستور وأعلنت النتيجة ودعيت البرلمانات فى أول ابريل . وقد الفت الوزارات بالفعل فى جميع الولايات التى فازت فيها أ كثرية معينة تبرر ايجاد وزارة مسئولة منها . ولـكن حدث فى ست ولايات كبرى هى بومباى ومدراس واوريسا وبهـار والولايات المتحدة والولايات الوسطى أن أنتصر المؤتمر فرفض تأليف الوزارات

أما السبب للرفض فيرجع الي أن المؤتمر الهندى وهو الهيئة الشعبية التى تسعى لاستقلال الهند يطلب من الحكومة الهندية أن تتعهد بالا تستعمل حقها فى المنع اى أن الحاكم الانجليزي (الذى يمثل امبراطور الهند) يجب عليه ألا يلغى قانونا أقرته البرلمانات الهندية . وقد رفضت الحكومة الهندية أن تجيب هذا الطلب . وحاول رجل السلام غاندى أن يسعى للسلام فطلب « كلمة شرف » من نائب الملك بالا يستعمل هذا الحق ما دامت البرلمانات تؤدي واجباتها فى نية حسنة . فرفض نائب الملك أعطاء هذه الكلمة . وكانت النتيجة أن المؤتمر دعا جميع أعضائه والمنتمين اليه أن يرفضوا تأليف الوزارات وباتت ست ولايات من أكبر الولايات فى الهند بلا وزارة تؤديدها أكثرية فى البرلمان

والهند نحو ٣٦٠ مليون منهم ٢٨٠ مليون يعيشون فى ولايات بريطانيا أى ليس عليهم حكام وطنيون كالراجا أو المهراجا بين الهندوكيين أو النواب بين المسلمين. وأكثر من ثلاثة أرباع هؤلاء الـ ٢٨٠ مليون يعيشون فى الولايات الست التى فاز فيها المؤتمر والتى أمر بالا تؤلف فيها وزارات من الاحزاب الفائزة

ومعنى هذا أنه بعد خمسة أشهر أي فى أول أكتوبر من هذا العام ستلتئم البرلمانات الهندية . ثم تنظر فى هذه الولايات الست الكبرى فتري وزارات قد عينها النائب العام من احزاب الاقلية فتقترع وترفض الثقة بها . فتسقط الوزارات . وعندئذ يعود النائب العام فيحل هذه البرلمانات ويعين مواعيد لانتخابات جديدة

***

هذه هى المعضلة القائمة فى الهند . وهى معضلة خلقها المؤتمر وكان يمكنه تفاديها حتى يرى كيف يسير الدستور ، وما هى الطريقة التى سيستعمل بها حق « المنع » . وكذلك كان يمكن النائب العام أن يصالح المؤتمر ويقبل اقتراح غاندى باعطاء كلمة الشرف بأنه لن يستعمل حق المنع إلا فى حدود المصلحة العامة أو حدود أية كلمة أخرى غامضة يمكن بها عبور الازمة

ومع أن هذا الدستور الجديد قد عده رجال المؤتمر نكبة وطنية حتى احتجبت الصحف الهندية يوم أول ابريل احتجاجاً عليه فان مما لا شك فيه أنه خطوة بل وثبة للهند إلى الأمام . فان الهند قد عرفت به معنى الحكم البرلمانى والتصويت والانتخابات وأدركت مغزاها فى سلطة الأمة . وقد منح حق التصويت والانتخاب للنساء فذهبن وأدين واجبهن . وفرق عظيم بل هو فرق بين النور والنار هذا الفرق بين الأرملة الشرقية التعسة التى كانت تحرق نفسها بعد وفاة زوجها وبين المرأة المتفرنجة الشريفة التى تقصد الى صندوق الانتخاب لكى تختار من ينوب عنها أو التى

ترشح نفسها للانتخاب وتعلن عن برنامجها وتدافع عنه وتدعو اليه

وقد أبدى الهنود شيئاً كبيراً من التطور الاجتماعى فى هذه الانتخابات . فقد سقط من المرشحين ثلاثة من الراجوات (أى الأمراء) وسقط ثمانية من الوزراء السابقين كما سقط اثنان من رؤساء المجلس التشريعى السابق . وهذا برهان على أن عقلية الهنود قد غسلت من أدران شرقية كثيرة

ولا نستطيع أن نتكهن بما سوف ينتهى اليه الخلاف بين المؤتمر وبين الحكومة الهندية . ولكننا نظن أن لا بد من التسوية والصلح وأن المؤتمر سيخرج منها فائزاً أو كالفائز

موسولينى والامهات الحبشيات

يذكر القراء أن التلغرافات نقلت الى الجرائد اليومية خلاصة لمقال نشرته الصنداى اكسبريس الجريدة الانجليزية المعروفة عن كتاب ظهر حديثا باللغة الايطالية . وخلاصة التلغراف ان هذا الكتاب يثبت أن الايطاليين كانوا ينوون الحرب ويتهيأون لها قبل حادث وال وال الذى عد السبب المباشر للمصادمة الاولى بين القوات الايطالية والقوات الحبشية

وقد وصل الينا هذا العدد من هذه الجريدة وقرأنا المقال وهو حافل بمقتبسات كثيرة من هذا الكتاب الذى الفه المارشال دو بونو . وهو القائد الذي قام بالفصل الأول من هذه الحرب التى لا يعرف التاريخ أسفل ولا أحط ولا أخس منها

ومن أعجب العجب أن موسولينى نفسه قد كتب المقدمة لهذا الكتاب . وقد أثبت بهذه المقدمة انه (الآن) يكره النفاق ولا يبالى أن يقول انه هو ودو بونو وكبراء الفاشيين قد دبروا هذه الحرب وانهم وقفوا امام العالم بوجهين احدهما وجه الغاضب للحق الذى يتهم الاحباش بالتحرش ويعتصم بالفضيلة أمام عصبة الامم ووجه آخر باسر كاشر يعبىء الموت للاحباش المساكين ويوزع بين امرائهم وقوادهم الذهب لكى يحجموا عن القتال ويخذلوا الامبراطور المجاهد لاستقلال بلاده .

ونحن ننقل بعض هذه المقتبسات لكى يعرف القراء مقدار المجانة التى ينظر بها هؤلاء الفاشيون للاخلاق . فان هذا المدعو دو بونو يقول بالحرف :

« كان من الرأى الحازم للزعيم أن تنهى المسألة قبل نهاية سنة ١٩٣٦ . وكنا فى ذلك الوقت فى خريف سنة ١٩٣٣ . ولم يتحدث الزعيم مع انسان عن الاعمال الحربية القادمة فى أفريقيا الشرقية . وكنا نحن فقط – أنا وهو – على علم بما سوف يحدث . ولم تفلت من أحدنا كلمة الى الجمهور »

فانظر أيها القارىء الى هذا القول ، فان التدبير قد تم فى خريف سنة ١٩٣٣ أى قبل الحرب بعام كامل تقريباً ومع ذلك قيل ان الاحباش فى نوفمبر سنه ١٩٣٤ تحرشوا فى والوال بالايطاليين ومع ذلك أيضا لا يخجل دوبونو من التصريح بهذا التدبير ولا يخجل موسولينى من كتابة المقدمة لهذا الكتاب

ثم يقول هذا المدعو دوبونو بالحرف .

« وقد بسطت هذه الاعتبارات أمام الزعيم . فقلت : أن الأحوال السياسية فى الحبشة فى غاية السوء . ولكن لن يكون من الشاق علينا أن نتمم تمزيق الامبراطورية إذا كنا سنحسن العمل على الاصول السياسية

« فوافقنى الزعيم ثم أمرنى بأن أسير إلى الغاية بأسرع ما يمكن . وأن أعجل بالاستعداد . فقلت له : سنحتاج الى المال . الى مال كثير . فأجابنى موسولينى : لن ينقصنا المال »

وبقى هذا التدبير — لا بل هذه المؤامرة — سراً حتى أن هيئة اركان الحرب فضلا عن الجمهور لم تدر عنه شيئاً فى أول الامر . وكان موسولينى يحفظ جميع الوثائق الخاصة بهذا التدبير عنده لأنه كان يخشى أن تذيع هذه المؤامرة . ثم يقول المدعو دوبونو بالحرف :

« وفى ٢٠ نوفمبر من سنة ١٩٣٤ وضع رئيس الحكومة نفسه الارشادات ونظام الاعمال الحربية لحل المسألة الايطالية الحبشية . ولم ينشر من هذه الارشادات سوى خمس نسخ »

ووجد موسولينى أن الامبراطور يرفض أن يكون البادىء بالحرب . فكتب يقول بالحرف : إن « النجاشى يرفض أن يكون البادىء فى هذه المصادمة » . .

وفى ٨ مارس من سنة ١٩٣٥ كتب الى المدعو دوبونو يقول : « إنى أعتقد تمام الاعتقاد انه ما دمنا قد اضطررنا إلى أن نكون البادئين بالقتال فى أواخر اكتوبر أو سبتمبر فان علينا أن نجهز قوة مؤلفة من ٣٠٠٫٠٠٠ مقاتل تؤيدها ٣٠٠ إلى ٥٠٠ طائرة و ٣٠٠ أتومبيل سريع . وحتى مع توقع المناقشات الدولية (عصبة الأمم الخ) فاننا يجب أن نسرع السير »

ويشرح دوبونو مهمته فيقول انها كانت مزدوجة . إذ كان عليه أن يقوم من جهة بالهجوم الحربى . وان يوزع من جهة أخري أموال الرشوة على الأحباش الموالين للأمبراطور لكى يخذلوه . وهو يصف هذه المهمة الثانية بقوله بالحرف :

« منذ بداية الحملة كانت تبدو لنا إمارات النهاية لهذا التمزيق السياسى وأن هذا التمزيق قد كف عنا قتال ٢٠٠٫٠٠٠ جندى حبشى »

هذا هو بعض المقتبسات التى نقلتها الصنداى اكسبرس من هذا الكتاب . وهى تبين روح

الشر والغدر الذى كان تمتلىء به قلوب الفاشيين نحو الحبشة كما تبين أن دعوى التحرش الذي اتهم به الأحباش كاذبة . وهى تبين زيادة على ذلك أن موسولينى لا يبالى أن يقول انه المعتدى . وهو بهذه الجرأة قد أثبت أنه (الآن) رجل يكره الكذب

وقد أثبت دوبونو بهذا الكتاب أن الدم الذى كان يجرى فى أسرة بورجيا لا يزال حياً يجرى فى بعض الايطاليين . فان أعضاء هذه الأسرة الشقية كانوا يقتلون الناس بالسم غدراً وختلا . وقد قتل موسولينى ودبونو الأحباش غدراً وختلا

وفى الحبشة عشرات الألوف من الأمهات الحبشيات ينحن الآن ويندبن أبناءهن المقتولين بالغازات والقنابل الايطالية . وفى رومة يشرب أبناء أسرة بورجيا النبيذ فرحين متهللين بالنصر . فلعنه الله على أسرة بورجيا وتقاليدها

لعنة النوم

اذا نظرنا الى القيم الانسانية لم يسعنا الا الاعتراف بأن النوم هو أسوأ العادات الانسانية . إذ هو موت وقتى نغيب فيه عن الحلو والمر فى الحياة فلا نفرح ولا نحزن ولا نزداد اختبارا ولا نمارس لذة . وقد يقال ان النوم لازم للصحة . وربما يكون الأمر كذلك . وعندئذ يجب أن نقول أن من مأساة حياتنا أن يكون النوم لازم للصحة أى أننا لا يمكننا أن نعيش سبعين سنة دون أن نقضى عشرين سنة على الأقل نقضيها منطرحين على الفراش ونحن غائبون عن الوجدان لا نحس ولا نعقل

قبل أسابيع كنت مع أحد الانجليز . وهو يقارب السبعين . وقد عقد معى ميعاد المقابلة هو منتصف الساعة الرابعة . وفى مثل هذه الساعة قد اعتدنا أن نموت فى مصر أى ننام نوم القيلولة . ولكننى اضطررت الى مقابلته وسألته فى غضون الحديث هل لا يقيل ؟ فأجابنى بأنه لم ينم قط فى النهار

فلنفهم هذا نحن المصريون . رجل يبلغ السبعين ولم ينم قط فى النهار . فلماذا ننام أى لماذا نموت نحن فى النهار

للنوم علتان احداها نفسية والأخرى جسمية . فنحن ننام اذا سئمت النفس الدنيا وكرهت مواجهة الواقع . أما إذا أحببنا الواقع فان النفس لا تطلب النوم الا عند اعياء الجسم . وهذا قليل ونحن أحيانا نكره الدنيا ونطلب هذا الموت المضمر لاننا لا نطيق قراءة كتاب سخيف أوحديث رفيق ثقيل أو لأننا متشائمون . فقد كان نابليون أيام انتصاراته يقنع ببضع ساعات من النوم لأنه

كان يشتهى الحياة ويلتذها ويفرح بالانتصارات . ولكنه فى ليلة واترلو عقب الانكسار نام أكثر من ١٢ ساعة . والمقامر الذى يهتم باللعبة لا يحتاج الى نوم والمحب العاشق كذلك . ولكن السأم يبعث على النوم أى كراهة الحياة

فهل نحن فى مصر ننام كثيراً لأننا نكره الحياة أو هل الواقع فى هذه الحياة لا يرضينا فنحب أن نهرب منه كلما استطعنا ذلك ؟ وهل الانجليز يحبون الحياة فيكرهون النوم . أو بكلمة أخرى هل نحن فى ادماننا النوم بعد الظهر وفى الليل نشبه نابليون ليلة واترلو فى حين أن الانجليز يشبهونه فى وقت انتصاراته ؟ هل نحن مهزومون فى الحياة قد استقر فى عقلنا الباطن أننا مهزومون ؟

ليس شك فى أن نفوسنا مريضة لأننا فى طورنا الاجتماعى الحاضر غير راضين عن الدنيا الجديدة وغير قانعين بالدنيا القديمة . والانسان فى مثل هذه الحال قد يهرب من الدنيا بما هو أسوأ من النوم فى مثل الخمر أو الحشيش أو حتى المخدرات القاتلة الأخرى

ولكن للنوم علة بل عللا أخرى جسمية . فان الاعياء يبعث على النوم . ولكن هذا الاعياء قلما نحس به لأننا لم نتعود الجهد والكد فى العمل . وأغلب الظن ان العلة الجسمية الأصلية لكثرة النوم أو على الأقل لجناية النوم فى النهار . فاننا نثقل أنفسنا بالطعام فى الغداء فيسترخى الجسم كله وينحصر جميع نشاطه فى القناة الهضمية ويشملنا ذلك التخدير الذي يشمل أفعى البوا عقب التهام الفريسة . أو نحن بكلمة اخرى نمرض كل يوم وننام حتى نشفى

ويختلف الغداء الانجليزى من الغداء المصرى من حيث أن الثانى يبلغ خمسة أضعاف الأول وهو لذلك جدير بأن يخدرنا ويقسرنا على النوم

فلكى نعيش أكثر مما نعيش الآن يجب على الأقل أن نلغى نوم النهار اما بالغاء الغداء وأما بتخفيفه حتى لا يقهرنا على النوم ـ هذه اللعنة التى كتبت علينا والتى يجب أن نخفف من آثارها كلما استطعنا

يجب أن نلبس القبعة

أجل يجب أن نلبس القبعة

ويجب أن نلبسها ولكن ليس لأنها صحية أكثر من الطربوش تقينا الشمس والمطر . فان هذا الاعتبار ليس كبير القيمة إذ أن صحتنا تتحمل شمس بلادنا والمطر قليل عندنا . ويمكن الذين

يخشون الشمس أو المطر أن يحتموا منهما بمظلة اذا شاءوا . فلا يجوز لاحد أن يقول ان القبعة أصح للجسم من الطربوش

وكذلك لا يجوز لاحد أن يقول انها أرخص من الطربوش . وان كان لهذا الاعتبار قيمته فى أمة فقيرة مثل مصر . فان الطربوش الذى نشتريه باربعين أو خمسين قرشاً يمكننا أن نشترى مايعادله من القبعات بثمانية قروش بل نزيد على ذلك أن القبعة يمكن أن تصبح صناعة وطنية لان جميع موادها الاولية فى مصر نجدها فى القطن والصوف وغيرهما ثم هى مع ذلك سهلة الصنع يمكن الفلاح أن يجدلها بيـده فى فراغه بل هو يفعل ذلك الآن عند ما يجد نفسه مضطراً الى ركوب النورج فى درس القمح

لا . لا نقول انه يجب أن نتخذ القبعة لأنها صحية أو لأنهـا رخيصة أو لانها يمكن أن تعود صناعة وطنية فان كل هذه الاعتبارات ليس لهاقيمة كبيرة فى نظرنا وعندناعادات قد تعودناها وهى تـكلفنا فى صحتنا وما لنـا أكثر مما يكلفنا الطربوش ، وهى أجدر بالتفاتنا من هاتين الناحيتين أكثر من الطربوش . ولـكننا ندعو الى اتخاذ القبعة لسببين اثنين

السبب الاول أننا اذا اتخذنا القبعة فاننا نعمم الزى بين جميع أبناء الامة أى أن ١٦ مليونا يلبسون القبعة الرجال والنساء والاوانس والصبيان سواء ساكن الريف وساكن المدينة . أما الآن فان الذين يلبسون الطربوش لا يزيدون على ربع مليون أفندى بل ربما كانوا أقل وهم بهذا الحساب لايزيد عددهم على واحد مطربش بين ٦٤ غير مطربشين . ومن الـكذب أن يقال لهـذا السبب أن الطربوش شعار قومى أو وطنى فان مثـل هذا الشعار لـكى يوصف بالقومية أو الوطنية يجب أن يتخذه جميع السكان أو على الاقل أكثريتهم اما أن يكون عدد من يتخـذونه أقل من اثنين فى المائة ثم يقال بعد ذلك انه يجب علينا أن نحتفظ به ونعلق عليه كرامتنا فهـذا هراء أو سخف أو نصب وخبث

ولا يمكن أن نطلب من جميع السكان أن يتخذوا الطربوش لانه غالى الثمن فان الفلاح الذي لايزيد دخله فى العام على ثمانية أو عشرة جنيهات لا يمكنه ان يقتصد منها عشرين أو ثلاثين قرشاً يشترى بها طربوشا سيىء النسج يحول لونه بعد أيام

فنحن نطلب القبعة لاننا نعتقد أن الفلاحين مصريون مثلنا وأن توحيـد الزى « المصرى » يجب أن يشملهم كما يشملنا . لأن مصر ليست ملـكا خالصاً لربع مليون افندى هم الذين نعلق بهم الـكرامة الوطنية ونتحدث عنهم كأنهم كل القومية وكل الوطنية

فهذا اذن سبب لاتخاذ القبعة .وسبب آخر نهتم له كل الاهتمام هو أن القبعة هى الزى العام فى

العالم المتمدن كله يلبسها اليابانى كما يلبسها الصينى أو الايرانى أو التركى أو اللبنانى أو الانجليزى أو الامريكى ولا نحب أن نشذ عن العالم المتمدن وقد سبق أن اتخذنا البنطلون فلم يقل أحد أننا أضعنا قوميتنا باتخاذه فلماذا نضيع قوميتنا باتخاذ القبعة ؟

ولاتخاذ القبعة قيمة سيكلوجية فان الانسان يتأثر بلباسه الذى يخلق له جوا نفسياً خاصا فاذا نحن لبسنا كما يلبس المتمدنون سهل علينا أن نعد أنفسنا أعضاء فى هذه الاسرة المتمدنة التى تعيش فى قارات العالم الخمس وعندئذ يسهل علينا أيضاً ان نتخذ الاراء العصرية فلا نعود شرقيين منحطين نرضى بالحكومات الشرقية المستبدة وحجاب المرأة والايمان بالعقائد والخرافات والقناعة بالزراعة والفقر وانما نعمد الى جميع العادات الاوربية الراقية فنتخذها ونعمم الصناعات الكبرى فى بلادنا وننشر الايمان بالعلوم الحديثة ونتقح فى عيشنا حتى يعود البيت المصرى بيتاً عصرياً ونعنى هنا بالبيت المصرى بيت الفلاح قبل بيت الافندي

بل نزيد على هذا ونقول اننا نحب أن نرى الفلاح فى الملابس الاوربية كلها البنطلون والقبعة . وليس القبعة وحدها . ونحب أن نعجل فى هذا التطور بالالتجاء الى الحكومة حتى نجعل هذا اللباس الزامياً على جميع أبناء الامة

ان هذا الجلباب الذى يلبسه جميع الشرقيين المنحطين انما هو لباس الدعة والراحة عند الاوربيين فى منازلهم فاذا خرجوا ونشطوا لبسوا البنطلون ونحن ما دمنا نطلب النشاط لابنائنا فاننا يجب أن نتخذ ملابس النشاط كما يجب أن نتخذ القبعة شعار المتمدنين

فراغ شبابنا المتعطلين

يمكنك أن تعرف الشاب العاطل الذي استقر فى ذهنه أنه لا أمل له فى العمل . فان احساسه بأنه عضو عقيم فى الهيئة الاجتماعية يرتسم على وجهه بل على بزته وفى مشيته وهيئته العامة . فانك ترى اهمالا عاما فى كل هذه الأشياء

وهو اهمال يدل على اليأس والكمود والعجز . فهو يرى نفسه فارغا . ولكن فراغه عقيم كأنه خواء . ويري أن أي مجهود عبث فهو يترك العناية بصحته وهيئته وملابسه . بل هو قد يتطور من ذلك الى ترك العناية بأخلاقة . وهذا هو الواقع الذى نراه أحياناً . فان الشاب العاطل الذى يدوم عطله أشهرا أو سنين تتفكك عري أخلاقه وقد تنحل شخصيته . وهو فى هذه الحال قد ينتهى

الى أسوأ العواقب حتى لقد يفرج عن يأسه بالألتجاء الى الخمر أو غير ذلك

مثل هذا الشاب المتعلم اليائس كان يمكنه أن يحتفظ بأخلاقه ويستبقى شخصيته بل كان يرقى خلاقه وينمى شخصيته لو أنه كان يشغل ذهنه بدراسة مايتجه منها الى هدف يبعث فيه الطموح ألشريف للرقى الاجتماعى أو الثقافى . وكل درس يشغل الذهن . ولكن الطموح ينبعث اكثر لو كانت هناك فى نهاية المرحلة درجة أو شهادة يقصد الى نيلها

هذا الدرس سواء للمتعلم العاطل أو للموظف الذى يجد فراغا لايعرف كيف يستغله ، ينظم ذهنهما وأخلاقهماويكون شخصيتهما . لانه يفتح أملا يأخذ مكان اليأس وهذا الامل يبعث النشاط والهمة واليقظه

وقد قام أحد العلماء السيكلوجيين بتجربة تدل على الاثر النفسى السيء الذين يحدثه الفراغ بين العاطلين اذا استقر عندهم أن عطلهم دائم لاعلاج له . فان اليأس الذى ينشأ من هذا الاعتقاد يميت النشاط ويقتل الهمة ويمحو الطموح . فقد وجد هذا العالم باحصاءات قام بها ان العاطلين فى احدى المدن النمسوية على الرغم من وفرة الوقت الذى يجدونه للقراءة والتردد على المكاتب البلدية المجانية لايقرأون الا قليلا اى أقل جدا مما يقرأون حين يكونون عاملين فى أحد المصانع أو المتاجر فانهم هنا لايجدون من الفراغ غير القليل جدا ولكنهم - للطموح الذى يبعثه العمل - يقبلون على القراءة ويستزيدون فى الاستنارة ويجدون فى الدرس

فما هو مغزى، هذه التجربة ؟

مغزاها أن الأمل يبعث النشاط فى النفس والرغبة فى الرقى وينظم الحياة بعادات حسنة كالقراءة أو الرياضة . أما اليأس فيشل النفس ويعطل الحركة ويشتت القوي وقد يبعث على عادات سيئة يلجأ اليها اليائس على سبيل الهروب من الغم أو الكبت . ولذلك فان ساعة واحدة يمكن — مع الامل — الانتفاع بها للرقى الشخصى حين لا يمكن الانتفاع من يوم كامل مع اليأس

ونحن مكلفون لهذا البب أن نبعث الامل فى شبابنا والا نقفل امامهم طريق الطموح والرقى فان الشاب الذي حصل على البكالوريا وبقى عاطلا يجد فراغا يملأ نهاره وبعض ليله والشاب الذى حصل على هذه الشهادة وتوظف فى الحكومة أو فى الاعمال الحرة لايزال يجد فراغا يستغرق نصف نهاره وبعض ليله وهما اذا استقر اليأس فى نفسيهما فانهما يكفان عن الجهد الشريف للرقى الذهنى أو الاخلاقى . ولكننا اذا بعثنا فيهما الطموح فانهما سرعان ما يجدان النشاط فينظم كل منهماحياته ويستخدم فراغه فيما يفيد من الدرس

وصحيح أنه يمكن البعض أن يستخدموا أذهانهم للدرس المنتج ولو لم تكن نصب أعينهم شهادة

أو درجة جامعية ولكن هذا البعض قليل . والاختبار يدل على أن معظم ما يقرأ فى هذه الحال سخف وهذر يبلد ان الذهن بدلا من أن ينشطانه

والانتساب لاحدى كليات الجامعة يرسم للطالب خطة ويعين له برنامجا ويضع امامه هدفا فكأنه ازاء معلم يرشده الى مواد الدراسة فى موضوع بعينه كالآداب أو التعليم أو الحقوق أو غير ذلك ويبعث فيه الطموح الشريف لنيل درجة جامعية. وما هو أن ينتسب الشاب حتى نرى أن عاداته قد تغيرت . فانه يترك القهوة التى كان يقضى فيها وقته للقيل والقال ويراقب نفسه فى العادات الاخرى كالتدخين أو الشراب ويشرع فى تنظيم أخلاقه واستخدام ذهنه وتكوين شخصيته وهو هنا غير ما كان فى السابق . فهو يعنى بنشاطه وذهنه فلا يبعثرهما فى السخف من الرياضة أو القراءة

وخلاصة القول أننا يجب علينا ألا نشعر الشاب بأن فراغه عقيم . سواء أكان هذا الفراغ كليا عند الشاب العاطل أم جزئيا عند الموظف . لأن هذا الشعور بالعقم فى الفراغ يؤدى الى شعور بالعقم فى الحياة . وهو باب لمساوىء لاتحصى . والانتساب لكليات الجامعة يقضى على هذا الشعور

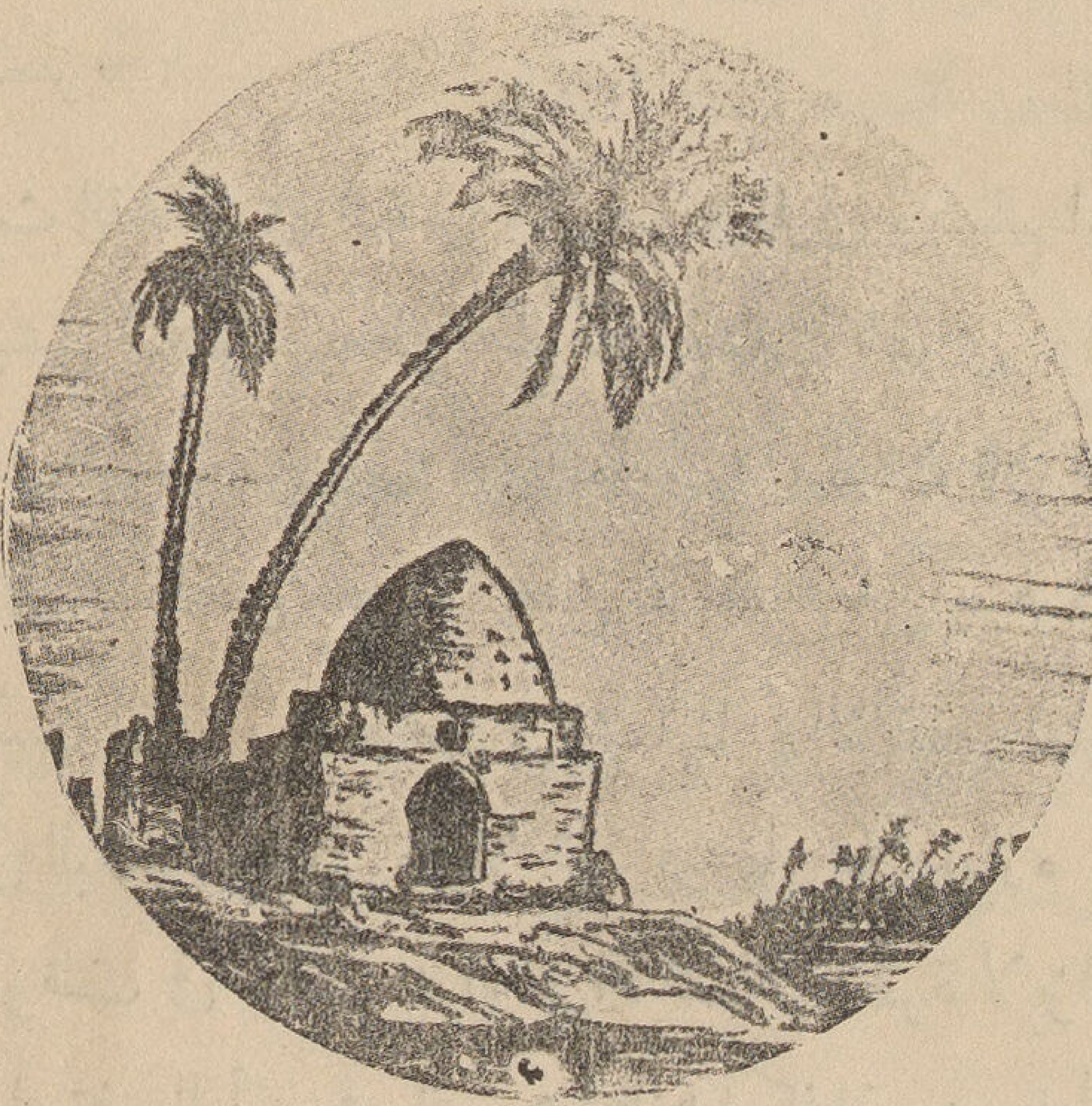

Widener Library
3 2044 114 055 148

al-Majallah al-jadidah